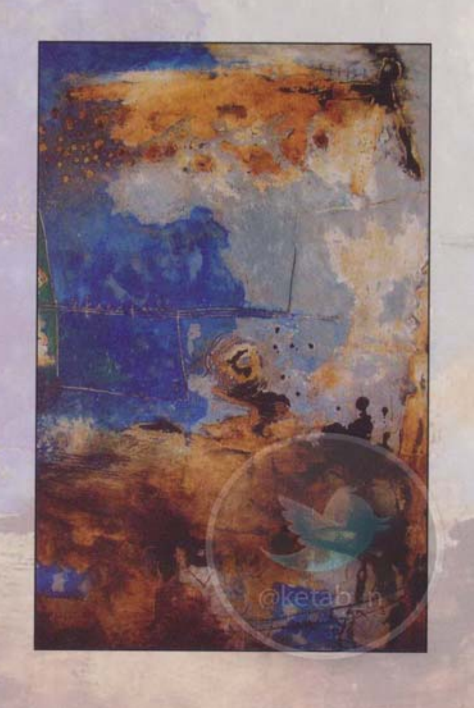


تشارلز بوكوفسكي

مَكتب البَريد



ترجمة

ريم غنايم

منشورات الجمل

رواية

تشارلز بوكوفسكي

مَكتب البَريد

رواية

ترجمة

ريم غنايم

منشورات الجمل

تشارلز بوكوفسكي: مَكتب البَريد

تشارلز بوكوفسكي: مَكتب البَريد، ترجمة: ريم غنايم
الطبعة الأولى ٢٠١٤

تلفون وفاكس: ٣٥٢٣٠٤ ـ ٠١ ـ ٠٠٩٦١
ص.ب: ٥٤٣٨ ـ ١١٣ بيروت ـ لبنان

Charles Bukowski: Post Office

Postfach 1127 - 71687 Freiberg a. N. Germany
www.al-kamel.de
E-Mail: alkamel.verlag@gmail.com

شكر

ساهم في مراجعة وتدقيق ترجمة هذا العمل الروائيّ كلّ من الكاتبين الطّيب غنايم، وكمال الرياحي، وأساتذة متخصصون في الأدب الأمريكيّ والترجمة، لهم مني بالغ الشكر والتقدير لما قدّموه من نصائح ومشورة في الطريق إلى بوكوفسكي.

هنري تشارلز بوكوفسكي:
أنا عبقريّ ولا أحد يعرف ذلك سِواي
١٩٢٠ ـ ١٩٩٤

لم يحظَ القارئ العربيّ عمومًا، بِفُرصة الاطّلاع على أعمال الأديب الأمريكيّ تشارلز بوكوفسكي. لكنّه حَظِي في المقابل بِفُرصة الاطلاع على أعمال روائيّين وشعراء ومسرحيّين وقصّاصين أمريكيين اعتُبروا من قامات الأدب الأمريكيّ الحديث أمثال هنري جيمس ومارك توين وإرنست همنجواي وفيتزجيرالد ووليام فوكنر ويوجين أونيل وأرثر ميلر وإدوارد أولبي وجون شتاينباك وهنري ميلر وسالنجر وجاك كيرواك وجون ابدايك وتوني موريسون وسيلفيا بلاث وغيرهم من الكتّاب الأمريكيين، ممّن اشتُهروا بالكتاب اليتيم أو بالكُتب الوفيرة التي ألّفوها على مدار عمرهم الأدبيّ. فقد ظلّ تشارلز بوكوفسكي مختفيًا عن الأنظار في ساحة التّرجمة، ولم يسلّط عليه الضوء من قبل «الوكلاء» الّذين يتلقّى عبرهم القارئ العربيّ حاجته من الأدب الغربيّ. فباستثناء بعض التّرجمات الفرديّة لبعض قصائد بوكوفسكي هنا وهناك أو مختارات من مئات القصائد في عشرات المجموعات الشعريّة التي ألّفها، لا نجد محاولة حقيقيّة للتعامل الجادّ مع أعماله. لعلّ السّبب في ذلك يعود إلى طبيعة الكتابة البوكوفسكيّة التي تمتاز بالإباحيّة والجرأة

في التعبير عن الواقع، والدّمج بين البساطة اللغويّة وبين عبقريّة المفاجأة في طَرح الفكرة. ولعلّ «الجرأة» في الأدب الذي يكتُبه بوكوفسكي هي سببٌ من أسباب التحفّظ منه عربيًا. وفي ذلك تطبيق لمبدأ «تهميش المهمّش».

لكن ما يمكن أن نؤكّده في هذا السّياق، هو ضرورة تعريف القارئ العربيّ بنتاج بوكوفسكي شعرًا وروايةً وقصّةً وسيرةً، وفتح المجال لاكتشاف أديب له بصمته ولعنته وتميّزه وجرأته وإن عاش لفترة طويلة بمعزل عنّا كقرّاء. كان تشارلز بوكوفسكي صوتًا عبقريًا نافذًا أكسبَ الشّعر الأمريكيّ والرّواية الأمريكيّة مذاقًا خاصًا صادمًا لم تشهد له الساحة الأمريكيّة مثيلاً من قبل. وقد ظلّ بوكوفسكي راعي البقر الّذي لم يحرس قطيعًا، والعامِل الّذي لم يغادر مسلخ البهائم، والأديب الأمريكيّ الّذي شتم جمهوره فضحكوا له.

بوكوفسكي: أبو اللعنات

يَقول بوكوفسكي في إحدى مقولاته الأكثر شهرةً: **«أعتقد أنّه يجب إجبار الرّجل على الكتابة في غرفة تعجّ بالجماجم، وحوله قطع لحم معلّقة، قضمتها الجرذان الكسولة والسّمينة».**

يشكّل هذا الوصف تعبيرًا حيًا عن فظاظة الرّوح التي يكتب بها بوكوفسكي وهي بحجم فظاظة الواقع الّذي عاشه. فَعَلى مَدار عقود رحلته الأدبيّة، لم يتعدّ ما كَتبَه الفخّ البشريّ الّذي يدور رحاه في بيوت الدّعارة، والحانات الليلية، والباغيات، والمغامرات الجنسيّة، والثّمالة، والكَسل، وفكرة الموت، والفوضى المستعرة، ورداءة الواقع، بعيدًا عن التوصيف المجازيّ والجماليّات اللغويّة المفبركة.

يُعَدّ بوكوفسكي ظاهرة احتجاجيّة في السّاحة الأدبيّة الأميركيّة. فلم يحظَ الرّجل باعتراف أدبيّ لائق في الولايات المتحدة حيث اعتُبر كاتبًا «تخريبيًا»، وذلك بحُكم طبيعة الطّرح الّتي تتضمّنها كتاباته، إلى جانب طبيعةِ سلوكه الاجتماعيّ الّذي لم يرضخ لمقوّمات الأديب «المقبول» اجتماعيًا.

على عكس الولايات المتّحدة، اعتُبر بوكوفسكي في أوروبا واحدًا من أكثر الكتاب الأميركيين شهرةً، وقد كانت كتبه في العديد من البلدان الأوروبية الأكثر مبيعًا فتُرجِمَت إلى العديد من اللغات. لذا، تمتّع بوكوفسكي بشهرة وانتشار واسِعَين في سبعينات القرن الماضي في معظم أنحاء أوروبّا في حين بقي السّتار مُسدَلاً عليه جرّاء تهميشه المقصود على يد المؤسسة الأدبيّة والنقديّة الأدبيّة الأميركيّة. يَعود ذلك، وبوكوفسكي يُدركُ ذلك، إلى طبيعة الذّهنيّة والتّكوين النفسيّ للأمريكيين وقتها. فأميركا على حدّ تعبير بوكوفسكي هي بلد لا يحبّ المجازفة ولا يذهب بعيدًا في خَلق صور تعبير جديدة فنيًا، لهذا نجد أن الثّورات والمغامرات الفنيّة والأدبيّة وصلت من أوروبا في وقت متأخّر ولم ينجح الأمريكيون تمامًا في الّذهاب بها بعيدًا، باستثناء تيّار **جيل البيت** Beat Generation الّذي عرّى جسد أميركا وبيّن بشاعة واقعه القذر. فأميركا هي بلد محليّ يهوى أناسه المحليّة والمحافظة والأمن. وفي هذا السياق، يقول بوكوفسكي: **«أظنّ أن الجمهور الألمانيّ أكثر انفتاحًا على المغامرة وعلى سُبل التعبير الجديدة. لماذا، لا أدري. يبدو أنهم هنا في أميركا يفضّلون أكثر الأدب الآمن والثابت»**.

جاء بوكوفسكي ليشكّل الصّوت القَذر الّذي هزّ عرش الأدب الأميركي الثّابت. فالتفكّك الاجتماعيّ، والفساد، والعُنف، والكُحول،

والجنس، والغضب، والحُلم الأميركيّ المُجهَض الّذي عكسته كتابات جيل البيت أمثال آلن غينسبرغ وجاك كيرواك ووليام بورّوز وريتشارد فورد وغيرهم، جميعها كانت مواضيع مطروحة في أعمالهم وذلك بحُكم معايشتهم للحرب التي كشفت عن الوجه البشع لبلدهم وولّدت فنًا جديدًا غريبًا عليها.

على الرغم من أن بوكوفسكي لم يرتبط بجاك كيرواك وألن غينسبرغ أو غيرهم من كتّاب جيل البيت، إلاّ أنّ أسلوبه غير الرّسميّ والّذي لم يُطابق النهج الأدبي المتعارَف عليه في أميركا، حَبب فيه قراء جيل البيت، وذلك لاقترابه منهم في روح ما يكتب.

بوكوفسكي هو بطل الهامش بجدارة وكاتب من كتاب الأندرغراوند الّذي لم يكن يومًا ابن المؤسسة، وهو فنّان فضّل أن يظلّ حرًا شريدًا في الشّارع، على أن تُمسك المؤسسة النّقديّة بخناقه وتؤطّر ما يكتبه في قالب يجعل منه كاتبًا عبدًا لها.

هبوني أموالكم.. أهبكم روحي

تميّز بوكوفسكي بالصّراحة الفظّة، وربّما كان هذا أكثر ما جذب الجمهور إليه على عكس توقّعات المؤسسة الأدبيّة والنّقديّة التي أهملته لفترة طويلة. في هذه الصّراحة الفظّة شيءٌ من الدّعابة والمفارقة التي تبعثُ على الضّحك من كلّ ما يقومُ به بوكوفسكي علنًا. فقد يركل خطيبته شاتمًا إيّاها أمام الجمهور، وقد يشتم محاورًا علنًا على مسامع الملايين، وقد يَصدر عنه كلام بذيء لمذيعة أو لامرأة في إقحام عنيف لجمله، وقد يخاطب الجُمهور على منصّة الإلقاء قبل أن يبدأ بإلقاء

الشّعر: «هبوني أموالكم، أهبكم روحي»، فتضجّ القاعة بالضّحك والتصفيق إعجابًا.

في هذا السّياق نذكر حادثةً شَهيرة أخرى عام ١٩٧٨ عندما ظهر بوكوفسكي في إحدى حلقات البرنامج الثقافيّ الفرنسي الشهير «أبوستروف»، وهو برنامج حواريّ قدّمه برنار بيفو على التلفزيون الوطني الفرنسي، حيث كان شخصية معروفة في فرنسا وقتها. حرصت شركة التلفزيون على أن يكون بوكوفسكي في البرنامج، حتّى أنهم دفعوا نفقات تنقّله وزوجته ليندا لي من لوس أنجلوس، ونفقات الفندق الّذي أقاما به في باريس. وقد ظنّ بوكوفسكي أن من شأن هذا البرنامج أن يُساهمَ في زيادة مبيعاته الأوروبية. وصل الرجل إلى مبنى القناة الثانية قبل خمس وأربعين دقيقة من بدء البرنامج، فاشترط أن يُحضروا له زجاجَتين من النبيذ الأبيض قبل أن ينتقل إلى العرض، فوَصَلت الأولى أثناء وجوده في غرفة الماكياج. شرب بوكوفسكي الزجاجة الأولى، وكان مخمورًا عندما صعد منصّة الحوار مع الضّيوف. كان بوكوفسكي نجم اللقاء، اذ جلس حول طاولة القهوة التي وُضعت مؤلّفاته عليها. وحين طرح عليه بيفو سؤال ماذا كان شعوره عندما كرّمته أوروبا، ليكون ضيفًا على التلفزيون الفرنسي أجاب إجابة من العيار الثقيل مجيبًا وهو يتحدث بثقل وتفوح من فمه رائحة فظيعة: **«أعرف العديد من الكتاب الأميركيين الذين يرغبون في أن يتواجدوا في هذا البرنامج الآن»**، ثم واصل كلامه: **«وهو لا يعني الكثير بالنسبة لي...»**. حاول بيفو إكمال المناقشة انطلاقًا من هذه البداية غير الواعدة، ولكن يبدو أن بوكوفسكي وجد صعوبةً في التّرجمة في أعقاب تحوّل محاوره إلى سيّدة كاتبة كانت ضيفةً على البرنامج. بعد مرور بضع

دقائق، دخل بوكوفسكي في خط المحادثة، قائلا انه يود أن يرى أكثر من ساقَي المرأة. وبشكل أكثر تحديدًا، أراد أن يتفحّص الكاحِلَين ليعرف إلى أيّ حدّ هي كاتبة جيّدة. رمقه بيفو بنظرة لم تعجبه، فرماه بوكوفسكي بشتيمة قبيحة من إحدى شتائمه التي عرف بها، ما أحدث اضطرابًا عند المترجمين في كيفية نقل الشتيمة على الهواء مباشرة. فهم المحاور تمامًا ما قال بوكوفسكي. وضع يدَه على فم الأمريكي وطلب منه أن يصمت. سحب بوكوفسكي جهاز الترجمة من أذنه، قام متأرجحًا على قدميه، متّجهًا إلى باب الخروج. ودّعه بيفو بلا مبالاة فيما الضيوف الآخرون يراقبون المشهد في دهشة. تعثر بوكوفسكي لحظات، ثبّت نفسه لامسًا رأس الرجل الذي جلس جواره، ثم ترنح واستأنف المشي مترنّحًا فيما المترجمون والجمهور غارقون في الضّحك.

على عكس المتوقّع، أكسبت هذه الحادثة التاريخيّة بوكوفسكي صيتًا كبيرًا في فرنسا والعالم، وهي الحادثة التي اعتُبِرَت فضيحة علنيّة شاهدها الجميع على شاشات التلفزة. وهي دليل واضح على شخصيّة أدبيّة تتحرّك وفق غريزتها لا وفق الضوابط الاجتماعيّة.

«الكتابة الحذرة هي كتابة ميّتة»

للكتابة عند بوكوفسكي ميزتان لا تفارقانها: الصّدق والفظاظة. طقوسه قاسية وتعابيره حادّة وقذرة لا تعرف حُرمةً للغة ولا شرفًا لكلمة، حيث يذهب بالصّورة إلى أقصى حدودها ليقولَ شيئًا عن الحياة وعن الكتابة التي لا تعني له شيئًا إذا لم تكن تجربة حياة وانعكاسا للواقع كما هو بكلّ ضراوته ووحشيّته. ولعلّ ذلك يبدو

واضحًا جدًا في قصائده التي تمزج بين العبقريّة والبساطة وبين السّذاجة والمَكر وبين الحزن والدّعابة. هذه التّركيبة الرّديئة هي التي تصنع من بوكوفسكي شاعرًا رائعًا و «ماركة مسجّلة». فلا يمكن أن نقرأ قصيدة كقصيدة **«إلى العاهرة الذي أخذت قصائدي»** مثلاً دون أن نشعر بالقهر تعاطفًا مع الشّاعر والرّغبة في الضّحك بسبب هذا القهر الموصوف بشيء من الدعابة:

«يقول البَعض إنّه لا بدّ أن نُقصيَ إحساسَنا الذّاتيّ بالنّدم

عَن القصيدة،

لتبقَ مجرّدة، وفي هذا شيءٌ من المنطق،

لكن يا يسوع؛

اثنتا عشرَة قصيدةً اختفَت وأنا لا أحتفظ بنسخٍ كربونيّة، ومعكِ

أيضًا لَوحاتي، أفضلها؛ وهذا يخنقُني:

أتحاولين سَحقي مثلَ بقيّتِها؟

لمَ لم تأخُذي أموالي؟ فعادةً ما يختلسنَ

من سراويل السكارى النّيام المرضى في الرّكن.

في المرّة القادِمة خُذي ذراعي اليُسرى أو نقودًا من فئة الخمسين

ولكن ليس قصائدي؛

أنا لست شكسبير

لكن ببساطة، يومًا ما

لن تكون قصائد أخرى، مجرّدةً أو غيرها؛

سيظلّ دائمًا المال والعاهرات والسكارى

حتّى القنبلة الأخيرة،

لكن كما قال الله،

متربّعًا،

أرى أين خلقتُ الكثير من الشّعراء

ولكن ليس الكثير من

الشعر».

«الكتابة الحذرة هي كتابة ميّتة»، يقول بوكوفسكي، وهو الكاتب الّذي ظلّ عاري الصدر في مواجهة للحياة متحولاً من عامل لغسل الصحون، إلى سائق شاحنة، إلى ساعٍ في مكتب البريد، إلى عامل في مسلخ البهائم إلى موظّف في مرآب، إلى عاطل عن العمل، إلى مدمن كحول. كلّها تجارب علّمته كيف يكون ضاريًا في كتابته بعيدًا عن الفبركة اللغويّة لا يختبئ في برجه العاجي، وقادرا على قول أعمق الأشياء بأبسط الكلمات:

«أشعر بالمرارة أحيانًا

لكن غالبًا ما يكون الطّعم حلوًا.

ببساطة خفتُ أن أبوح بذلك.

الأمر أشبه بأن تقول لك لامرأتك «قل لي إنّك تحبّني»

فلا تقوى.

تلك هي الموهبة التي جاء بها بوكوفسكي إلى عالم الكتابة. رجلٌ يحترق في المياه ويغرق في النّار ولا يُخفي حقيقته أمام أحد ولا يزرع آمالاً كاذبة في صدر أحد. والكتابة تشبه إلى حدّ كبير صاحبها.

فبوكوفسكي لم يعرف خطوطًا حمراء في كتابتها البسيطة والعبقريّة. هذه البساطة والعبقريّة تتجلّيان أيضًا في شخصيّته الجريئة والفظّة على المستوى السلوكيّ وعلى مستوى علاقته مع النّاس. وقد لعبَت في حياته دورًا كبيرًا.

بوكوفسكي: عنفٌ ودمامةٌ وعزلة

ادّعى بوكوفسكي أنّ غالبية ما كتبه كان نقلا حرفيا لما حدث في حياته. فنسبة ٩٣ في المائة من عمله كان سيرة ذاتية، أما الـ ٧ في المئة المتبقيّة كانت لـ«تحسينها» على حدّ قوله. وتبدأ مسألة عدم وضوح الحدود بين الحقيقة والخيال في كتابته مع ظروف ولادته.يقول: «ولدتُ لقيطًا» ـ خارج إطار الزوجية، وقد نقل بوكوفسكي هذه القصة في عام ١٩٧١، وكررها مرات عديدة سواء في المقابلات وفي كتاباته.

وُلد هذا الطّفل، هنري تشارلز بوكوفسكي، في أندرناخ في ألمانيا عام ١٩٢٠ لأمّ ألمانيّة وأب هو جندي أميركيّ من أصول بولنديّة. وفي عام ١٩٢٣، انتقلت عائلته عندما كان في الثالثة، إلى بالتيمور في الولايات المتحدة، في أعقاب الأزمة التي اندلعت بعد الحرب العالمية الأولى. ثم انتقلت العائلة للسكن في ضواحي لوس أنجلوس، حيث سكنت أسرة والده. وهناك عاش بوكوفسكي معظم حياته.

في كتاباته السير ذاتيّة، وفي المقابلات التي أجراها والرسائل التي كتبها للأصدقاء، اعترف بوكوفسكي ببساطة ووضوح أن طفولته كانت مخيفة وكئيبة، فقد كان طفلا ممنوعًا من الاختلاط ببقيّة الأطفال، لأنّ والديه اعتبرا نفسَيهما أفضل من سكّان الحي الذي عاشوا فيه. ولا غرابة في أن يتحوّل الطّفل المتعفف إلى موضوع للسخريّة. هذا إلى

جانب معاناته من عسر القراءة، وهو ما استدعى فصله عن بقيّة الأولاد.

في طفولته، كان والده عاطلاً عن العمل في أحيان كثيرة، ممّا أدّى إلى تعرّض بوكوفسكي إلى الإهانة والضّرب من قبل والده خلّفت عنده ندوبًا كثيرة. وفي هذا السياق يقول بوكوفسكي أنه كان يعاقب على يد والده بشكل شبه يومي، ويتلقى ما يصل إلى أربعة عشر جلدة، دون أن تحرك والدته ساكنًا. وقد أدى فشلها في وقف الضرب، أو التعاطف مع ابنها إلى فقدانها لاحترامه ومودّته، وبعد مرور سنوات عاقب الابن والده بالضّرب هو أيضًا.

كانت مرحلتًا الطفولة والمراهقة عند بوكوفسكي، مرحلتين فظيعتين، ولعلّهما من أكثر المراحل تأثيرًا في حياته. فقد عانى، إلى جانب عنف الوالد، من البثور والدمامل التي برزت في جميع أنحاء الوجه والظهر. لم تكن هذه البثور مجرّد بقع، فقد غطّت جفونه، وأنفه، وارتسمت وراء الأذنين وفي شعره. وكان هذا الداء من المستحيل إخفاؤه - الأمر الّذي شكّل محنتين بالنسبة له، محنة اجتماعيّة وأخرى عاطفيّة.

دفعت هذه الظروف بوكوفسكي إلى العزلة والوحدة، وكانت القراءة ملاذًا من العالم الخارجيّ القاسي. وفي سن الرابعة والعشرين، نشرت قصته القصيرة الأولى، وقصة قصيرة أخرى بعدها بعامَين. ثمّ توقف عن الكتابة لمدة عشر سنوات تقريبا بعد أن واجه مشاكل رفض نتاجه مرارًا.

قضى بوكوفسكي معظم هذه الفترة في لوس انجلوس، وتنقّل في

أنحاء الولايات المتحدة، وعمل في وظائف مختلفة. ففي بداية الخمسينات، عمل بوكوفسكي في مصلحة البريد، لكنه ترك عمله بعد عامين ونصف العام. وفي عام ١٩٥٧ تزوج من الشاعرة باربرا فراي، ولكنهما انفصلا عام ١٩٥٩. إثرها، عاد بوكوفسكي إلى تعاطي الكحول، وواصل كتابة الشعر. ولكن يبدو أن البريد كان قدره لسنوات أخرى، فقد عاد بعدها إلى لوس أنجلوس، حيث عمل كموظف في البريد لأكثر من عقد.

عام ١٩٦٩، حصل بوكوفسكي على منحة قدرها ١٠٠ دولار شهريًا من جون مارتن، صاحب دار النشر» بلاك سبارو»، مقابل التفرغ للكتابة. فاستقال بوكوفسكي من مكتب البريد وتفرّغ للكتابة. وفي رسالة كتبها بوكوفسكي وقتها اعترف: «**أمامي خياران ـ إما أن أبقى في مكتب البريد وأصاب بالجنون... أو أن أواصل الكتابة وأموت جوعًا. قررتُ أن أموت جوعًا**».

جميعنا سنموت، جميعنا، يا له من سيرك!

حرِص بوكوفسكي على الثالوث المقدّس في كتاباته على مرّ العقود: الخمر والجنس والمال. وهي في نظره غرائز لا بدّ منها ووسيلة من وسائل الدّفاع عن النّفس أمام الموت وقهره. ولبوكوفسكي فكرة حياتيّة وعمليّة في شأن هذا الثالوث المقدّس، ولا عَجب في أنّ كتّابًا عديدين اتّبعوا ملّته في الرّبط بين الشّرب والكتابة. يقول بوكوفسكي:

«الشرب هو مسألة عِاطفيّة. فهو يُخرجك من روتينيّة الحياة اليومية، من كل شيء يكرر نفسه. ينتزعك من جسمك وعقلك

ويرميك على الجدار. لدي إحساس بأن شرب الكحول هو شكل من أشكال الانتحار حيث يُسمح لك بالعودة إلى الحياة والبدء من جديد في اليوم التالي. انه أشبه بقتلك نفسك، وبعدها تولد من جديد. اعتقد أنني عشت عشرة أو خمسة عشر ألف حياة».

هذا ما يراه بوكوفسكي في الخمر. ومن المثير للاهتمام أنّ بوكوفسكي لم يصنّف نفسه مدمنًا، ولا حتّى أرملته ليندا لي (التي شاهدها الجمهور في الفيلم تتعرض للركل من قبله عندما كانت خطيبته). فليندا لي ترى أنّ بوكوفسكي عاش «حالة سكر ذكيّة»، مع تمييزها بين الناس الذين يعانون من العجز جرّاء الخمر والنّاس الذين يشربون بشكل مفرط ولكنّهم يؤدّون عملهم، وتعتبر بوكوفسكي واحدًا من هؤلاء.

أمّا الجنس، عند بوكوفسكي هو حالة من حالات الدّفاع عن النّفس في وجه المَوت، إذ «يركل المَوت في استه ساعة الغناء». ولكنّه لا يشكّل وحده مادّة للحبّ. ومَن يطالع قصصه وروایاته یلاحظ أنّه أمام رجل عاديّ في علاقاته الجنسيّة وأقلّ. فهو غير معصوم ويعاني أحيانًا من انعدام الأمن الجنسي، ويظهر في أحيان كثيرة رجلاً عاجزًا وغيورًا تمامًا كما كان الحال في حياته الشخصيّة.

لم تكن النّساء اللاتي دخلن حياة بوكوفسكي يعرفن أنّه كان يستخدمهنّ كمادة لرواياته، فهو لم يطلب الإذن للكتابة عن حياتهنّ الجنسية معه.

ولكن على الرغم من تناول بوكوفسكي للشخصيات النسائية بطريقة حاسمة وعنيفة أحيانًا تبعث على الإحساس بأنّه كاره للنّساء، إلاّ

أنه، وإن بدا عنيفًا أحيانًا، يشتم ويلعن ويضرب، لمّ يجد في الاتّصال الجنسيّ بالمرأة تعويضًا عن الحبّ. فبطله السير ذاتي هنري تشيناسكي لم يهزمه شيءٌ بقدر الحبّ، وهو موضوع عالجه بوكوفسكي بكثير من الرّقة والطّرافة أيضًا. حتّى في روايته **مَكتب البريد** التي كانت تعجّ بأخبار النّساء وأحوالهنّ معه كان الحبّ موضوعًا مركزيًا.

إما كل العالم أو لا شيء

اصطبغت نبرة بوكوفسكي في كتاباته بالكَثير من الحزن، وأحيانا بالكثير من الغَضب، ولكن في هذا الحزن والغضب نحسّ بالفُكاهة والرغبة في الضّحك. فهو بأسلوبه البسيط واعترافاته الرّنانة ووصفه الهازل لأحلك المشاهد والأحداث التي مرّ فيها، يبعثُ في القارئ شيئًا من الأمل والإحساس بالجَمال. وبصرف النظر عن علاقاته النسائيّة، والشّرب والمال، يَطرح بوكوفسكي العديد من المواضيع المتكررة والتي تشكّل مواضيع رئيسية لم تتغيّر كثيرًا على مدار سيرته الأدبيّة. فهو قبل كل شيء، يكتب عن نفسه، وبقلق شديد يحكي عن طفولته الكئيبة في لوس انجلوس. فقد عاش المؤلف تقريبا حياته كلها في هذه المدينة. والأهم من ذلك، انه كتب عن الحياة فيها من وجهة نظر الطبقة العاملة، أو ربما بدقة أكثر من وجهة نظر الطبقة الدنيا في المدينة. حتّى عام ١٩٦٩ ، تاريخ عقد صفقته مع جون مارتن للتفرّغ للكتابة، كان بوكوفسكي رجلاً شريدًا، يبغض العمل ممتعضًا من حقيقة أنه كان ينسلخ عن «حياته الحقيقيّة» التي وجدها في الكتابة - مغادرًا إلى عملٍ حقير لساعات طويلة من أجل دفع إيجار الشّقة.

يتوافق هذا الرّفض الرّاديكاليّ لسياسات العَمل الّذي يعبّر عنه

بوكوفسكي في أعماله سياسة رفض النّظام الرأسمالي الأميركيّ. في كتابه **ضد الحلم الأميركي**، يقول راسيل هاريسون عن بوكوفسكي إنّه كان في واقع الأمر كاتبًا سياسياً، وهو الأديب الأميركيّ الرئيسي بعد الحرب الذي نفى نجاعة الحلم الأميركي.

لا يُمكننا أن نعتبر بوكوفسكي كاتبًا ملتزمًا لفكرٍ ما أو حزبٍ ما، وعلى الرّغم من أنّه انتصر للطبقات الدّنيا في المجتمع الأميركيّ التي حطمتها فكرة «الحلم الأميركيّ» ـ الفكرة القوميّة، التي نادت بالفرص الذّهبيّة في أمريكا أرض الأحلام، إلاّ أنّه هو نفسه عندما تحسّنت أوضاعه الماديّة في سنوات لاحقة، عاش في حيّ مرفّه، ونعم بحياة جيّدة، لكنه ظلّ يكتب ناقدًا وطنه.

وللكتابة البوكوفسكيّة، ميزة أخرى هي انفلاتها من سجن اللغة شعرًا ونثرًا. يعود ذلك إلى تأثّره في شبابه من قراءة إرنست همنغواي وجون فينت صاحب الرّواية الشّهيرة **إسأل الغبار**، فكَتب بأسلوب مباشر متميز. تعتمد لغته الأساسية على التواضع، وعلى بناء الجملة غير المعقدة، والأسطر والفقرات والفصول القصيرة.

وينهض التّخييل الذاتي بدورٍ كبير في مؤلّفاته. اذ يخلق بوكوفسكي عبر التلاعب والتّحريف في الأحداث والتجارب التي عاشها، مغامرات هنري تشيناسكي الذي يصبح غامضًا أمام القرّاء. وفي ذلك تقديم وقائع شخصيّة تزيد من فضول القرّاء لمعرفة الحقيقة عن حياة الرجل: متى وأين ولد، من هم والداه وكيف عاش. ولأن بوكوفسكي جعل فنّه من تجاربه ومن تجارب عائلته وأصدقائه، يجد القارئ سببًا وجيهًا في الكشف عن ماهيّة الحكايات، والأسماء المحوّرة، والتواريخ المذكورة ووضع حياة المؤلف في الترتيب الزمني الصحيح.

استقال بوكوفسكي من عمله في الخدمة البريديّة، عن عمر يناهز ٤٩ عامًا، وفي أقلّ من شهر كان قد أنهى روايته الأولى، **مَكتب البريد**.

كانت مسألة الكتابة مقابل تغطية نفقات بوكوفسكي، أمرًا صعبًا ومعقّدًا على جون مارتن. فقد كان بوكوفسكي يحتاج إلى ٣٥ دولارًا لإيجار الشقة، ٢٠ دولارًا لمحلات البقالة، ٥ دولارات للغاز، ١٥ دولارًا للجعة والسجائر، ١٠ دولارات لدفع فاتورة الهاتف و١٥ دولارًا نفقة طفلة مارينا. وصل المبلغ إلى ١٠٠ دولار شهريًا. يعني ربع الدخل الشهري لجون مارتن، الذي كان لديه زوجة وطفل يعيلهما، لذلك كانت مسألة التكفّل ببوكوفسكي أمرًا جديًا، لكنّها كانت جديرة بالمجازفة لأنّها خلقت أديبًا متفرّدًا في الساحة الأدبيّة الأميركية والعالميّة.

نَضع بين أيديكم أوّل ترجمة عربيّة لرواية **مَكتَب البَريد**، وهي الرواية الأولى لبوكوفسكي، وتحكي سيرتَه الذاتيّة مع بطله هنري تشيناسكي، أثناء فترة عمله في مَكتب البَريد على مَدار ١٤ عامًا. وتغطّي الرواية أعوامًا من حياة بوكوفسكي: من عام ١٩٥٢ حتّى استقالته من مَكتب البَريد عام ١٩٥٥، ثم عودته في عام ١٩٥٨ حتّى عام ١٩٦٩. وفي هذه الأعوام، نكتشف حياة بوكوفسكي كما عاشها: من علاقات نسائيّة، إلى سباقات الخيل، إلى عالم الكحول والجنس والتشرّد والوحدة، إلى عالم الخدمة البريديّة الذي لم يخلُ هو الآخر من شخوص مجنونة.

يسرد تشيناسكي ـ بوكوفسكي تاريخ علاقته مع مصلحة البريد على مدار سنوات، وضمنها نتعرّف على عالمٍ متكامل الأطراف، يعجّ

بالفضائح، والبيانات والأسرار. من علاقاته الإشكاليّة مع المؤسسة ومع مرؤوسيه في الخدمة، وعرضه لنماذج متنوّعة من الموظّفين: هذا بادوفيل، وذاك متثاقف، وثالث نصّاب، فضلاً عن جحيم علاقاته الجنسيّة والنّسائيّة الفاشلة، وَوَلعه بالوحدة، والشّرب، والتّسكّع.

من قراءة فينت وهمنغواي، تعلّم بوكوفسكي الكتابة بالكثير من المباشرة مع إقحام الحوار. وقد أخذ من فينت، على وجه الخصوص، فكرة تقسيم الرواية إلى فصول قصيرة جدا، أو فصول فرعية مرقمة، لا يتعدى بعضها أحيانًا الصّفحة الواحدة. تُبقي هذه التقنيّة القارئ يقظًا، كما يقول بوكوفسكي، وتساعد المؤلف على قول ما يُريد دون اللجوء إلى اللكذب.

مسألة فرز الرسائل ليست موضوعًا مثيرًا لكتابة رواية، لكنّ بوكوفسكي ينجح في جعلها مثيرة للاهتمام وهذا هو أكبر إنجاز قام به الرّجل في هذه الرّواية. فهو يتعامل مع الواقع الرّتيب بطريقة مكثّفة، باردة، ساخرة، يصف أحلك المشاهد وأكثرها حزنًا على عجل، ويتأنّى في وصف أكثر الأشياء رتابةً. ويفاجئ بوكوفسكي القارئ ويتركه متعطّشًا، فيضحك فجأة، ويشتم فجأة، ويصمت في الأحداث التي تتطلّب منه ردّ فعل. إنه ببساطة كاتب على عكس كلّ التوّقعات.

عمل بوكوفسكي على الرواية بلا انقطاع على مدار ثلاثة أسابيع مستعرضًا حياته الماضية من خلال شخصية هنري تشيناسكي، وقد سرد حكايات وأحداث بأسماء محوّرة على مدار سنوات طويلة: وفاة جين، التي غيّر اسمها إلى «بيتي»؛ زواجه من فراي باربرا ورحلتهما إلى ولاية تكساس؛ شراء سيارة بليموث ٥٧' جديدة، حكايته مع

المشرف المستبد عندما كان ساعي بريد، ونظام الاختبارات وامتحانات الجداول التي كان عليه أن يجتازها وغيرها.

مَكتب البَريد هي أوّل أعماله الرّوائيّة التي تناولت جزءًا من سيرته الذاتية، وهي أول رواية من سلسلة من روايات رسم فيها حياة هنري بأسلوب نثري ابتكاريّ بسيط كبساطة شعر بوكوفسكي. حقّقت الرواية شعبية كبيرة في جميع أنحاء العالم، وقد ترجمَت إلى خمس عشرة لغة. هذه هي الترجمة العربيّة الأولى لرواية من روايات تشارلز بوكوفسكي: فسيفساء تعكس العفونة والرّداءة في أعمق أشكالها، واشتغال عميق على معنى التّخييل الذّاتيّ وبراعة السّير في الأرض المجهولة.

لا عَجَب أن يشرف على جنازة أحد أشهر الكتّاب الأميركيين وأكثرهم جرأة، رهبان بوذيّون، وقد أفلت حتّى في هذا السياق من عُقوبة الجَماعة، ولا عَجبَ أن يُكتبَ على شاهد ضريحه ضالّته: «لا تحاول»، فالرّجل الّذي قضى حياته حرّا لم يجتهد في المحاولة، فهو لم يفعل شيئًا في حياته سوى أنّه فعل، وهو من كَتب في فاتحة إحدى قصائده:

«إن كنتَ ستحاول، فاذهب

حتّى النّهاية.

وإلاّ، فلا تبدأ»[1].

ريم غنايم

---

(١) المراجع:
Fernando Pivano, *Charles Bukowski: Laughing With the Gods-Interviews*, Sun Dog Press, 2000.

Howard Sounes , *Charles Bukowski: Locked in the arms of a crazy life*, canon gate, 1999.
Hugh Fox, *Charles Bukowski: A Critical and Bibliographical Study*, Abyss Publications, 1969.
Michael Montfort, *Bukowski (Photographs 1977-1987)*, Graham Mackintosh, 1987.
Russell Harrison, *Against the American Dream: Essays on Charles Bukowski*, Black Sparrow Press, 1994.

هذا العمل من وحي الخيال،
وَلَيس مُهدىً إلى أحد

مَكتب مُدير البريد مَكتب بريد الولايات المتحدة كانون ثاني ١، ١٩٧٠

مذكّرة لوس أنجلوس، كاليفورنيا ٧٤٢

ميثاق أخلاقيات المهنة

يوجّه جَميع الموظّفين انتباههم إلى «ميثاق أخلاقيات المهنة» الخاصّ بموظفي البريد على النّحو المبين في البند ٧٤٢ من الدّليل البريديّ.

أسّس موظفو البريد، على مرّ السّنين، عُرفًا راقيًا من خدمة متفانية للأمة، وغير مسبوق في أي مؤسسة عمومية أخرى. وينبغي لكل موظف أن يفخر بهذا العُرف من الخدمة المتفانية.

ينبغي على كل واحد منا أن يسعى كي يجعل مساهمته مجدية في الحركة المستمرّة للخدمة البريدية نحو التقدم المستقبلي من أجل المصلحة العامة. وعلى جميع موظفي البريد التصرف بنزاهة حازمة وإخلاص تام للمصلحة العامة. ويُتوقع من موظفي البريد الحفاظ على أسمى المبادئ الأخلاقية، والتقيّد بقوانين الولايات المتحدة، وأنظمة مَكتب البريد وسياساته. ليس المطلوب السلوك الأخلاقي فحسب، بل يجب على المسئولين والموظّفين أن يكونوا في حالة تأهب لتجنب

الأعمال التي من شأنها أن تضرّ بالالتزامات الملقاة على البريد. وعليهم إنجاز المهام الموكلة إليهم بضميرٍ حيّ وبنجاعة. تتمتّع الخدمة البريدية بامتيازٍ فريد من نوعه، من وُجود اتّصال يومي مع الغالبية العظمى من مواطني الأمّة، وفي كثير من الحالات، اتصالهم الأكثر مباشرة مع الحكومة الفدراليّة. وعليه، هناك فرصة خاصة ومسؤولية تقع على عاتقهم للتّصرف بشرف ونزاهة يستحقّان ثقة الجمهور؛ ما يعكس أمانتهم وتميّزهم في الخدمة البريدية، وفي الحكومة الفدراليّة بأكملها. ويُطلب من جميع الموظّفين مراجعة البند ٧٤٢، من الدّليل البريدي، والمعايير الأساسيّة للسلوك المهنيّ، والسلوك الشخصيّ للموظفين والقيود المفروضة على النشاط السياسي، وما إلى ذلك.

المُدير العامّ

I

١

بدأ الأمر خطأً.

كانَ موسمَ عيد الميلاد وكنتُ قد علمتُ من الرجل السكير أعلى الهضبة، والذي كان يقوم بالخدعة ذاتها كلّ عيد ميلاد، أنهم على استعدادٍ لتوظيف أيّ شخص تقريبًا. فذهبتُ إلى مكتب البريد وقبل أن أدركَ شيئًا، حملتُ هذا الكيس الجلديّ على ظهري، ومشيتُ لمسافاتٍ طويلة في وقت فراغي. يا لها من وظيفة، قلتُ في نفسي. الأمر هيّن! سيُوكلون إليك شارعًا أو اثنين، لو نجحتَ في إنهاء المهمّة، سيعطيكَ ساعي البريد المنتظم شارعًا آخر، وربّما عُدتَ إلى محطة التّصنيف وأعطاك المُشرف شارعًا آخر، لكنّك كنتَ تأخذ وقتكَ وتدفع ببطاقات عيد الميلاد تلك نحو فتحات صناديق البريد.

أظّنه كانَ يومي الثاني بوصفي مُساعدًا لساعي البريد في موسم عيد الميلاد، عندما خرَجت تلك المرأة الضخمة وطافت معي وأنا أوزّع الرسائل. ما أقصده بكلمةِ ضخمة أن مؤخرتها كانت كَبيرة ونهداها كبيرين، فقد كانت ضخمة من جميع الأماكن الصحيحة. بدَت مجنونة

بَعض الشّيء لكنّي واصلتُ تأمّل جسدها ولم أكترث. واصلَت هي الحديث طويلاً. ثمّ جاءَتني بالخبر. لقد كان زوجُها ضابطًا في جزيرة قصيّة، وأصبحَت وحيدة، وعاشت في ذلك البيت الصغير الخلفيّ بمفردها.

«أيّ بيت صغير؟»، سألتها.

كَتبت العنوان على قصاصة ورقيّة.

«أنا أيضًا وحيد» قلت، «سآتي وسنتحدّث الليلة».

كُنتُ أسكنُ وقتها مع صديقتي، لكنّها كانت تغيب خارج البيت معظم الوقت، في مكان ما، وشعرتُ بالوحدة فعلاً. كنتُ وحيدًا على تلك المؤخرة الضخمة التي تقف بجواري.

«حسنًا» قالت، «أراك الليلة».

كانت رائعة. وكانت مجامعتها جيدة، لكن ككلّ جماع، بدأتُ أفقد الاهتمام بعد ثالث أو رابع ليلة، ولم أعد. لكني، والله، لم أحتمل التّفكير في أن كلّ ما يقوم به سعاة البريد هؤلاء هو توزيع الرسائل في الصناديق والمضاجعة. هذه الوظيفة تناسبني، أوه نعم نعم نعم.

٢

ثـمّ خضتُ الفحص، واجتزتُه، وخضتُ الفحص البدنيّ، واجتزته، وصرتُ ساعي بريد مناوبًا. في البداية كان الأمر سهلاً. نقلوني إلى محطة ويست آفون وكان الأمر مماثلاً لما كان عليه في

موسم عيد الميلاد إلا أنّي لم أمارس الجنس. توقّعتُ كلّ يوم أن أمارس الجنس ولم أفعل. لكنّ المُشرف تساهل معي في العمل وكنتُ أتجوّل وأنهي مهمّةً هنا ومهمّةً هناك. لم يكن لدي حتى زيّ رسميّ، باستثناء قبعة. ارتديتُ ملابسي العادية. كمّيات المشروبات الكحوليّة التي شربناها أنا وصديقتي «بيتي» بالكاد أبقت ثمنًا للملابس.

ثم نقلوني إلى محطة أوكفورد.

كان المُشرف شخصًا قاسيًا يُدعى جونستون. كانوا بحاجة إلى مساعدة هناك وفهمت السبب أيضًا. كان جونستون مولعًا بارتداء القمصان الحمراء الداكنة التي ترمز إلى الخطر والدّم. وقد عمل هناك سبعة مناوبين هم توم موتو، نك بيلغريني، هرمان ستراتفورد، روزي أندرسون، بوبي هانسن، هارولد ويلي وأنا، هنري تشيناسكي. بدأ العمل في الساعة ٠٥:٠٠ صباحًا وكنت المخمور الوحيد هناك. شربتُ على الدّوام حتى بعد منتصف الليل، وهناك جلسنا، في الخامسة صباحًا، في انتظار العمل، نترقّب اتصالاً من أحد السعاة المنتظمين ليتّصل ويبلغ أنه مريض. عادةً ما اتّصل المنتظمون ليُبلغوا أنهم مرضى عند هطول المطر أو مع موجة حرّ أو في اليوم الذي يلي عطلة عندما تكون حمولة البريد قد تضاعفت. كان هناك ٤٠ أو ٥٠ مسارًا مختلفًا، أو أكثر، لم يكن في المقدور أبدًا أن تحفظ أيًا منها، ووجب استلام البريد وتجهيزه قبل الثامنة صباحًا للإرساليات عبر الشاحنة، ولم يقبل جونستون الأعذار. كان المناوبون يضعون جرائدهم جانبًا، دون أن يتناولوا وجبة الغداء، ويهلكون في عملهم في الشوارع. اضطرّنا جونستون إلى المباشرة في ترتيب رسائل البريد بتأخير مدة نصف ساعة - فيما دار هو فوق كرسيه بقميصه الأحمر - «تشيناسكي اسلك مسار

٥٣٩!». بدأنا العمل بتأخير نصف ساعة، ورغم ذلك كان علينا إنهاء توزيع البريد والعودة في الوقت المحدد. كنا مطالبين، مرّة أو مرّتين في الأسبوع، عندما نكون متعبين ومُرهقين ومنهكين تمامًا، القيام بمناوبة تجميعٍ ليليّ، وكان من المستحيل الالتزام ببرنامج العمل المكتوب على اللَوح ـ فالشاحنة ببساطة لم تكن تتنقل بسرعة كبيرة. في الجولة الأولى، أهملنا أربعة أو خمسة صناديق بريديّة، وفي الجولة الثانية، تكدّست الصّناديق برسائل البريد وانبعثت منّا رائحة كريهة. ركضنا والعرق يملأ الأكياس. الآن وَجدتُ من يَصبعني. فقد اهتمّ جونستون بذلك.

٣

المناوبون أنفسهم جعلوا من جونستون شخصًا محتَملاً من خلال طاعة أوامره التي لا تُحتمل. لم أفهم كيف يمكن السماح لشخصٍ بهذه القسوة الواضحة أن يكون في منصبه. لم يكترث المنتظمون، وكان نائب الاتحاد بلا قيمة. لذا قمت بتعبئة تقرير من ثلاثين صفحة عن أحد أيام عطلتي، وأرسلت نسخة إلى جونستون والأخرى إلى مبنى الفدراليّة. طلب مني الموظف الانتظار. فانتظرت وانتظرت وانتظرت. انتظرت مدةِ ساعة ونصف ثم أخذوني لمقابلة رجل شعره رماديّ قصير وعيناه تشبهان رماد السيجارة. لم يدعُني حتّى للجلوس. أخذ يصرخ في وجهي وأنا أدخل من الباب.

«تحسب نفسكَ نبيهًا ابن قحبة، أليس كذلك؟».

«حبّذا لو لم تشتمني، يا سيّدي!» «نبيه ابن قحبة، أنت أحد أولئك الّذين يمتلكون معجمًا لغويًا ويلوّحون به في كلّ مكان!»

لوّح بأوراقي في وجهي. وصرخ: «السيّد جونستون رجل رائع!»

«لا تكن سخيفًا. واضحٌ تماما أنّه إنسان ساديّ» قلت.

«منذ متى تعمل في مكتب البريد؟»

«٣ أسابيع».

«السيد جونستون يعمل في مكتب البريد منذ ٣٠ عامًا!».

«ما علاقة هذا بالأمر؟»

«قلت، السيّد جونستون رجل رائع!»

أعتقد أن المسكين أراد حقيقة أن يقتلني. لا بدّ أنه جامع جونستون.

«حسنا» قلت، «جونستون رجل رائع. انس كلّ هذه المسألة اللعينة». ثم خرجت وفي الغد أخذت يوم عطلة. بلا أجر، طبعا.

٤

عندما رآني جونستون في الخامسة صباحًا في اليوم التالي دار فوق كرسيه كالعادة وكان لون وجهه وقميصه واحدًا. لكنه لم ينبس بكلمة. لم أكترث. كنتُ حتى الثانية صباحا أشرب أنا و«بيتي» وأضاجعها. ركنتُ إلى الخلف وأغمضتُ عينيّ.

في السابعة صباحًا دار جونستون فوق كرسيه مرة أخرى. جميع

المناوبين الآخرين استلموا مساراتهم أو تمّ إرسالهم إلى محطّات أخرى كانت بحاجة إلى مساعدة.

«هذا كلّ شيء يا تشيناسكي. لا عمل لك اليوم».

تأمّل وجهي. إلى الجحيم، لم أكترث. كل ما أردت القيام به أن آوي إلى الفراش وآخذ قسطًا من النوم.

«حسنًا، يا ستون» قلت. كانَ يُعرف بين سعاة البريد بلقب «The Stone»[1] لكنني كنت الوحيد الذي خاطبه به.

خرجتُ ثمّ انطلقت السيارة القديمة وسرعان ما عدتُ إلى السرير مع «بيتي».

«أوه، هانك! يا لها من متعة!».

«بكلّ تأكيد يا حبيبتي! التصقتُ بمؤخّرتها الدّافئة ورحتُ في النَوم خلال ٤٥ ثانية.

٥

في صبيحة اليوم التالي لم يحدث أيّ تغيير.

«هذا كل شيء، يا تشيناسكي، لا عمل لك اليوم».

استمرّ الحال أسبوعًا. جلستُ هناك كل صباح من الخامسة صباحًا وحتى السابعة صباحًا ولم أتقاض أجرًا. حتّى اسمي تمّ شطبه من جولة التجميع الليليّ.

---

(١) الحجر.

عندها قال لي بوبي هانسن، أحد أقدم المناوبين في العمل، «فعلها بي مرّة. حاول تجويعي».

«لا يهمّني. لن أقبّل مؤخرته. سأستقيل أو أجوع، أي شيء».

«لستَ مضطرًا. قم بتبليغ محطة بريل بالأمر كل ليلة. أبلغ المُشرف انّك لا تتلقّى أي عمل ويمكنك أن تشارك كمناوب إرساليّات خاصّة».

«هل يمكنني القيام بذلك؟ ألا توجد قوانين تُخالِف هذا الأمر؟»

«حصلتُ على راتب كل أسبوعين».

«شكرًا بوبي».

٦

لا أذكر متى بدأ العمل. السادسة أو السّابعة مساءً. شيء من هذا القبيل.

كلّ ما كان عليك فعلُه أن تجلس ومعك حفنة من الرسائل، وتتناول خريطة شارع وتعرف مسارك. كانت المسألة سهلة. استغرقَ جميع السائقين وقتًا أطول بكثير مما استدعت الحاجة لمعرفة مساراتهم، وأنا لعبتُها كما يجب. غادرتُ عندما غادر الجميع وعدتُ عندما عادوا.

ثمّ قُمتُ بجولةٍ أخرى. كان هناك وقت للجلوس في المقاهي، وقراءة الصحف، والإحساس بأنّي إنسان. كان لدي حتى الوقت لتناول وجبة الغداء. كلّما أردتُ إجازة، حصلتُ عليها. في أحد المسارات، كانت فتاة شابة ضخمة تتلقّى إرسالية خاصة كلّ ليلة. كانت تعمل

مصنّعة للفساتين المغرية والأردية الليلية التي ارتدتها هي بنفسها. كنتُ أصعد درجها شديد الانحدار بسرعة حوالي الحادية عشرة مساء، وأدقّ الجرس وأسلّمها الإرسالية الخاصّة. كانت تُطلق صوتًا لاهثًا، على نحو، «أووووووووووووووووووه!» وكانت تقف قريبًا جدًا، ولم تكن تسمح لي بالمغادرة حتى تنتهي من القراءة، ثم تقول، «اوووووووه، تصبح على خير، أشكرك!»

«نعم يا سيّدتي»، قلت وأنا أغادر بقضيب كقضيب الثور. لكن الأمر لم يدم. فقد وصلت الرسالة التالية عبر البريد بعد أسبوع ونصف من الحريّة.

«السيّد تشيناسكي العزيز: أنت ملزم بالمثول في محطة أوكفورد فورا. أي رفض للقيام بذلك سيؤدي إلى اتخاذ إجراءات تأديبية محتملة ضدّك أو إلى إقالتك».

إي. جونستون، المدير المسؤول، محطّة أوكفورد.

عُدت إلى حَملِ الصليب مرة أخرى.

٧

«تشيناسكي! اسلك مسار ٥٣٩!»

أصعب مسار في المحطّة. شقق سكنية بصناديق بريد امّحت الأسماء عنها أو كانت بلا أسماء، تحت ضوء مصابيح صغيرة في مداخل معتمة. سيّداتٌ بالغات يقفن في الردهات، رائحاتٍ غادياتٍ في الشوارع، يسألن السؤال ذاته، كأنّهن شخص واحد بصوت واحد:

«أيها السّاعي، ألديك بريد من أجلي؟»

شعرتُ برغبة في الصراخ: «يا سيّدتي، كيف لي بحقّ الجحيم، أن أعرف من تكونين أو من أكون أو من يكون أيّ شخص؟»

عرقٌ يتصبب، صداع من أثر الخُمار، واستحالة تنفيذ برنامج العمل، وجونستون هناك مرة أخرى بقميصه الأحمر، يعلم بالأمر، ويتلذذ، متظاهرًا أنه كان يقوم بما يقوم به للحفاظ على أقل تكاليف. لكن الجميع كانوا يعلمون سبب قيامه بالأمر، كم كان شخصًا رائعًا!

الناس. الناس. والكلاب.

دعوني أروي لكم شيئًا عن الكلاب. كان يومًا من تلك الأيام التي وصلت درجة الحرارة فيها إلى ٣٨ درجة، ركضتُ، متعرّقًا، مريضًا، أهذي، مُصابًا بصداع الخُمار. وقفت عند شقة سكنية صغيرة. كان صندوق البريد فيها إلى الأسفل، بجانب المدخل الرئيسي. فتحته بواسطة مفتاحي. لم يُصدر صوتًا. ثمّ سمعتُ صوت شيءٍ يتزاحم في منفرجي. نظرتُ من حولي وكان هناك كلب من فصيلة كلاب الرعاة الألمانية، كان هرمًا، وأنفه في منتصف الطريق إلى مؤخرتي. بعضّة واحدة من فكّيه كان في مقدوره أن يمزّق خصيتيّ. قرّرت ألا يستلم هؤلاء الأشخاص بريدهم في ذلك اليوم، وربّما ألاّ يستلموا بريدهم أبدًا. أولج ذاك الأنف هناك. وأخذ يشمّ! ويشمّ! ويشمّ!

وضعتُ البريد مرة أخرى في الحقيبة الجلدية، ثمّ تقدّمت خطوة واحدة إلى الأمام بتؤدة. تبعني الأنف. وقفتُ بلا حراك. خرج الأنف. وظلّ فقط يقف هناك وينظر إليّ. لعلّه لم يشمّ مثل هذه الرائحة قطّ ولم يعرف تمامًا ماذا عليهِ أن يفعل.

ابتعدتُ بهدوء.

٨

كان هناك كلبُ آخر من نفس الفصيلة. كان صيفًا حارًا وقد خرج واثبًا من الفناء الخلفيّ ثمّ قفز في الهواء. اصطكّت أسنانه، مفلتةً وريدي الوداجيّ.

«أوه يا إلهي!» صرختُ «أوه يا إلهي! جريمة! جريمة! النجدة! جريمة!»

تحوّل إلى وحشٍ وقفز مرة أخرى. ضربتُ رأسه بالكيس البريديّ، فيما هو يقفز في الهواء، فتطايَرت الرسائل والمجلات. كان يتهيأ للقفز مرة أخرى عندما خرج شخصان، هما أصحابه، وأمسكا به. عندها، وفيما كان يشاهد ويهدر، التقطت عن الأرض الرسائل والمجلات التي كان عليّ أن أضعها من جديد في الشرفة الأمامية للمنزل المحاذي.

«أنتم مجانين تمامًا»، قلت للشابين، «ذلك الكلب قاتل. إما أن تتخلصا منه أو تبعداه عن الشارع!»

كدتُ أتعارك معهما لولا ذلك الكلب الذي كان يهدر ويندفع بينهما. توجهت إلى الشرفة المقبلة، وأعدتُ ترتيب بريدي على اليدين والركبتين.

كالعادة، لم يكن لدي الوقت لتناول الغداء، ولكنني ما زلت متأخرًا أربعين دقيقة عن الوقت المحدد للدخول.

نظر ستون في ساعته. «أنت متأخر أربعين دقيقة».

«أنت لم تصل يومًا» قلت له.

«ذلك سبب لكتابة تقرير».

«قطعًا يا ستون».

كان يملك الاستمارة الملائمة في آلة الكتابة، وقد بدأ بتعميرها. بينَما جلستُ أرتّب البريد وأقوم بتجميع البريد الراجع منه، جاءني وألقى بالاستمارة أمامي. كنتُ قد سئمتُ من قراءة التقرير وعرفتُ من رحلتي السابقة إلى مبنى الفدراليّة أن أيّ اعتراض لن يجدي نفعًا. دون أن ألقي نظرة، ألقيتُ بالتقرير في سلة المهملات.

٩

كان لكلّ طريق كمائنه ووحدهم السعاة المنتظمون يميّزونها. كل يوم هناك يخبىء شيئًا جديدًا، وكنتَ دائمًا تتهيأ لاغتصاب، لجريمة، لكلاب، أو لضَربٍ من الجنون. لم يكن المنتظمون ليخبروك شيئا عن أسرارهم الصغيرة. كانت هذه ميزتهم الوحيدة عدا عن حفظهم صناديقهم غيبًا. كان الأمر محمّسًا، خصوصًا بالنسبة إلى رجل شرب طوال الليل، ونام في الثانية صباحًا، ونهض في الرابعة والنصف صباحًا بعد الجماع والغناء طوال الليل، وأفلتَ تقريبًا من العقاب.

يومًا ما، كنت في الشارع وكانت الطريق على ما يرام، رغم جِدّتها، وقلت في نفسي، يا إلهي، لعلها تكون المرة الأولى منذ عامين التي قد أتمكّن فيها من تناول وجبة الغداء.

أصابني صداع رهيب من أثر الخُمار، ورغم ذلك سارت الأمور على نحو جيد إلى أن وصلتُ إلى حفنة من رسائل البريد الموجّهة للكنيسة. لم يحمل العنوان رقم شارع، ذُكر فقط اسم الكنيسة والجادة التي كانت تواجهها. مشيتُ خطواتٍ وبي صداع الخُمار. لم أتمكن من

العثور على صندوق البريد هناك ولم يكن يوجد أي شخص. بعض الشموع مشتعلة. بعض الطاسات لتغمس أصابعك فيها. والمنبر شاغر يتأمّل وجهي، وجميع التماثيل، ذات اللون الأحمر والأزرق والأصفر الشاحب، والعوارض المغلقة، صباح ساخن نتن.

يا إلهي، قلتُ في نفسي.

وخرجتُ.

حُمتُ حول الكنيسة ووجدتُ درجًا نازلا. دَخلتُ عبر باب مفتوح. أتدرون ماذا رأيت؟ صفًا من المراحيض والحمامات. لكنه كان مظلمًا. كل الأضواء مطفأة. كيف لهم بحق الجحيم أن يتوقعوا من رجل العثور على صندوق بريد في الظلام؟ ثم رأيت مفتاح الكهرباء. ضغطتُ عليه فأضيئت الأضواء في الكنيسة، من الداخل والخارج. دخلت الغرفة المجاورة، وكانت هناك أردية الكهنة متمددة فوق طاولة. كانت هناك زجاجة من النبيذ.

يا إلهي، قلتُ في نفسي، من غيري قد يُضبط في مشهد كهذا؟

التقطتُ زجاجة النّبيذ، ارتشفتُ منها كميّة كبيرة بجرعة واحدة، تركتُ الرسائل فوق الأردية الكهنوتيّة وعدتُ إلى الحمامات والمراحيض. أطفأتُ الأضواء، تغوّطتُ في الظلام ودخّنتُ سيجارة.

فكرت في الاستحمام ولكني تخيّلتُ عناوين الصحف: ضَبط ساعي بريد يشرب دم اليَسوع ويستحمَ، عاريًا، في الكنيسة الكاثوليكيّة الرومانيّة.

لذا، وفي نهاية المطاف، لم يكن لدي متسعٌ من الوقت لوجبة

الغداء وعندما وصلت، عاقبني جونستون بتقرير لتأخّري ثلاثًا وعشرين دقيقة عن الموعد.

اكتشفت في وقت لاحق أنه تم تسليم بريد الكنيسة إلى بيت الرعيّة بالقرب من الزاوية. لكنني الآن، طبعا، أعرف أين أتغوّط وأستحمّ عندما أكون منهكًا تمامًا.

١٠

بدأ موسم الأمطار. ذهبت معظمُ الأموال في الشرب، لذلك غزت الثقوب أسفل حذائي وكان معطفي الواقي من المطر ممزّقًا وقديمًا. في كلّ تهاطل غزيرٍ متواصلٍ للمطر، أبتلّ تمامًا، وأقصد بأنّي أبتلّ كليًا وصولاً إلى سروالي القصير وجواربي المشبعة والغارقة بالماء. كان السّعاة المنتظمون يتصلون ليبلغوا أنّهم مرضى من محطّات من جميع أنحاء المدينة، لذلك كان العمل متوفّرًا يوميًا في محطة أوكفورد، وفي جميع المحطات. حتّى المناوبون اتّصلوا وأبلغوا عن حالة مرض. أما أنا فلم أتّصل لأني كنتُ متعبًا جدًا عن التفكير بشكل سليم. هذا الصباح على وجه التحديد أرسلوني إلى محطة وينتلي. كان يومًا من تلك الأيام الخمسة العاصفة حيث انساب المطر على سور مائيّ متواصل ورفعت المدينة يديها، كل شيء يرفع يديه، شبكات الصرف الصحي لا يمكنها ابتلاع الماء بالسرعة الكافية، فيطفو الماء على الأرصفة، وفي بعض المقاطع يطفو على العشب والمنازل.

أرسلوني إلى محطّة وينتلي.

«قالوا إنهم بحاجة إلى شخص جيد»، قال ستون عندما خرجتُ وخطوتُ فوق لوح مائيّ.

أغلق الباب. عرفتُ أنّي سأغادر إلى وينتلي إذا تحركت السيارة القديمة، وقد تحركت بالفعل. ولكن ذلك لم يهم ـ لو لم يتم تشغيل السيارة، كانوا سيلقون بي على متن حافلة. ابتلّت قدماي.

أوقفني المُشرف في محطّة وينتلي أمام حقيبة البريد التي كان من المفروض أن أوزعها. كانت محشوة بالرسائل، وبدأت أحشوها أكثر بمعونة مناوب آخر. لم أر في حياتي حقيبة مثل هذه! كانت المسألة أشبه بنكتة سخيفة. عددتُ ١٢ جيبًا خارجيًا فيها.لا بد أن هذه الحقيبة كانت تسع لنصف مدينة. لم أكن أعلم بعد أنّ الطريق كانت كلّها هضابًا ملتوية. أيًا كان الشخص الذي صمّمها فهو مجنون.

أخرجنا الحقيبة خارجًا، وعندما هَممتُ بالرحيل، تقدّم منّي المشرف وقال «لا أستطيع أن أقدّم لك أيّ مساعدة في هذه المسألة».

«حسنًا» قلت.

حسنًا، اللعنة. اكتشفت لاحقًا أنه كان صديقًا لجونستون.

كانت بداية المسار في المحطة. وهو الأول من بين اثني عشر شارعًا التفافيًا. خطوتُ فوق لوح مائي وسلكتُ طريقي إلى أسفل الهضبة. كان ذلك الجزء الفقير من البلدة ـ بيوت صغيرة وساحات بصناديق بريد تملؤها العناكب، صناديق بريد معلّقة على مسمار واحد، نساء مسنّات في الداخل يلففن السجائر ويمضغن التبغ ويدندنّ لطيور الكناري ويراقبنني، أحمق تائهًا في المطر.

عندما يبتلّ السروال القصير فإنّه ينزلق إلى أسفل، ينزلق إلى أسفل

حتّى الإليتين، يصير خرقة مبتلة في المكان فقط بسبب منشعب السروال. بلل المطر الحبر في بعض الرسائل; لم تكن سيجارة واحدة لتبقى مشتعلة. كان عليّ أن أدخل يدي طوال الوقت في الجيوب وأخرج المجلات من هناك. كان هذا أول شارع، وكنتُ منهكًا. علا الطّين حذائي وكان شعوري سيئًا. بين الحين والآخر اصطدمتُ ببقعة زَلِقة وأوشكتُ على الوقوع.

فُتح أحد الأبواب وطرحت امرأة مسنة علي سؤالاً سمعته مئة مرة في اليوم:

«أين ساعي البريد **المنتظم**، اليوم؟».

«سيدتي، من فضلك، كيف لي أن **أعرف**؟ كيف لي بحق الجحيم أن أعرف؟ أنا هنا، وهو في مكان آخر!».

«أوه، **أنت فعلاً وقح**».

«وقح؟»

«نعم».

ضحكتُ ووضعتُ في يدها رسالة سميكة مشبعة بالماء، ثم ذهبت إلى الشارع التالي. قلتُ في نفسي ربّما إذا بدأتُ في الصعود نحو الهضبة سيكون الأمر أسهل.

امرأة مسنة أخرى اسمها نيلي، كانت تتصنّع اللطف، سألتني، «ألا تحب أن تدخل وتتناول كأسًا من الشاي وتنشف نفسك؟»

«سيّدتي، ألا تدركين أننا حتى لا نملك وقتًا لرفع سراويلنا؟»

«رفع سراويلكم؟»

«نعم، رفع سراويلنا!» صرختُ في وجهها ومشيت إلى السور المائي.

أنهيتُ الشارع الأول. استغرق الأمر ساعة. بقي أحد عشر شارعًا، يعني إحدى عشرة ساعة أخرى. مستحيل، قلت في نفسي. لا بدّ أنهم ألقوا عليّ أصعب مهمّة من البداية. كان العمل في مرتقى الهضبة أسوأ لأنّي اضطُررت أن أجرّ نفسي.

جاءت ساعة الظهر وولّت. بدون غداء. كنت في الشارع الرابع أو الخامس. حتى في اليوم الجاف كان المسار مستحيلاً. في المطر كان الأمر مستحيلا حتّى أنّي لم أحتمل التفكير في ذلك. كنتُ مبتلاً لدرجة أني ظننت أني سأغرق. وجدتُ شرفة أمامية تسرّب قليلا ووقفت هناك وتمكنت من إشعال سيجارة. كنتُ قد نفثتُ ثلاث مرّات هادئة عندما سمعتُ صوت امرأة مسنة خفيضًا من ورائي:

«يا ساعي البريد! يا ساعي البريد!»

«نعم يا سيّدتي؟» سألت.

«بريدك مبتلّ!»

بحثت في أسفل حقيبتي، وبثقة كافية، تركت الحاشية الجلديّة مفتوحة. وقد تسربت قطرة أو اثنتين من ثقب في سطح الحقيبة.

انصرفت. طفح الكيل، قلتُ في نفسي. فقط شخص أحمق كان سيوافق على أن يعيش ما أعيشه. سأعثر على هاتف، لأبلغهم أن يأتوا ليستلموا بريدهم ويدّسوه في مؤخراتهم. جونستون يكسب.

في اللحظة التي فكّرت فيها أن أستقيل، كان شعوري أفضل بكثير. رأيتُ عَبر المطر بنايةً في أسفل الهضبة بدت وكأن فيها هاتفًا. كنتُ في

منتصف الطريق إلى الهضبة. عندما وصلت اكتشفتُ أنه مقهى صغير. كان هناك جهاز تدفئة. حسنًا، اللعنة، قلتُ في نفسي، قد أنشف أيضًا. خلعتُ معطفي الواقي من المطر وقبعتي، ألقيتُ بحقيبة البريد أرضًا وطلبتُ فنجان قهوة.

كانت القهوة سوداء جدًا. مصنّعة من قهوة قديمة. أسوأ قهوة ذقتها في حياتي، لكنها كانت ساخنة. شربت ثلاثة فناجين وجلست هناك مدّة ساعة، إلى أن نشفت تمامًا. ثم ألقيتُ نظرة على الخارج: توقّف المطر!! خرجت وصعدتُ نحو الهضبة وبدأتُ بتوزيع البريد من جديد. استغرق ذلك مني الوقت اللازم حتى أنهيتُ المسار. في الشارع الثاني عشر كانت ساعة الشفق. مع عودتي إلى المحطّة حلّ الليل.

كان مدخل سعاة البريد مقفلاً.

طرقتُ الباب الصفيح.

ظهر أمامي موظّف صغير غير مبتلّ وفتح الباب.

«لماذا بحق الجحيم لزمك كلّ هذا الوقت؟» صرخ في وجهي.

توجّهتُ إلى خزانة التصنيف وألقيتُ عليها الحقيبة المبتلة المليئة بالرسائل الراجعة، والرسائل التي وضعوا عليها اسمًا خطأ والرسائل التي جمعتها للإرسالية. بعدها كان علي أن أوقّع على استلامي وإعادتي المفتاح. لم أكلّف نفسي عناء. وقف هناك. نظرت إليه.

«أيها الصبي، إذا أضفت كلمة أخرى لي، إذا جرؤت حتى على العطس، أقسم بأني سأقتلك!».

لم ينبس الصبي بكلمة. وقّعتُ وخرجت.

في صبيحة الغد بقيتُ أنتظر جونستون ليستدير ويقول شيئا. لكنه

تصرّف كأن شيئا لم يحدث. توقف المطر ولم يعد أيٌّ من المنتظمين مريضًا. أرسل ستون ٣ عمال مناوبين إلى البيت دون أن يدفع لهم أجورهم، كنت أنا من بينهم. أوشكت أن أقع في حبّه.

عدتُ إلى البيت واستلقيتُ بجوار مؤخرة «بيتي».

١١

لكنّها أمطرت من جديد. أخرجني ستون لمهمّة تُدعى «تجميع يوم الأحد»، وإذا كنتم تعتقدون أن الأمر له صلة بالكنيسة، فأنتم مخطئون. على من يُرسل إلى «تجميع يوم الأحد» أن يصل إلى مرآب ويست ومن هناك عليه أن يأخذ شاحنة ودليلا. كان الدليل يعلمك بالشوارع، وبوقت الوصول، وكيف تصل إلى صندوق التجميع التالي. فمثلاً، الساعة ١٤:٣٢ ظهرًا، بيتشر زاوية أفالون (أي ثلاثة شوارع شمالاً، شارعان يمينًا)، الساعة ١٤:٣٢، وما أثار السؤال دائمًا كيف كان علينا تفريغ صندوق بريد واحد، والسفر ٥ شوارع في غضون ٣ دقائق وتفريغ صندوق بريد آخر. أحيانًا تطلّب الأمر مني أكثر من ٣ دقائق لتفريغ صندوق بريد في أيام الأحد. لم تكن مواعيد العمل أيضًا مضبوطة دائما. أحيانا اعتبروا الزقاق شارعا وأحيانا أخرى اعتبروا الشارع زقاقاً. لم نعرف أبدًا أين نحن بالضبط.

في نفس اليوم، هطلت كميات من الأمطار بلا انقطاع، تلك الأمطار القويّة التي لا تتوقّف. لم أكن أعرف المنطقة التي سافرتُ إليها، وكان هناك ما يكفي من الضوء لأقرأ الدليل. لكن كلّما أوغلت الدنيا في الظلام تعسّرت القراءة (على ضوء لوحة القيادة في الشاحنة)

أو تعسّر إيجاد صناديق التجميع. عدا ذلك، كان الماء يطفو في الشوارع، وبلغ عدة مرات رسغ القَدَمين.

ثمّ انطفأ ضوء لوحة القيادة. لم أنجح في قراءة الدليل. لم أعرف أين أنا. كنت مثل رجل تائه في الصحراء بدون هذا الدليل. لكن لم يكن الحظّ سيئًا بأكمله. كان معي علبتان من عود الثقاب، وقبل كل صندوق بريد جديد كنت أشعل عود ثقاب، وأردد تعليمات السفر وأواصل القيادة. لمرّة واحدة، نجحتُ في التغلّب على المحنة، فيما جونستون كان في السّماء ونظر إلى أسفل ليرى ما سأفعله.

ثم توجّهتُ إلى الزاوية التي قصدتها، وقفزت إلى الخارج لتفريغ الصّندوق، وعندما عدت كان الدليل قد اختفى! جونستون الذي في السماء، ارحمني! تهت في الظلام وفي المطر. هل كنت حقًا أحمق؟ هل أنا من تسبب في وقوع هذه الحوادث لنفسي؟ ربّما كان ذلك صحيحًا. من المحتمل أن أكون غير طبيعيّ، وأني محظوظ لأني على قيد الحياة. تمّ إيصال الدليل سلكيًا بلوحة القيادة. تصوّرت أنه قد طار من الشاحنة في المنعطف الحاد الأخير. نزلتُ من الشاحنة وبنطالي مَثنيّ حتى ركبتيّ وبدأتُ أجتاز المياه التي وصل ارتفاعها ما يقارب نصف متر. ساد الظلام. لم أعثر على هذا الغرض اللعين! تقدمت في المشي، وأنا أضيء عيدان الثقاب ـ لكن عبثا، عبثا. لقد طُرِح بعيدا. عندما أدركت الزاوية كان لديّ عقل كافٍ كي ألاحظ في أي اتجاه كان التيار يتدفّق وأتبعه. رأيتُ غرضًا يطفو على طول التيار، أشعلت عود ثقاب، فرأيته! الدليل. مستحيل! كدتُ أقبّله. عدتُ عبر المياه إلى الشاحنة، دخلت، أعدتُ بنطالي إلى أسفل الساقين وأوصلتُ الدليل بلوحة القيادة سلكيًا. طبعًا كنتُ ساعتها قد تأخرت لكنني على الأقلّ

وجدتُ الدليل القذر الخاص بهم. لم أته في الشوارع الخلفيّة للا مكان. ولم أدقّ جرس الباب وأسأل أحدهم عن طريق العودة إلى مرآب مكتب البريد. سمعتُ زمجرة مقيتة من غرفته الأماميّة الدافئة:

«حسنًا، حسنًا، أنت إذن عامل البريد، **أليس كذلك**؟ ألا تعرف طريق العودة إلى مرآبك؟؟»

لذا قدتُ إلى الأمام، وأضأت عيدان الثقاب، وقفزتُ في تجمعات الماء الدائريّة وأفرغتُ صناديق التجميع.

كنتُ مرهقًا ومبتلاً وأعاني من صداع الخمار، لكنني كنت عادة على هذه الحال واجتزت التعب كما اجتزت الماء. بقيت أفكر في حمام دافئ، وقدمي «بيتي» الرائعتين، وبشيء يجعلني أواصل صورتي وأنا على كرسي مريح، ومشروب في اليد، وكلب يتقدّم نحوي، وأنا ألاطف رأسه. لكن هيهات. إشارات التوقف عند المحطّات على الدليل بدت لا نهاية لها وعندما بلغتى أسفله رأيت الكلمات «اقلب الصفحة» فقلبتُ الصفحة وكأني لا أعلم أن هناك قائمة أخرى من المحطات.

بعود الثقاب الأخير، انتهت آخر محطّة، أودعتُ بريدي فيها، وكانت الحمولة كبيرة، ثمّ قدتُ عائدًا إلى مرآب ويست. كان المرآب في الطرف الغربيّ للبلدة وغربًا كانت الأرض مستوية، ولم يستطع نظام الصرف الصحيّ معالجة مسألة المياه وكلما أمطرت مدّة من الوقت، عانى الناس ممّا وصفوه بـ«الفيضان». وكان الوصف دقيقًا.

مع الاقتراب من المرآب، ازدادت المياه ارتفاعا. لاحظتُ سيارات متوقفة وخالية من حولي. خسارة. كل ما أردته هو مقعد وكأس ويسكي

في يدي وتأمّل مؤخرة «بيتي» تتمايل في جميع أنحاء الغرفة. ثمّ التقيت بتوم موتو عند إشارة المرور، وهو أحد عمال جونستون المناوبين.

«أي طريق ستسلك؟» سألني موتو.

«تعلّمت أن أقصر مسافة بين نقطتين هي الخطّ المستقيم»، أجبته.

«لا يجدر بك» قال. «أعرف تلك المنطقة. إنها محيط».

«هراء» قلت، «يلزمك بعض الجرأة فقط. أتملك عود ثقاب؟»

أضأت العود وتركته عند الإشارة الضوئية.

«بيتي»، يا حبيبتي، أنا قادم!

أنا قادم.

ارتفعت المياه أكثر فأكثر لكنّ شاحنات البريد مصمّمة بشكل يرتفع عن الأرضيّة. سلكتُ الطريق المختصرة عبر الحيّ السكنيّ، بالسرعة القصوى، فيما المياه تتراشق من حولي. تواصل المطر، بكثافة. لم تكن هناك سيارات من حولي. كنت العنصر المتحرّك الوحيد.

«بيتي»، حبيبتي. نعم.

كان هناك شخص ما يقف في شرفته الأمامية، كان يضحك ويصرخ «يجب أن يصل البريد بأي ثمن!»

شتمته ولوّحت له بإصبعي الوسطى.

انتبهت إلى أن المياه كانت ترتفع إلى المقصورة، وتتدفّق المياه حول حذائي، ولكني واصلت القيادة. بقيت ثلاثة شوارع فقط!

ثم توقفت الشاحنة.

أوه، أوه. اللعنة.

جلستُ هناك وركلتها محاولاً تحريكها. اشتغلت مرة، ثم توقفت. بعدها لم تستجب. جلست هناك أنظر إلى الماء. لا بدّ انه بعمق قدمين. ماذا كان عليّ أن افعل؟ أن أجلس هناك حتى يرسلوا وحدة إنقاذ؟

ماذا قال الدّليل البريديّ بهذا الشأن؟ أين هو أساسًا؟ لم أعرف شخصًا رآه قط. هراء. أقفلتُ الشاحنة، وضعتُ مفاتيح تشغيل الشاحنة في جيبي ودخلتُ في المياه ـ وصولاً إلى خصري تقريبًا ـ ثمّ بدأتُ أتقدّم نحو مرآب ويست. كان المطر لا زال مستمرًا. فجأة ارتفعت المياه نحو ٦ أو ٧ سنتيمترات. مشيتُ على العشب ونزلتُ في الزاوية. ركنت الشاحنة على العشب الساحة الأمامية لأحدهم.

لوهلة، ظننت أن السباحة قد تكون أسرع، ثم استبعدتُ الفكرة التي بدت لي سخيفة. وصلت إلى المرآب وتوجّهتُ إلى المرسل. بَدَوتُ رطبًا وقد نظر إليّ.

ألقيتُ بمفاتيح الشاحنة ومفاتيح التشغيل. ثمّ كتبتُ على قصاصة ورقيّة: ماونتفيو بلاس ٣٤٣٥.

«شاحنتكم موجودة في هذا العنوان. اذهبوا واحضروها».

«أتقصد أنك تركتها هناك؟»

«أقصد أني تركتها هناك».

توجّهتُ نحو الساعة، وقّعت، تعرّيت حتى سروالي الداخلي ووقفت أمام جهاز التدفئة. علقتُ ثيابي فوق جهاز التدفئة. ثمّ نظرت في أنحاء الغرفة ووقف توم موتو بسرواله القصير بجانب جهاز آخر.

ضحكنا معًا.

«جحيم، أليس كذلك؟» سألني.

«لا يصدّق».

«هل تعتقد أن ستون دبّر الأمر؟»

«بكلّ تأكيد! حتّى أنّه تسبّب في هطول المطر!»

«هل توقّفت هناك؟»

قلت، «طبعا».

«وأنا أيضًا».

«اسمع يا عزيزي» قلت، «عمر سيارتي ١٢ عاما. أنت تملك سيارة جديدة. أنا متأكّد أنها لا تتحرّك هناك. ما رأيك لو تقوم بدفعي لتشغيلها؟»

«حسنًا».

ارتدينا ملابسنا وخرجنا. قام موتو بشراء سيارة جديدة قبل نحو ثلاثة أسابيع. انتظرت سماع محرك سيارته. لم يحدث صوتا. يا إلهي، قلت في نفسي.

تسرّب المطر إلى علبة السرعة.

خرج موتو من السيارة.

«لا فائدة. لا تعمل».

حاولت تشغيل سيارتي لكن بلا أمل. يجب أن يصدر شيء ما من البطاريّة، شرارة ما، حتى لو كانت ضعيفة. ضغطت على دواسة البنزين، ودفعتها مرة أخرى. اشتغلت السيارة. جعلتها تزمجر فعلاً. انتصار! قمتُ بتسخينها جيّدًا. ثم استندت وبدأت بدفع سيارة موتو الجديدة. دفعتها مسافة ميل. لم تكن حتّى لتطلق ضراطًا. دفعتها إلى

مرآب ما، وتركتها هناك، مختارًا الأرض العالية والشوارع الأكثر جفافا، عائدًا إلى مؤخّرة «بيتي».

١٢

كان ماثيو باتلز الساعي المحبوب لدى ستون. لم يأتِ باتلز في حياته مرتديًا قميصًا مجعدًا. وفي الحقيقة، كلّ ما ارتداه كان جديدا، بدا جديدًا. الحذاء، القميص، البنطلون، القبعة. كان حذاؤه يلمع ولم تبد على أي قطعة من ملابسه أنها غُسلت ولو مرة واحدة. إذا اتّسخ قميصه أو حذاؤه قليلا ألقى بهما في سلّة النفايات. في كثير من الأحيان كان ستون يقول لنا كلّما مرّ ماثيو:

«ها هو السّاعي يسير!» وعنى ستون ذلك. كادت عيناه تلمعان من فرط الحب.

وكان ماثيو يقف بجانب خزانة التصنيف، منتصب القامة ونظيفًا، ومتألقًا ومرتاحًا، حذاؤه يلمعُ بعناية، ويضع بمرحِ الرسائل في الصناديق المختلفة.

«أنت ساعٍ حقيقيّ يا ماثيو!»

«شكرا، سيد جونستون!»

في الخامسة صباحا من أحد الصباحات، دخلتُ وجلستُ انتظر من خلف ستون. بدا مسترخيًا قليلا من تحت ذلك القميص الأحمر. موتو كان بجانبي. قال لي: «اعتقلوا ماثيو البارحة».

«اعتقلوه؟»

«نعم، بتهمة سرقة البريد. كان يفتح رسائل معبد نيكالايلا ويستولي على النقود. بعد ١٥ عاما في الخدمة».

«كيف أمسكوا به، كيف اكتشفوا؟»

«النساء المسنّات. النساء المسنات كنّ يرسلن رسائل إلى نيكالايلا مليئة بالنقود ولم يتلقّين جواب شكر أو أي ردّ. أبلغ نيكالايلا مكتب البريد الّذي قام بدوره بمراقبة ماثيو. اكتشفوا انه كان يفتح الرسائل في الأسفل، بجانب جهاز التدفئة، ويُخرج منها النقود».

«ماذا تقول!»

«نعم.اعتقلوه في وضح النهار».

استندتُ إلى الخلف.

بنى نيكالايلا هذا المعبد الضخم وطلاه باللون الأخضر المغثي، أظن أن الأمر ذكّره بالمال، وكان لديه طاقم مكوّن من ٣٠ أو ٤٠ شخصًا لم يفعلوا شيئا غير فتح الأغلفة، وإخراج الشيكات والنقود، وتدوين المبلغ، واسم المرسل، وتاريخ الاستلام، إلخ. عاملون آخرون انشغلوا بإرسال الكتب والكتيبات التي ألّفها نيكالايلا، وصورة له عُلّقَت على الحائط،كانت صورة ضخمة لـ«ن.» برداء وذقن كهنوتيّين، وبجانبها لوحة مرسومة لـ«ن.»، كبيرة جدا وقد وجهها باتجاه المكتب، وكأنها تراقب ما يحدث.

ادّعى نيكالايلا انّه في إحدى المرّات التي كان يمشي فيها في الصّحراء التقى بعيسى اليسوع الّذي أخبره بكلّ شيء. جلسا معا على الصخرة وكشف له اليسوع كل الأسرار. الآن صار نيكالايلا ينقل الأسرار لمن له القدرة على احتمالها. كان إلى جانب ذلك يقيم طقسا

كلّ يوم أحد. دقّ معاونوه، الّذين كانوا أيضًا أتباعه، الأجراس متى حضر ومتى غاب.

تخيّلوا ماثيو باتلز يحاول الاحتيال على نيكالايلا الذي التقى باليسوع في الصحراء!

«هل قال أحد شيئًا لستون؟» سألت.

«هل تمزح؟»

جلسنا ساعة تقريبًا. أُرسِلَ أحد المناوبين ليقوم بمهامّ ماثيو. أوكلت للمناوبين الآخرين مهامّ أخرى. جلستُ وحيدًا خلف ستون. ثمّ نهضتُ وتوجّهت إلى طاولته.

«سيّد ستون؟»

«نعم، تشيناسكي؟»

«أين ماثيو اليوم؟ أهو مريض؟»

خفض ستون رأسه. حدّق في الورقة التي كانت في يده وتظاهر بالقراءة. عدتُ إلى مكاني وجلست.

في السابعة صباحا التفت إليّ ستون وقال:

«لا يوجد لديك عمل اليوم يا تشيناسكي».

وقفت ومشيت باتجاه المدخل. «صباح الخير يا سيّد جونستون. طاب نهارك».

لم يردّ. مشيت حتى وصلت إلى محل بيع المشروبات الروحية واشتريتُ نصف لتر ويسكي لوجبة إفطار.

١٣

كانت أصوات النّاس هي نفس الأصوات، بغض النظر عن المكان الذي حملت إليه البريد، سمعتُ الأشياء نفسها مرارًا وتكرارًا.

«تأخرت، أليس كذلك؟»

«أين السّاعي المنتظم؟»

«مرحبا بالعمّ سام!»

«أيها الساعي! أيها الساعي! هذا ليس لي!»

عمّت الشوارع بالمجانين والأغبياء. سكن معظمهم في بيوت جميلة ولم يبد أنّهم كانوا يعملون، وأنت تعجب كيف عاشوا هكذا. كان هناك شخص لم يسمح لك بأن تضع البريد في صندوقه. وقف في ممرّ ساحة البيت ونظر إلي أقترب وأنا على بُعد شارعَين أو ثلاثة، وقف هو هناك ومدّ يده إلى الأمام.

سألت بعض أولئك الّذين عملوا في هذا المسار:

«ما حكاية ذاك الشخص الذي كان يقف ويمدّ يده إلى الأمام؟»

«أي شخص يقف ويمدّ يده إلى الأمام؟»

سألوا. جميعهم كان لهم نفس الصّوت.

وفي يوم، وأنا أعمل في هذا المسار، رأيتُ الشخص الذي يمدّ يده إلى الأمام على بُعد نصف شارع منّي.

كان يتحدّث مع أحد الجيران، نظر إليّ وعرف أنّه يملك وقتًا ليعود ويلتقي بي. عندما أدار لي ظهره بدأتُ أركض. لا أظنّ أنّي وزّعتُ بريدًا في حياتي بهذه السّرعة، كلّ خطوة وحركة بلا توقّف أو

استراحة، كدتُ أتغلّب عليه. كانت نصف الرّسالة في فتحة صندوقه عندما استدار ورآني.

«أوه لا لا لا !» صرخ. «لا تضعها في الصّندوق!»

ركض في الشارع صوبي. كلّ ما رأيته هما قدماه الدائرتان في سرعة هائلة. لا بدّ أنّه ركض مائة متر فيما يقارب ٢.٩ ثانية.

وضعتُ الرسالة في يده. راقبته وهو يفتحها، عَبر الرّواق، فتح الباب ودخل إلى بيته. سيضطرّ شخص آخر أن يشرح لي معنى ما رأيت.

١٤

مرة أخرى عملتُ في مسار جديد. ستون دائمًا يضعني في المسارات الصعبة، لكن بين الحين والآخر، وبسبب الظروف، كان مجبرًا على إرسالي إلى أحد المسارات الأقلّ هلاكا. تقدّمتُ بشكل جميل في مسار ٥١١، وبدأتُ أفكّر في **وجبة الغداء** من جديد، الغداء الذي لم يكن.

كان حيًا سكنيًا متوسّطًا. خالٍ من المباني. مجرّد صفّ من المنازل المصطفّة مع مساحات عشبيّة مقلّمة. لكنه كان مسارًا **جديدًا**، وواصلتُ تقدّمي وسألتُ نفسي أين الكمين. حتّى حالة الطّقس تغيّرت.

والله، قلت في نفسي، سأفعلها! سأتناول وجبة الغداء، ثم أعود إلى برنامج العمل! الحياة، أخيرًا، صارت محتَملة.

هؤلاء الناس لم يملكوا حتى الكلاب. لم يقف أحد في الخارج

ينتظر البريد. لم أسمع صوت إنس لساعات. ربّما كنتُ قد بلغتُ مرحلة النضوج البريديّ، أيًا كان. تمشيت على طول المسار، وكنتُ فعالاً وشبه متفانٍ.

تذكّرتُ أحد السّعاة المسنّين وهو يشير جهة قلبه ويقول لي:

«يا تشيناسكي، يومًا ما سيحدث لك، سيحدث لك ها هنا!»

«سكتة قلبيّة؟»

«التفاني في العمل. سترى. ستكون فخورًا بذلك».

«هراء!»

لكنّ الرجل كان صادقًا.

فكّرت فيه ومشيت.

حملتُ رسالة مسجّلة.

توجّهتُ صوبَ الباب وضغطتُ على الجرس. فُتح شبّاك صغير في الباب. لم أتمكّن من رؤية الوجه. «رسالة مسجّلة!»

«قف بعيدًا!» قال صوت امرأة.

«قف بعيدًا لأرى وجهك!»

حسنًا، هذه مجنونة أخرى، قلتُ في نفسي.

«اسمعي يا سيّدتي، لست مضطرّة لرؤية وجهي. فقط سأترك الاستمارة داخل صندوق البريد ويمكنك أن تأخذيها من المحطّة. أحضري معك ما يثبتُ هويّتك».

وضعت الاستمارة في صندوق البريد وبدأتُ بمغادرة الشرفة.

فُتح الباب وركضَت المرأة نحو الخارج. كانت ترتدي إحدى تلك

العباءات الشفافة وبلا حمّالة صدر. فقط سروالا أزرق داكنًا. كان شعرها أشعث، بارزًا كأنه يحاول الهرب منها.

بدا أنها تضع على وجهها نوعًا من أنواع كريم البشرة، معظمه تحت عينيها. كان جلدها أبيض كأنّه لم يرَ ضوء الشمس قط وبدا وجهها متعبًا. فمها كان مفتوحًا. على شفتيها لمسة أحمر الشفاه، وكانت **مهتاجة** من رأسها حتى أخمص قدميها...

استوعبتُ كل هذا وهي تندفع نحوي. كنتُ أعيد الرسالة المسجلة إلى الحقيبة الجلديّة.

صرخَت، «أعطني رسالتي!»

قلتُ، «سيّدتي، عليك أن...»

أمسكت بالرسالة وركضت باتّجاه الباب ودخلت.

تبًا! لا يمكنني أن أعود بدون الرسالة المسجلة أو التوقيع! كان علينا حتّى أن نوقّع شخصيًا في المحطة على كلّ رسالة مسجّلة أخذناها.

«عفوًا!»

تبعتُها وثبتتُ قدمي في الباب في الوقت.

«عفوًا. تبًا لك!»

«انصرف!انصرف! انصرف! أيها الشرير!»

«اسمعي يا سيّدتي! حاولي أن تفهمي! عليك أن توقّعي على استلامك الرسالة! لا يمكنني أن أدعك تتسلمينها بهذه الطريقة! أنت تسرقين رسائل الولايات المتحدة البريديّة!»

«انصرف أيها الشرير!»

ضغطتُ على الباب بكلّ وزني واندفعتُ صوب الغرفة. كانت مظلمة. والستائر مقفلة.

«لا حق لك بدخول بَيتي! اخرج!»

«وأنتِ لا حق لك بسرقة رسائل البريد! إما أن تعطيني إياها أو توقّعي باستلامها. ثم سأغادر».

«حسنًا!حسنًا! سأوقّع».

أشرت لها إلى مكان التوقيع وأعطيتها قلم حبر. تأملت نهديها وباقي جسدها وقلت بيني وبين نفسي، خسارة أنها مجنونة، خسارة، خسارة.

سلمتني القلم والورقة الموقّعة - كان التوقيع عبارة عن خربشة. فتحت الرسالة، بدأت بقراءتها وأنا أستدير مغادرًا.

ثمّ ركضت أمامي ووقفت أمام الباب، وذراعاها ممدوتان. كانت الرسالة على الأرض.

«رجل شرير شرير شرير! أتيت هنا لتغتصبني!»

«اسمعي يا سيّدتي، دعيني أخرج!»

بيد واحدة حاولت أن أدفعها جانبًا. خدشت جانبًا من وجهي. أوقعتُ حقيبتي، وطارت قبعتي، وفيما كنت أمسك بمنديل لأنشف الدم، خدشَت الجانب الآخر.

«يا امرأة! ما مشكلتك!»

«أترى هناك؟ أترى هناك؟ أنت شرير!»

وحاولت أن تهاجمني مرة أخرى. أمسكتها من مؤخرتها ووضعت فمي على فمها. التصق نهداها بي، التصقت كلّها بي. أبعدت رأسها، بعيدا عني، وقالت:

«مغتصب! مغتصب! مغتصب شرير!»

هويتُ بفمي، وصلتُ إلى أحد نهديها، ثم انتقلتُ إلى الآخر.

«اغتصاب! اغتصاب! أنا أُغتَصَب!»

كانت على حقّ. أنزلتُ لباسها الدّاخليّ، فتحتُ سحّابي، أولجته فيها، ثمّ سحبتها نحو الأريكة. وقع كلانا فوقها.

رفعت هي ساقيها عاليًا.

صرخت «اغتصاب!».

أفرغتُ، أغلقتُ السّحاب، التقطتُ حقيبتي البريديّة وغادرتُ تاركًا إياها تحدّق في السّقف بصمت.

فاتتني وجبة الغداء ولم يكن بإمكاني الالتزام ببرنامج العمل.

«تأخرتَ ١٥ دقيقة» قال ستون.

لم أقل شيئًا.

نظر إليّ ستون. «إلهي العظيم، ما الذي حدث لوجهك؟» سألني.

ما الذي حدث **لوجهك** أنت؟» سألته.

«ماذا تقصد؟»

«انسَ».

١٥

أصابني صداع الخُمار من جديد، كانت موجة حرّ أخرى ـ أسبوع كامل بدرجة حرارة ٤٠. واصلتُ الشرب كل ليلة، وفي الصباحات المبكرة، كان ستون وكانت استحالة كلّ شيء.

بعض سعاة البريد ارتدوا خوذات شمسيّة افريقيّة، إلاّ أنا، كنتُ تقريبًا بنفس الهيئة، في الشتاء والصيف ـ ملابس مهملة، وحذاء قديم إلى درجة أن المسامير كانت تعلق في كفّي قدميّ. وضعت قطعة من الورق المقوى في الحذاء. ولكنها ساعدت بشكل مؤقت، فسرعان ما كانت المسامير تعلق في كعوب قدميّ.

انسالت الويسكي والجعة منّي، خرجت كميات من إبطي، وتجوّلت بالحقيبة الثقيلة على ظهري، مثل صليب، أُخرج منها المجلات، أوزّع آلاف الرسائل، ملتحمًا بطرف الشّمس.

صرخت امرأة ما في وجهي قائلة: «أيها السّاعي!أيها السّاعي! إنها ليست لي!»

نظرت. وقفت في الشارع الخلفيّ، أسفل الهضبة، وكنتُ أنا متأخّرًا في مواعيدي.

«اسمعي يا سيدتي، ضعي الرسالة خارج صندوق بريدك! سنلتقطها غدًا!»

«كلا! كلا! أريدك أن تأخذها في الحال!»

لوّحت بالغرض في الهواء.

«يا سيدتي!»

«تعال وخذها! إنها ليست لي!»

يا الهي.

ألقيتُ بالحقيبة. ثم رفعتُ قبعتي وألقيتُ بها فوق العشب. تدحرجت القبعة باتّجاه الشارع. تركتها واتجهتُ صوب المرأة. نصف شارع.

سرتُ تجاهها وانتزعتُ الرسالة من يدها، استدرت، وعدتُ.

كانت إعلانًا! بريد من الدرجة الرابعة. عن حملة بيع ملابس بنصف السّعر.

التقطتُ قبعتي عن الشارع، وارتديتُها. وضعتُ الحقيبة في الجانب الأيسر من عمودي الفقريّ، وبدأتُ العمل من جديد. ٤٠ درجة مئويّة.

عبرتُ أحد المنازل فلحقتني امرأة.

«أيها الساعي! أيها السّاعي! أتحمل رسالة من أجلي؟»

«يا سيّدتي، إذا لم أضع رسالة في صندوقك، هذا يعني أنّه لم يصلك أيّ بريد».

«لكنّي أعرف أنّك تحمل رسالة من أجلي!»

«ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟»

«لأن أختي اتصلت وقالت إنها ستكاتبني».

«سيّدتي، لا أحمل رسالة من أجلك».

«أعرف أنّك تحمل! أعرف أنك تحمل! أعرف أنها هناك!» مدّت يدها إلى حفنة الرسائل.

شيء!»

استدرتُ وغادرت.

«أعرف أنك تحمل رسالتي!»

امرأةٌ أخرى وقفت في شرفتها.

«تأخرت اليوم».

«نعم يا سيّدتي».

«أين الساعي المنتظم اليوم؟»

«انه يُحتضر بالسرطان».

«يُحتضر بالسرطان؟ هارولد يُحتضر بالسرطان؟»

«صحيح» قلت.

سلمتها بريدها.

«فواتير!فواتير!فواتير!» صرخت. «أهذا كلّ ما تحمله لي؟ الفواتير؟»

«نعم يا سيّدتي، هذا كلّ ما يمكنني أن أحضره لك.»

استدرتُ وغادرت.

لم يكن ذنبي أنهم استخدموا الهاتف والغاز والكهرباء وأنهم اشتروا كلّ أغراضهم بالدّين. وعندما سلّمتهم فواتيرهم صرخوا في وجهي ـ كأني أنا من قلتُ لهم أن يرّكبوا هاتف أو يشتروا تلفزيونًا بقيمة ٣٥٠ دولارًا بالتقسيط.

كانت المحطة التالية مسكنًا مكوّنًا من طابقين، جديدا نوعا ما،

بعشر أو اثنتا عشرة شقة. كان صندوق البريد في واجهة المدخل، تحت سقف الشّرفة. أخيرًا، يوجد بعض الظلّ. أدخلتُ المفتاح في الصندوق وفتحته.

«مرحبا بالعمّ سام! كيف حالك اليوم؟»

كان صوته عاليًا. لم أتوقّع صوت رجل خلفي. صرخ في وجهي، وكنتُ أنا عصبيًا من صداع الخمار. قفزتُ مذهولاً. كان الأمر مبالغًا فيه. أخرجتُ المفتاح من الصّندوق واستدرت. كل ما استطعتُ رؤيته هو باب شاشة. أحدهم كان هناك. شخصٌ هلامي وغير مرئيّ.

«تبًا لك!» قلت، «لا تناديني بالعمّ سام! لستُ العم سام!»

«أوه إنّك أحد أولئك **المتذاكين**، هه؟ لقاء سِنتين، سأخرج وأضرب مؤخّرتك.!»

أمسكتُ حقيبتي وألقيتُ بها على الأرض. طارت المجلات والرسائل في كلّ مكان. كان عليّ أن أرتّبها كلّها من جديد. خلعتُ قبعتي، وألقيتُ بها فوق الاسمنت.

«اخرج من هناك، يا ابن القحبة! أوه، إلهي العظيم، أتوسّل إليك! اخرج من هناك! اخرج، اخرج من هناك!»

كنتُ مستعدًا لقتله.

لم يخرج أحد. لم أسمع صوتًا. نظرت عبر باب الشاشة. لا شيء. كأنّ الشقة كانت خالية. لوهلة فكّرت في الدخول. ثم استدرت، جثمت على ركبتيّ وبدأتُ بترتيب المجلات والرسائل من جديد. هذا عمل رهيب. بعد عشرين دقيقة انتهيتُ من ترتيب الرسائل. أدخلتُ بعض الرسائل في صندوق البريد، ألقيتُ بعض المجلات في الشرفة،

أقفلتُ الصندوق، استدرت، نظرت مرة أخرى إلى باب الشاشة. لم يكن هناك صوت.

أنهيت المسار، فكّرت وأنا أسير لعلّه يتّصل ويخبر جونستون أني هدّدته. عندما أدخل يحسن بي أن أستعد لأسوأ الاحتمالات.

فتحتُ الباب وها هو ستون عند طاولته، يقرأ شيئا. وقفت هناك، انظر إليه، منتظرًا.

لمحني ستون ثم عاد يحدّق فيما كان يقرأ. بقيتُ واقفًا هناك، أنتظر. استمر ستون في القراءة.

«حسنًا» قلت أخيرًا، «ماذا حصل؟»

«بأيّ شأن؟» نظر إليّ ستون.

«بشأن المحادثة الهاتفيّة. هيا أخبرني كلّ شيء عن المحادثة الهاتفيّة. لا تجلس هناك فحسب».

«أية مكالمة هاتفية؟»

«ألم تتلقَ مكالمة هاتفية بشأني؟»

«مكالمة هاتفية؟ ماذا حصل؟ ما الذي كنت تفعله هناك؟ ماذا فعلت؟»

«لا شيء». مشيتُ لأرتّب أغراضي..

لم يتصل الرجل. ليس من دافع الشفقة. على الأرجح ظن أني قد أعود إذا اتّصل هاتفيًا.

واصلتُ السّير باتجاه الطاولة.

«ماذا فعلت هناك يا تشيناسكي؟»

«لا شيء».

أربك تصرّفي ستون إلى درجة أنه نسي أن يبلغني أني متأخر مدّة ٣٠ دقيقة ولم يكتب تقريرًا ضدّي.

١٦

في أحد الصباحات المبكرة رتّبتُ خزانة البريد بجانب جي.جي. هكذا نادوه: جي.جي. كان اسمه الحقيقيّ جورج جرين.

لكنهم نادوه جي.جي. لسنوات، وبعد مدّة صار يبدو كشخص اسمه جي.جي. عمل ساعيًا منذ أوائل العشرينات من عمره، والآن صار في أواخر الستينات من عمره. تلاشى صوته. ولم يعد يتكلّم. تكلّم بصوتٍ أجشّ. وعندما تحدّث لم يقل الكثير. لم يَكُن محبوبًا ولا كريهًا. كان موجودًا وحسب. امتلأ وجهه بالتجاعيد وبنتوءات وأكوام قبيحة من اللحم. لم يشعّ ضوء من وجهه. كان مجرد رفيق قديم صارم أدّى وظيفته: جي.جي.

بَدَت العينان مثل قطع باهتة من الطّين ملقاة في تجاويف العين. كان من الأفضل لو لم تفكّر فيه أو تنظر إليه. لكنّ جي.جي. بحُكم أقدميّته كان يعمل على أحد أسهل المسارات، على هامش منطقة ثريّة. في الواقع، يمكن القول إنها منطقة ثريّة. على الرغم من أن البيوت قديمة، إلا أنها كانت كبيرة، ومعظمها مكوّن من طابقين. تمّ قص العشب الأخضر الواسع مع الحفاظ على خضرته على أيدي البستانيين اليابانيين. بعض نجوم السينما عاشوا هناك. مثل رسّام كاريكاتير شهير. وأحد الكتاب الأكثر مبيعًا. ومحافظان سابقان. لم يتحدث معك أحد

في أي وقت عندما كنت في تلك المنطقة. لم تر إنسًا. المرة الوحيدة التي رأيت فيها شخصًا في بداية المسار، حيث المنازل أقل كلفةً. وهناك كان الأولاد يزعجون.

كان جي.جي. أعزب. ومعه صافرة. في بداية المسار، كان يقف طويلاً ومستقيمًا، يخرج صافرة كبيرة، وينفخ فيها، ويتطاير اللعاب في كل الاتجاهات. كان يفعل ذلك حتى يعرف الأولاد أنه هناك. جاء بالحلوى للأطفال. حضروا راكضين، وأعطاهم الحلوى وهو يسير في الشارع. جي.جي العجوز الطيب.علمتُ بحكاية الحلوى المرة الأولى التي عملتُ فيها على المسار. ستون لم يرغب في تسليمي مسارًا سهلاً لكن أحيانا لم يكن من الأمر بدّ. ثم واصلتُ طريقي وإذا بصبيّ صغير يظهر أمامي ويسألني:

«أنت، أين قطعتي من الحلوى؟»

فقلت، «أي حلوى يا صبي؟»

فقال الصبي، «**قطعتي**» من الحلوى! أريد **قطعتي** من الحلوى!

«اسمع أيها الصبي» قلت، «لا بد أنك مجنون. هل تسمح لك أمك بالتجوال هكذا في الشوارع؟

نظر إلي الصبيّ بغرابة.

لكن ج.ج. وقع يوما في مأزق. ج.ج العجوز الطيب. قابل فتاة صغيرة سكنت الحي منذ مدّة وجيزة. أعطاها بعض الحلوى. وقال لها «ما أجملك أيتها الفتاة الصغيرة! أريد أن أعرّفك على ابنتي الصغيرة!»

استمعت إليه الأم عبر النافذة فخرجت صارخة، متّهمةً ج.ج. بالتحرش الجنسيّ بالأطفال. لم تعرف شيئا عن جي.جي. لذلك عندما

رأته يعطي الحلوى للفتاة وقد قال جملته، كان الأمر مبالغا فيه بالنسبة لها. جي.جي العجوز الطيب. متّهم بالتحرش الجنسي بالأطفال. دخلتُ وسمعت ستون يتحدث في الهاتف ويحاول أن يشرح للأم أن جي.جي. رجل محترم. جلس جي.جي أمام طاولته، منذهلاً.

عندما أنهى ستون مكالمته، أقفل السماعة، فقلت له:

«لا تتملّق لتلك المرأة. عقلها قذر. نصف الأمهات في أمريكا، بعجيزات ضخمة نفيسة وفتياتهن الصغيرات الثمينات، ونصف الأمهات في أمريكا يمتلكن عقولاً قذرة. قل لها تبًا لك.»

هزّ ستون رأسه: «لا، الجمهور العامّ عبارة عن قنبلة موقوتة! قنبلة موقوتة!»

هذا كل ما استطاع أن يقوله. رأيت ستون قبل أن يقف ويتوسّل ويشرح لكلّ مجنون اتّصل ليتظلّم من أي شيء...

وقفتُ بجانب منضدة جي.جي، ورتّبتُ بريد مسار ٥٠١ الذي لم يكن سيئا جدًا. كان عليّ أن أبذل مجهودًا لأنهي ترتيب البريد بأكمله، لكن الأمر كان **ممكنًا**، وهذا ما مدّني بالأمل.

رغم أن جي.جي. حفظ بريد طاولته غيبًا، كانت يداه تتباطآن. ببساطة رتّب رسائل كثيرة في حياته - حتّى جسده الهامد ثار أخيرًا. رأيته يتعثر عدة مرات صباحًا. وقف وترنّح، أصيبَ بغيبوبة، ثمّ أفاق منها فجأة ووزع بعض الرسائل الأخرى في الصناديق. لم أحبّ الرجل بشكل خاصّ. لم تكن حياته جريئة، خلاصة الأمر كان صفرًا. لكن في كلّ مرّة رأيته يتعثّر، شيءٌ ما تحرّك بي. بدا مثل حصان مخلص لم

يستطع السيّر أكثر. أو مثل سيارة قديمة، ببساطة تخلّيت عنها في صباح أحد الأيّام.

كان البريد ثقيلاً، وانتابتني قشعريرة وأنا أراقب جي.جي. لأول مرة منذ أربعين عاما يفوته الإرسال الصباحي! قد يكون الأمر مأساويًا بالنسبة لرجل مثل جي.جي. يفتخر بمهنته وعمله. كنت قد فوّتت العديد من الإرساليات الصباحيّة، وكان علي أن آخذ الأكياس إلى الصناديق الموجودة في سيارتي، ولكن موقفي كان مختلفا بعض الشيء.

تعثّر من جديد.

إلهي العظيم، قلت بيني وبين نفسي، ألا يلاحظ أحد الأمر غيري؟

نظرت من حولي، لم يكترث أحد للأمر. جميعهم كانوا يقولون، مغتنمين الفرص، إنهم يستلطفونه ـ «ج.ج. رجل طيّب.» لكن «العجوز الطيّب» كان يغرق ولم يكترث أحد. أخيرا صار أمامي بريد أقل من بريد جي.جي.

ظننت أنه ربما أمكنني مساعدته في رفع مجلاته. لكن موظّفًا حضر وألقى بالمزيد من البريد أمامي، وكانت أمامي كومة تقريبا ككومة جي.جي. كدنا نقترب من بعضنا. تعثّرت لوهلة ثم طبقتُ أسناني ببعضها، فتحتُ ساقيّ، انقضضتُ على الرسائل كمن تلقى للتو لكمة قوية، لكنه يصرّ على المواصلة.

قبل دقيقتين من التوزيع، أنهيت وجي.جي ترتيب البريد، ووضع المجلات في الأكياس وفق العناوين، وتصنيف الرسائل التي أرسلت

في البريد الجوّي. نجحنا في المهمة. كان قلقي بلا مبرر.ثم ظهر ستون. حمل حزمتين من المناشير. أعطى حزمة لجي.جي. والأخرى لي.

«يجب توزيعها هي أيضا» قال، ثمّ غادر.

عرف ستون أننا لن نتمكّن من ترتيب وتوزيع الكومتين في نفس الوقت.

بضجرٍ، قمتُ بفكّ الحبال عن الرزمتين وبدأت بترتيب المناشير.

جلس جي.جي يحدّق في حزمة المناشير. ثمّ طأطأ رأسه، وضع رأسه بين يديه، وبدأ يبكي بهدوء.

لم أصدق ذلك.

نظرت من حولي.

لم يكن السعاة الآخرون ينظرون إلى جي.جي. كانوا يرتّبون رسائلهم ويرزمونها، ويتحدّثون ويضحكون مع بعضهم البعض.

قلت عدة مرات «هيه، هيه!»

لكنهم لم ينظروا إلى جي.جي.

اتجهتُ صوب جي.جي. لمستُ ذراعه: «جي.جي..» قلت، «ما الذي يمكنني أن أفعله من أجلك؟»

قفز عن كرسيه وركض صوب الدرج إلى حجرة ملابس الرجال. رأيته يذهب. لم يبد على أحد أنه لاحظ الأمر. وزعت بعض الرسائل الأخرى في الصناديق، ثم ركضتُ صوب الدّرج بنَفسي.

كان هناك، رأسه بين ذراعيه على إحدى الطّاولات. لكنّه لم يكن

يبكي تماما الآن. كان ينشج وينتحب. اهتزّ جسده كاملاً متشنجًا. ولم يتوقف.

ركضتُ نازلاً عن الدرج، مجتازًا جميع السّعاة، حتّى مكتب ستون.

«هيه، هيه، ستون! يا إلهي، يا ستون!»

«ما الأمر؟» سألني.

«انهار جي.جي.! لا أحد يكترث! انه يبكي في الطابق العلوي! يحتاج إلى مساعدة!»

«من يشرف على مساره؟»

«من أصلاً يهتمّ؟ أقول لك، انه مريض! يحتاج إلى مساعدة!»

«يجب أن أجد بديلاً له!»

نهض ستون عن مكتبه، التفت من حوله ناظرًا إلى سعاته لعلّ بينهم واحدًا إضافيًا في مكان ما. تحرك بعد ذلك عائدًا إلى مكتبه.

«اسمع يا ستون، يجب أن يأخذ أحدهم الرجل إلى البيت. أخبرني أين يسكن وأنا سأوصله بنفسي ـ على حساب وقتي. بعد ذلك سأتولّى أمر مسارك اللعين.»

نظر إليّ ستون:

«ومن سيوزّع بريدك؟»

«اللعنة على البريد!»

«اذهب ووزّع بريدك!»

ثم تحدث إلى مشرف آخر على الهاتف: «هالو، إيدي؟ اسمع، أحتاج شخصًا هنا..»

لن يحصل الأطفال على الحلوى اليوم. عدت إلى طاولتي. كان جميع السعاة قد غادروا. بدأت بترتيب المناشير. على طاولة جي.جي كانت كومة المناشير المربوطة. مرة أخرى تأخرت في مواعيد العمل. وفاتني التوزيع. عندما عدت متأخرا في ذلك اليوم، كتب ستون تقريرًا ضدي.

لم أرَ جي.جي. بعدها. لا أحد يعرف ماذا حدث له. ولم يذكره أي شخص مرة أخرى. «الرجل الطيب». الرجل المتفاني. الرجل الذي انتهى بسبب كومة مناشير محلّ ما ـ مع عرض اليوم: صابون غسيل مجاني عند عرض القسيمة ومع شراء بقيمة ٣ دولارات فما فوق.

١٧

بعد ثلاث سنوات صرتُ «مرسّمًا». كان ذلك يعني إجازة مدفوعة الأجر (المناوبون لم يحصلوا على إجازة مدفوعة الأجر) وأربعون ساعة أسبوعيّة مع عطلة لمدّة يومين. وقد اضطر ستون أيضًا لتعييني على ٥ مسارات مختلفة. هذا كل ما كنتُ مسئولاً عنه ـ ٥ مسارات مختلفة، عرفت أني مع الوقت سأتعلم المسارات جيّدًا بالإضافة إلى الاختصارات والكمائن الموجودة في كل مسار. كلّ يوم كان أسهل من سابقه. سأبدأ بالاعتناء بمظهري مثل الجميع.

بشكلٍ ما، لم أكن سعيدًا جدًا. لم أكن رجلا يبحثُ عن الألم، كانت هذه الوظيفة لا تزال صعبة بما فيه الكفاية، ولكن بطريقة أو

بأخرى افتقرتُ إلى سحر أيّام المناوبة - أيامًا كنتَ تجهل فيها ما سيحدث معك في الغد.

جاءني بعض المنتظمين وصافحوني.

قالوا «مبروك».

قلت «نعم».

«مبروك لأيّ شيء؟ لم أفعل شيئًا. الآن أصبحتُ جزءًا من الجماعة. استطعت أن أكون هناك لسنوات، وفي النهاية أن أختار مساري الخاص. أمكنني أن أتسلّم هدايا عيد الميلاد من الناس في مساري. وإذا اتصلت لآخذ إجازة مرضية، قالوا للمناوب المسكين «أين المنتظم اليوم؟ أنت متأخر. المنتظم لا يتأخر».

هكذا كان الوضع. ثم أعلنوا بلاغًا يقضي بمنع وضع أي قبعات أو معدات على الطاولات. معظم السعاة وضعوا قبعاتهم على الطاولة. لم يضرّ الأمر أحدا، ووفّر عناء رحلة إلى حجرة الملابس. الآن بعد ٣ سنوات من وضع قبعتي على الطاولة أمرتُ ألا أفعل بذلك.

كنتُ لا أزال أعاني من صداع الخُمار ولم أكن من النوع الذي يرتدي قبّعة فوق رأسه. لذلك كانت قبعتي فوق الطاولة، غداة إصدار الأمر.

هرول ستون نحوي وبيده التقرير. كان وضع أي معدّات فوق الطاولة مخالفًا لقواعدهم وأنظمتهم. وضعتُ التقرير في جيبي وواصلت ترتيب الرسائل في الصناديق. استدار ستون في كرسيه وراقبني. كان جميع المنتظمين الآخرين وضعوا قبعاتهم في خزائنهم. باستثنائي أنا وشخص آخر هو مارتي. ثم ذهب ستون إلى مارتي وقال

«اسمع يا مارتي، قرأت البلاغ. ليس من المفروض ان تكون قبعتك فوق الطاولة».

«أوه، أنا آسف يا سيّدي. هي عادة، أنت تعرف. آسف».

أخذ مارتي القبعة عن الطاولة وركض إلى حجرة الملابس ليضعها هناك.

في صبيحة اليوم التالي نسيت مسألة القبعة من جديد. جاء ستون ومعه التقرير.

قال إن وجود أي معدات فوق الطاولة يخالف قواعدهم وأنظمتهم. وضعت التقرير في جيبي وواصلتُ توزيع الرسائل في الصناديق.

في صبيحة اليوم التالي، دخلت ورأيت ستون يراقبني. تعمّد مراقبتي. انتظر ليرى ماذا سأفعل بالقبعة. جعلته ينتظر لحظة. خلعتُ القبعة عن رأسي، ووضعها فوق الطاولة.

هرول ستون نحوي ومعه التقرير.

لم أقرأه. ألقيتُ به في سلة المهملات، أبقيتُ قبعتي هناك، وواصلت توزيع الرسائل في الصناديق. سمعتُ صوت الآلة الكاتبة الخاصة بستون. سادت حالة من الغضب في صوت الأزرار.

تساءلت كيف تمكن من تعلّم الكتابة على الآلة الكاتبة؟.

حضر مرة أخرى. سلّمني تقريرًا أخر.

نظرتُ إليه.

«لا داعي لأن أقرأه. أنا أعلم ما به. مكتوب أني لم أقرأ التقرير الأول».

ألقيتُ بالتقرير الثاني في سلّة المهملات.

عاد ستون إلى آلته الكاتبة.

سلّمني تقريرًا ثالثًا.

«اسمع» قلت له، «أنا أعرف مضمون كل هذه التقارير. التقرير الأول كانت حول مسألة وضع قبعتي فوق الطاولة. والثاني لعدم قراءتي الأولى. والثالث لعدم قراءتي الأول والثاني».

نظرت إليه، ومن ثم ألقيتُ بالتقرير في سلة النفايات دون قراءته.

«اسمع، يمكنني أن أرميها بنفس السرعة التي تكتبها» قلت. «قد يستغرق الأمر ساعات، وسرعان ما سيبدو أحدنا سخيفًا. الأمر متروك لك.»

عاد ستون مرة أخرى إلى كرسيه وجلس. لم يكتب المزيد..

جلس يتأمل وجهي وحسب. لم أذهب في اليوم التالي. نمت حتى الظهر. لم أتصل لأبلغهم. ثم ذهبت إلى بناية الفدرالية. وأبلغتهم عن سبب زيارتي. أرسلوني إلى مكتب امرأة بالغة نحيفة. كان شعرها رماديًا وعنقها رقيقة جدا انحنت فجأة إلى الوسط، الأمر الذي تسبب في دفع رأسها إلى الأمام، فنظرت عاليًا عبر نظارتها إلى وجهي. «نعم؟»

«أريد أن أستقيل».

«تستقيل؟»

«نعم، أن أستقيل».

«هل أنت ساعي بريد منتظم؟»

«نعم»، قلت.

«تسك، تسك، تسك، تسك، تسك، تسك، تسك»، قالت مخرجةً هذا الصوت من شفتيها الجافّتين.

أعطتني الأوراق المناسبة وجلست هناك أعمّرها.

«منذ متى تعمل في مكتب البريد؟»

«ثلاث سنوات ونصف».

«تسك، تسك، تسك، تسك، تسك، تسك، تسك، تسك»، قالت، «تسك، تسك، تسك؟».

وهذا ما كان. عدتُ إلى منزل «بيتي»، وفتحنا زجاجة. لم أكن أعلم أنه بعد عدة سنوات سأعود لأعمل موظفًا، وأني سأظلّ موظّفًا محدودبًا فوق الكرسي مدّة تقارب ١٢ عاما.

II

١

في هذه الأثناء، استمرّت الحياة. كان حظّي في سباق الخيل وافرًا. بدأتُ أشعر بالثقة هناك. راهنتُ على مكسب ثابت يوميًا، بين ١٥ و٤٠ دولارًا. لم أطلب الكثير. اذا لم أحقّق مكسبًا من البداية، راهنتُ أكثر، بقدر قد يجعلني أكسب العائد الهامشي اذا ربح حصاني. صرتُ آتي يومًا بعد يوم، وكسبتُ فيها جميعها، ورفعتُ أصابع الفوز نحو «بيتي» وأنا عائد بسيّارتي.

ثم بدأت «بيتي» تعمل موظّفة على الآلة الكاتبة، وعندما تحصل صديقتك التي تسكن معها على عمل، تلاحظ الفرق فورًا. واصلنا الشرب ليلاً، كانت تخرج هي صباحا قبلي، وبها صداع الخمار. الآن عرفَت الإحساس. كنتُ أستيقظ في الـ ١٠:٣٠ صباحًا تقريبًا، أرتشف قهوتي بمتعة، أتناول بيضتين، ألاعب الكلب، أغازل زوجة ميكانيكي شابة تسكن في الشقة الخلفية، أتودد إلى راقصة تعرٍّ تسكن في الشقة الأمامية. أصل إلى السباق في الواحدة ظهرًا، وأعود بالمكسب، ثم أتنزه مع الكلب حتى محطة الباص وأنتظر عودة «بيتي» إلى البيت.

عشتُ حياة هانئة. وفي إحدى الليالي، فاتحتني «بيتي»، حبيبتي، بالموضوع، في أولّ كأس لنا:

«هانك، لا يمكنني أن أتحمّل أكثر!»

«أن تتحمّلي ماذا يا حبيبتي؟»

«الوضع».

«أي وضع يا حبيبتي؟»

«أنّي أعمل وأنت تتسكع ولا تفعل شيئًا. يعتقد الجيران أني أعيلك».

«مهلاً، فقد كانت فترة عملتُ فيها وتسكّعت انت».

«الأمر يختلف. أنت رجل، وأنا امرأة».

«اه، لم أعرف. ظننتُ أن كل الإناث يصرخن طوال الوقت مطالباتٍ بتساوي الحقوق».

«أعرف ما يدور مع تلك المرأة السمينة في الشقة الخلفية، التي تروح وتجيء أمامك ونهداها يطلّان..»

«النهدان يطلّان؟»

«نعم، النهدان! نهدا هذه البقرة البيضاوان الكبيران!»

«اممم.. انّهما فعلاً كبيران».

«أرأيت؟»

«إذن؟»

«لي أصدقاء هنا. يرون بالضبط ما يحدث!»

«هؤلاء ليسوا أصدقاء! هم مجرّد جماعة جبناء نمّامين!»

«وهذه القحبة في الشقة الأمامية التي تتظاهر بأنها راقصة!»

«هل هي قحبة؟»

«هي تضاجع كلّ شيء له قضيب».

«لقد جُننتِ».

«أنا فقط لا أريد أن يظنّ النّاس هنا أنّي أعيلك. الجيران...»

«اللعنة على الجيران! فيمَ يهمّنا تفكيرهم؟ لم نكترث من قبل. عدا عن ذلك، أنا من يدفع الإيجار. أنا من يشتري الطعام! أنا من يكسب في السباق. مالُكِ ملككِ. لم تكن حياتك من قبل أفضل مما أنت عليهِ الآن».

«لا، يا هانك، انتهى الأمر. لا أستطيع أن أتحمّل!»

قمتُ متوجّها إليها.

«بربّك، يا حبيبتي، انسي، كل ما في الأمر أنّك غاضبة قليلا».

حاولتُ أن أحضنها. دفعتني.

«حسنًا، اللعنة!» قلت.

عدت إلى مقعدي، أنهيتُ كأسي، وأردفته بآخر.

«انتهى الأمر. لن أضاجعك ولو مرة واحدة».

«حسنًا. احفظي فرجك لك. فهو أصلا ليس عظيمًا».

سألتني: «هل تريد أن تواصل السّكن هنا أم ترغب في الانتقال إلى مكان آخر؟».

«اسكني انت هنا».

«ماذا مع الكلب؟»

«سأتركه لك» قلت.

«سيشتاق إليك».

«أنا سعيد بأنّ أحدهم سيشتاق إليّ».

قمت، توجهتُ نحو السيّارة وأجّرت أول مكان رأيتُ عليه لافتة «للإيجار». انتقلت هناك في نفس الليلة.

للتوّ فقدتُ ٣ نساء وكلب.

٢

قبل أن أستوعبَ ما حدث، كنتُ قد صادقتُ فتاة شابة من تكساس. لن أدخل في تفاصيل تعارفنا. هذا ما حصل. بلَغَت من العمر ٢٣ عامًا، وأنا ٣٦ عامًا.

كان شعرها أشقر طويلاً وجسدها جيّدًا ومتينًا. لم أعرف، حينها، أنّها صاحبة أموال. لم تشرب الخمر، بخلافي. في البداية، ضحكنا كثيرًا. ذهبنا معًا إلى سباق الخيل. كانت جذابة، وفي كلّ مرة أعودُ إلى مقعدي، أجَد أحد الحمقى يحاول الالتصاق بها. كان هناك عشرات الحمقى. اقتربوا منها أكثر فأكثر. أما جويس فقد جلست فحسب. كان عليّ أن أهتمّ بأمرهم بإحدى الطريقتين: إمّا أن آخذ جويس وننتقل إلى مكان آخر، أو أن أقول للشخص:

«اسمع، يا رفيق، هذه الجميلة محجوزة! لذا تحرّك من هنا!»

لكن مسألة مصارعة الذئاب والخيل معًا، كانت أكبر منّي. بدأت أخسر.

واصلتُ الخسارة. المحترف يذهب إلى السباقات بمفرده. كنتُ أعي ذلك. لكنّي ظننتُ أني استثناء. اكتشفتُ أني لم أكن استثناء على الإطلاق. خسرتُ كلّ أموالي بسرعة كَغيري.

بعدها طلبَت جويس الزواج.

ما الضرر في ذلك؟ قلتُ في نفسي. أنا أساسًا عالق معها.

اصطحبتها إلى فيغاس لطقس زفاف رخيص، ثم عُدنا.

بعتُ السيارة بعشرة دولارات، وقبل أن أستوعبَ شيئًا ركبنا الحافلة متوّجهَين إلى تكساس، عندما وصلنا كان في جيبي ٧٥ سنتًا. كانت مدينة صغيرة، لا يتجاوز تعداد سكانها، على ما أعتقد، أقلّ من ٢٠٠٠ نسمة. وقد اعتُبرت في أحد المقالات العلميّة في إحدى الصحف الوطنيّة، آخر مدينة في الولايات المتّحدة يمكن لعدوّ أن يهاجمها بسلاح نوويّ. والآن أمكنني أن أفهم السبب.

كنتُ كلّ هذا الوقت، ودون أن أعلم، أهيئ طريق العودة إلى مكتب البريد. يا له من قدر.

كان لجويس بيت صغير في البلدة، ذهبنا إلى هناك ومارسنا الجنس وأكلنا. أطعمتني كما يجب، وبفضلها زاد وزني ولكنّي أيضًا نحفت. فقد كانت جويس زوجتي تطلب دائمًا المزيد من المضاجعة. كانت امرأة شبقيّة.

تنزّهتُ في البلدة، بمفردي، كي أبتعد عنها، وقد ظهرت على صدري ورقبتي وكتفيّ علامات عضّ. وفي مكان آخر أيضا، الأمر الّذي أقلقني أكثر وآلمني. أكلتني حيّا.

تمشّيتُ في أرجاء البلدة والنّاس ينظرون إليّ. عرفوا عن أمر

جويس، وعن طاقتها الجنسيّة، وأنّ والدها وجدّها امتلكا الأموال، والأراضي، والبحيرات، والمحميات المعدّة للصّيد أكثر من الجميع. أشفقوا عليّ وكرهوني في نفس الوقت.

في يومٍ، أرسلوا إليّ رجلاً قصير القامة أخرجني من سريري واصطحبني إلى جولة في البلدة، أشار إلى عدّة أماكن وقال، هنا يسكن فلان، وهذا المُلك تابع لوالد جويس، وهنا يسكن فلان، وهذا المُلك تابعٌ لجدّ جويس...

سافرنا كلّ صباح. حاول أحدهم تخويفي. شعرتُ بالملل. جلستُ في المقعد الخلفيّ وظنّ الرجل قصير القامة أنّي أفعوان، لأنيّ نجحتُ بأن أتزوّج من الملايين. لم يعرف أن الأمر حدث صدفة، وأنّي عملتُ ساعي بريد وأنّ في جيبي ٧٥ سنتًا.

عانى قصير القامة المسكين من مرض أعصاب وقاد بسرعة، وبين الحين والآخر ارتجف جسده وفقد السيطرة على السيارة. زلقت السيارة من جانب الشارع إلى الجانب الآخر، وكشطت على جدار بطول ١٠٠ متر مرة واحدة إلى أن نجح في السيطرة على نفسه.

«يا رجل! تروّ!» صرختُ من المقعد الخلفيّ.

هكذا إذن. حاولوا تخويفي. كان الأمر واضحًا. كان قصير القامة متزوّجًا من امرأة جميلة. في سنوات المراهقة، علقت زجاجة كولا في فرجها، واضطرّت للذهاب إلى الطبيب لإخراجها، وكما هو الحال في كلّ بلدة صغيرة، علم الجميع بإشاعة زجاجة الكولا، وظلّت الفتاة المسكينة وحيدة، فكان قصير القامة الشخص الوحيد الذي أبدى استعدادًا للزواج منها. ظفر بأفضل مؤخرة في البلدة.

أشعلتُ سيجارة أعطتني إياها جويس وقلتُ لقصير القامة، «يكفي، يا رفيق. خذني إلى البيت. وتروَّ في القيادة. لا أريد الآن أن أفجّر اللعبة».

لعبتُ دور الأفعوان كي أرضيَه.

«حاضر يا سيّدي، سيّد تشيناسكي. حاضر يا سيّدي!»

كان معجبًا بي. ظنّ أني أفعوان فعلاً.

عندما دخلتُ البيت، سألتني جويس، «أرأيتَ كلّ شيء؟»

«رأيت ما يكفي» قلت. وكنتُ أقصد أني أعلم بمحاولتهم لتخويفي. لم أعرف إن كان لجويس صلة بالموضوع أم لا.

ثمّ بدأت تنزع عنّي ملابسي وتدفع بي نحو السرير.

«لحظة، يا حبيبتي! فعلناها مرّتين ولم تحن الساعة الثانية ظهرًا بعد.

قهقهت وواصلت دفعي نحو السرير.

٣

كرهني والدُها بالفِعل. ظنّ أنّي أطمع في أمواله. لم يعنِ لي ماله شيئًا. حتّى ابنته الغالية البغيضة لم تعنِ لي شيئًا.

كانت المرّة الوحيدة التي رأيته فيها، عندما دخل يومًا، في العاشرة صباحًا، إلى حجرة نومنا. كنتُ وجويس في السرير، في قيلولة. لحسن الحظّ، للتوّ انتهينا من المضاجعة.

نظرتُ إليه من تحت طرف الغطاء. ولم أحتمل. ابتسمتُ له وغمزتُه غمزة قويّة.

خرج من البيت راكضًا يهدر ويشتم.

اذا كانت مسألة إقصائي عن المكان محتملة، فإنّه حتمًا سيهتمّ بالأمر.

كان الجدّ هادئا. زرناه في منزله وشاركناه شرب الويسكي واستمعنا إلى تسجيلات موسيقى الأرياف التي كان يملكها. كانت زوجته العجوز امرأة غير مبالية. لم تستلطفني ولم تكرهني. تعاركت طوال الوقت مع جويس، وأنا أخذتُ جانبها مرّة أو مرّتين. عجبها ذلك نوعًا ما. لكنّ الجدّ كان هادئًا. أظنّه كان متورطًا في المؤامرة.

في إحدى المرّات، جلسنا في أحد المقاهي وتناولنا وجبة، فيما الجميع يتملّقون من حولنا وينظرون إلينا..كان الجد، والجدة، وجويس وأنا.

ثمّ ركبنا السيارة وغادرنا المقهى.

«قل لي يا هانك، أرأيتَ في حياتك جاموسًا؟» سألني الجد.

«لا يا وولي. لم أرَ».

ناديته «وولي». كأننا أصدقاء من مدّة طويلة.

«هنا لدينا جواميس كثيرة».

«ظننتُ أنّها شبه منقرضة».

«لا.لا. يوجد العشرات منها هنا».

«لا أصدّق».

«أرِه، بابا وولي» قالت جويس.

يا لها من امرأة غبيّة. نادته «بابا وولي». لم يكن والدها.

«حسنا».

واصلنا السّفر إلى أن وصلنا إلى حقل محاط بجدار. كانت الأرض منحدرة ولم يكن من الممكن رؤية طرف الحقل.

كانت مساحته عدّة كيلومترات. لم يكن هناك شيء سوى العشب الأخضر والقصير.

«لا أرى أيّة جواميس» قلت.

«نحن في الاتجاه الصحيح»، قال وولي. «تسلّق الجدار وابدأ المشي. علينا أن نمشي حتّى نراها».

لم يكن هناك شيء في الحقل. ظنّوا أن مسألة مخادعة رجل مدنيّ مثلي أمر مسلٍ للغاية. تسلّقتُ وبدأتُ أمشي.

«أين الجواميس؟» سألتُ.

«إنها هناك. واصل السّير».

اللعنة، قلتُ في نفسي، هم يعزمون على مواصلة اللعبة حتى النهاية. فلاحون متخلّفون. سينتظرون حتّى أبتعد ثمّ يغادرون المكان بدوني وينفجرون من الضحك. حسنًا، فليغادروا. أستطيع العودة مشيًا. سأرتاح قليلاً من جويس.

مشيتُ سريعًا في الحقل وانتظرت أن يغادروا. لم أسمعهم يغادرون. واصلتِ السّير، ثم استدرتُ، وضعتُ يديّ حول فمي وصحت، «أين الجواميس؟»

جاءني الجواب من الخلف. استطعتُ أن أسمع وقع أقدامها فوق العشب. كانت ٣ جواميس، ضخمة، تماما كما هي في الأفلام، وجاءت راكضة واقتربت منّي بسرعة! أحدهم سبق الاثنين الآخرين بقليل. لم يكن هناك شكّ في وجهتها.

«اللعنة!» صحتُ.

استدرتُ وبدأت أركض. بدا الجدار بعيدًا. بدا وصولي إليه مستحيلاً. لم أسمح لنفسي بإهدار الوقت والنظر إلى الوراء. كان من الممكن أن تكون هذه اللحظة الوحيدة الزائدة. ركضتُ إلى الأمام، وعيناي مفتوحتان إلى آخرهما. ركضت! لكنّها اقتربت منّي أكثر! استطعتُ أن أشعر باهتزاز الأرض من حولي كلما داست فوق العشب واقتربت منّي. استطعتُ أن أسمع سيلان لعابها، ونفسها. قفزت بما تبقّى لي من قوى واجتزت الجدار. لم أتسلّقه. بل طرت من فوقه. وسقطت على ظهري داخل قناة، مدّ أحد هذه الجواميس رأسه من فوق الجدار ونظر إليّ من علٍ.

ضحك جميع من كانوا في السيارة. ظنوا أنه أطرف ما شاهدوه في حياتهم. ضحكت جويس أكثر من الجميع.

تجوّلت الجواميس الغبية لبعض الوقت عند الجدار ثم غادرت.

نهضت عن القناة وركبتُ السيارة.

قلت: «رأيتُ الجواميس، دعونا نذهب لنشرب شيئًا».

ضحكوا طوال الطريق. توقفوا من حين لآخر، ثم استأنف أحدهم وضحك معه الجميع مرة أخرى. في نقطة معينة، اضطرّ وولي لإيقاف

السيارة. لم يكن قادرًا على القيادة. فتح الباب وخرج وتدحرج فوق الأرض من فرط الضحك. حتّى الجدّة ضحكت، هي وجويس.

ثمّ انتشرت الحكاية في البلدة وخفّ خيلائي. كان عليّ أن أحلق شعري. قلتُ لجويس.

قالت: «اذهب إلى الحلاّق».

فقلت: «لا أستطيع. الجواميس هي السبب».

«هل تخاف من النّاس عند الحلاّق؟»

قلت: «الجواميس هي السبب».

قصّت لي جويس شعري.

كان عملُها فظيعًا .

٤

أرادت جويس العودة إلى المدينة الكبيرة. كانت البلدة الصغيرة، مع كلّ نواقصها ـ بحلاقة وبدون حلاقة ـ أفضل من المدينة الكبيرة. ساد فيها الهدوء. وامتلكنا منزلاً خاصًا بنا. أطعمتني جويس جيدا. كان اللحم وفيرا. لحم دسم، جيّد، مطهٍ جيّدًا. سأقول شيئًا واحدًا في حقّ هذه المرأة. كانت تجيد الطّهي. أجادت الطّهي أكثر من أيّ امرأة عرفتها في حياتي. الأكل مفيد للأعصاب والروح. الشجاعة تأتي من البطن ـ أما الباقي فيأس.

لكنّها أرادت الرحيل. وبّخها جدّها على الدوام، وهذا الأمر ضايقها. أمّا أنا، فقد استمتعتُ كثيرًا بِدَور الشرير. سرقتُ هذا الدّور

من ابن عمها، أزعر البلدة. لم يفعلها أحد من قبل. يوم ارتداء الجينس الأزرق، كان من المفروض أن يرتدي جميع سكان البلدة الجينس الأزرق أو أن يخاطروا بإلقائه في البحيرة. ارتديتُ البذلة الوحيدة التي كنتُ أملكها ووضعتُ ربطة عنق، وشيئًا فشيئًا، مثل الفتى بيلي، وفيما تتأملني العيون، مشيت في أرجاء البلدة، أنظر إلى النوافذ، ووقفتُ لأشتري السجائر. كسرتُ هذه المدينة إلى قطع كأنّها عود ثقاب.

لاحقًا، التقيتُ في الشارع بطبيب البلدة. أعجبني. كان دائمًا مخدّرًا. لم تعنني المخدرات، لكني إذا أردت أحيانا أن أختبئ من نفسي لعدة أيام، عرفت أنّه العنوان لكلّ ما أردت.

«علينا أن نرحل»، قلت له.

فقال: «من الأفضل لك أن تبقى هنا»، قال. الحياة هنا جيدة. يمكنك أن تصطاد الحيوانات والأسماك. الطقس رائع. ولا يوجد ضغط. يمكنك أن تصبحَ ملكا هنا».

«أعرف يا دكتور، لكنّها هي التي ترتدي البنطلون».

٥

ثمّ كتب الجدّ لجويس شيكًا بمبلغ كبير، ورحلنا. استأجرنا بيتًا صغيرًا أعلى هضبة، وجاءت جويس بفكرة أخلاقيّة سخيفة.

«علينا أن نعمل» قالت جويس، «لنثبت لهم أنك لا تنتظر منهم مالاً. لنثبت لهم أننا قادرون على الاعتناء بأنفسنا».

«يا حبيبتي، هذا كلام أطفال في المدرسة الابتدائيّة. كلّ أحمق

يجد لنفسه عملاً في أيّ مكان; يجب أن تكون ذكيًا فعلاً حتّى تنجح في الحياة بدون عمل. هذا ما يسمى «النجاح». أفضّل أن أكون من أولئك «النّاجحين».

رفضَت.

شرحتُ لها أن الإنسان لا يمكنه أن يجد عملا بدون سيارة. اتّصلت جويس بجدّها فأرسل لنا المال. قبل أن أستوعبَ ما يحصل، ركبتُ سيارة بلايموث جديدة. أرسلتني إلى الشوارع وأنا أرتدي بذلة جديدة، وحذاءً بـ ٤٠ دولارًا تقريبًا، قلت في نفسي، لا يهمّني، سأحاول أن أمدّد الأمر قدر استطاعتي. موظف إرساليات، كان هذا عملي. عندما تجهل فعل شيءٍ آخر، هذا ما تصير إليه ـ موظف إرساليات، موظّف طلبيات، عامل مخزن. فحصتُ إعلانين، ذهبتُ إلى مكاني عَمل، وقبلوني للعمل في كليهما. شممتُ في المكان الأول رائحة عمل، لذا اخترتُ الثاني. وجدتُ نفسي أجلسُ أمام ماكينة شريط لاصق في متجر للفنون. كان العمل سهلا. اشتغلنا ساعة أو ساعتين على مدار اليوم. استمعت إلى الراديو، وبنيتُ لي مكتبًا صغيرًا من الخشب الرقائقيّ، ووضعتُ طاولة قديمة وهاتفًا هناك، وجلستُ أتصفّح أخبار سباقات الخيل. كنتُ أشعر أحيانا بالملل، فأنهض عن السرير، وأتوجّه إلى المقهى وأجلس هناك، ارتشفتُ القهوة، أتناول قطعة من الكعك ةأغازل النادلات.

كان يأتي سائقو الإرساليات:

«أين تشيناسكي؟»

«هو في المقهى المقابل».

حضروا إلى هناك، ارتشفوا القهوة، بعدها دخلنا زقاقًا ونفّذنا بالمهمة، أنزلنا من الشاحنة بعض الكراتين أو حمّلنا فيها بعض الكراتين التي تتعلّق بأوراق الإرساليات.

لم يقيلوني. حتّى رجال المبيعات استلطفوني. كانوا ينهبون رئيسي في العمل بلا حياء ولم أبح بشيء. تلك كانت لعبتهم الصغيرة. لم أتدخّل بالموضوع. لم أكن في حياتي لصًا صغيرا. أردت كلّ العالم، أو لا شيء.

٦

سادت أجواء الموت في ذلك المكان على الهضبة. عرفتُ ذلك في المرّة الأولى التي فتحتُ فيها باب الشّاشة وخرجتُ إلى السّاحة الخلفيّة. في اللحظة التي خرجتُ فيها تبادر إلى أذني صوت طنين هائل: ١٠،٠٠٠ ذبابة طارت في الجوّ بضربة واحدة. عجّت الساحات الخلفيّة بالذباب ـ كان فيها عشب أخضر وطويل، وعشّشت فيها الذباب، وقد راقت له.

يا إلهي، قلتُ في نفسي. لن تجد عنكبوتا واحدا على مرمى ١٠ كيلومترات!

وفيما كنتُ لا أزال أقف هناك، بدأت الـ ١٠,٠٠٠ ذبابة تهبط من السّماء وتستقرّ فوق العشب، على طول الجدار، وعلى الأرض، في شعري، على ذراعيّ، وفي كلّ مكان. لسعتني ذبابة وقحة.

شتمتُ، أسرعتُ واشتريتُ أكبر مبيد للحشرات يمكنك أن تراه. حاربته لساعات، وكنّا في حالة من الغضب، أنا والذباب، وبعد

ساعات من السّعال والشعور بالغثيان من أثر رائحة المبيد، نظرتُ من حولي فرأيتُ كميّات من الذباب تمامًا كما من قبل. أعتقد أن الذباب حطّ فوق العشب وأنجب ذبابَتين عن كلّ ذبابة قتلتُها.

استسلمتُ.

كان في حجرة النّوم قاطع من خشب يحيط بالسّرير. وُضعت فوقه الأصص وفي داخلها نبتة الجيرانيوم. عندما مارسنا الجنس أنا وجويس للمرة الأولى لاحظتُ أنّ الألواح تتحرّك وتهتزّ.

ثمّ، سمعتُ رطمة.

«أوه كلا!» قلت.

«ما المشكلة الآن؟» سألتني جويس. «لا تتوقف! لا تتوقّف!»

«يا حبيبتي، وقع أصيص على مؤخرتي».

«لا تتوقف! استمرّ!»

«حاضر، حاضر!»

استأنفت العمل، وسارت الأمور على ما يرام، ثمّ -

«تبًا!»

«ماذا حصل؟ ماذا حصل؟»

«يا حبيبتي، أصيص آخر ضربني في ظهري، وتدحرج حتّى مؤخّرتي ووقع على الأرض.»

«فلتذهب الأصص للجحيم! استمرّ! استمرّ!»

«حاضر...»

أثناء المضاجعة، تهاوت جميع الأصص فوقي. بدا الأمر أشبه بمضاجعة أثناء غارة جويّة. انتهى الأمر أخيرًا.

بعدها قلت «اسمعي يا حبيبتي، يجب أن نفعل شيئًا بشأن هذه الأصص».

«لا، لا تلمسها».

«لماذا يا حبيبتي؟»

«إنّها تضيف نكهة للأمر».

«تضيف نكهة للأمر؟»

«نعم».

قهقهت. لكنّ الأصص بقيت في مكانها. معظم الوقت.

٧

صرتُ أعود إلى البيت تعيسًا.

«ما المشكلة يا هانك؟»

شربتُ حتّى الثمالة كلّ ليلة.

«إنّه المشرف، فريدي. في الآونة الأخيرة، بدأ يصفر أغنية ما في الصّباح عندما أحضر ولا يتوقّف لحظة، وفي المساء عندما أغادر. الأمر متواصل منذ أسبوعين!»

«أية أغنية؟»

«حول العالم في ثمانين يومًا. لم أحبّ هذه الأغنية يومًا».

«حسنًا. جد لك عملا آخر».

«سأفعل».

«لكن استمر في عملك هناك حتى تجد عملاً آخر. يجب أن نثبت لهم أن...»

«حسنا، حسنا!».

٨

في ظهيرة يوم، التقيتُ في الشارع بعجوز مخمور. عرفته من أيام علاقتي مع «بيتي»، عندما اعتدنا التردد على الحانات. أخبرني أنه يعمل الآن موظّفا في البريد وأنّه لا عمل في هذه الوظيفة.

تلك كانت إحدى أكبر كذبات القرن. بحثتُ عن الرجل طويلا، لكنّي أخشى أن يكون أحدهم طاله قبلي.

مرّة أخرى، اجتزتُ امتحان القبول للخدمة المدنيّة. لكني هذه المرة أشرت حول خانة «موظّف» بدلاً من «ساعي بريد».

إلى أن تلقّيتُ إخطارًا بضرورة وصولي إلى مراسم أداء اليمين، توقّف فريدي عن إنشاد أغنية «حول العالم في ثمانين يوما»، لكني انتظرتُ العمل الهيّن مع «العمّ سام» بفارغ الصّبر.

قلت لفريدي، «هناك أمر بسيط عليّ أن أرتبه، قد آخذ استراحة لمدة ساعة أو ساعة ونصف لوجبة الغداء».

«حسنًا يا هانك».

لم أعلم كم ستطول مدّة وجبة الغداء هذه.

٩

كنّا عصابة كبيرة. نحو ١٥٠ أو ٢٠٠. أعطونا نماذج مملّة لتعميرها. ثمّ نهضنا وانتصبنا مثل العَلم. كان مع الرجل الّذي أقسَمَنا اليمين رجل آخر هو الّذي أقسمني اليمين في المرة السابقة.

بعد أن أدينا اليمين قال لنا الأول:

«هذا كلّ شيء، لديكم الآن عمل جيّد. حافظوا فقط على نزاهتكم، وستضمنون الأمان طيلة الحياة».

الأمان؟ الأمان موجود في السّجن. ٣ أمتار مربّعة، دون أجر شقة، دون حسابات، دون ضريبة دخل، دون نفقة أولاد. دون رسوم ترخيص. دون تقارير مرور. دون غرامة القيادة في حالة الثمالة. دون خسارات في سباقات الخيل. العلاج الطبي مجانًا. تعاشر من لهم اهتمامات مشابهة لاهتماماتك. كنيسة. جنس شرجيّ. دفنٌ مجانيّ.

بعد قرابة ١٢ عامًا بقينا اثنين من أصل ١٥٠ أو ٢٠٠. كما يوجد أشخاص لا يمكنهم أن يعملوا سائقي سيارات أجرة أو قوادين، أو تجار مخدرات، كذلك معظم الناس، ومعظم النّساء، لا يمكنهم أن يكونوا موظّفي بريد. أنا لا ألوم أحدًا. مع مرور السنين، رأيتهم يدخلون زمرا من ١٥٠ أو ٢٠٠، ومن كل مجموعة بقي اثنان، أو ثلاثة أو أربعة ـ بالضبط هو عدد الأشخاص المطلوب ليحلوا محل أولئك الذين تركوا العمل.

١٠

اصطحبنا المرشد إلى جولة في البناية. كنّا كثرا، واضطروا إلى تقسيمنا فرقًا. صعدت الفرق في المصعد حسب الدّور. أرونا كافيتيريا العمّال، والقبو، وكلّ الأشياء المملة.

يا إلهي، قلت في نفسي، ليته يُسرع قليلا. كان من المفروض أن أنهي وجبة الغداء منذ ساعتين.

ثمّ أعطانا المرشد بطاقات الحضور والانصراف. وبيّن لنا مواقيتهما.

«هكذا يوقّعون».

شرح لنا كيف نوقّع. ثم قال، «الآن وقّعوا بأنفسكم».

بعدها باثنتي عشرة ساعة وقّعنا البطاقات في طريقنا إلى الخارج. يا له من طقس لأداء اليمين.

١١

بعد تسع أو عشر ساعات، بدأ النّاس يشعرون بالنعاس وينامون على الطاولة، متمالكين أنفسهم في آخر لحظة. عملنا على تصنيف البريد حسب المناطق. إذا كانت الرسالة تابعة لمنطقة ٢٨، وضعناها في صندوق رقم ٢٨. كانت المسألة سهلة.

نهض شخصٌ أسود ضخم من مكانه ولوّح بيده حتّى نبقى يقظين. تأرجح فوق الأرضية.

«اللعنة! لا أستطيع تحمّل ذلك!»

كان أزعر قويًا وضخمًا. كان استخدام نفس العضلات مرارًا أمرًا متعبًا. شعرتُ بالألم في جميع أنحاء جسدي. وقف مشرف في آخر الممر، ستون آخر، وكان يملك تلك النظرة في عينيه ـ لا بدّ أنّهم يتمرّنون عليها أمام المرآة، فكلّ المشرفين امتلكوا نفس النظرة في العينين ـ ينظرون إليك كأنّك كومة من الخراء. مع ذلك، دخل جميعهم من نفس الباب. عملوا يومًا موظّفين أو سعاة بريد. لم أستطع أن أفهم ذلك. كانوا يصلون جميعا متأخرين.

كان يجب أن نُبقي قدمًا واحدة على الأرض طوال الوقت. والقدم الثانية على مقعد الراحة. كان ما وصفوه بـ«مقعد الراحة» عبارة عن وسادة مدوّرة صغيرة مرفوعة على ركيزة. كان الكلام ممنوعًا. سمحوا لنا باستراحتين لمدّة ١٠ دقائق لكلّ واحدة في ثماني ساعات. دوّنوا وقت خروجنا ووقت عودتنا من الاستراحة. من خرج لمُدّة ١٢ أو ١٣ دقيقة أبلغوه بذلك. ولكن الأجر كان أفضل مما كان في متجر الفنون. قلت في نفسي، قد أتعوّد على الأمر. ولم أتعوّد.

١٢

ثم نقلَنا المشرف إلى ممرّ جديد. مكثنا هناك عشر ساعات.

قال المشرف: «قبل أن تبدؤوا، أودّ أن أقول لكم شيئًا. عليكم أن توزعوا كل صينية بريد من هذا النوع في غضون ٢٣ دقيقة. هذا هو الجدول الزمني للإنتاج. الآن، وللتسلية فقط، دعونا نرى ما إذا أمكن كل واحد منكم أن يوفّق في الجدول الزمني للإنتاج! الآن، واحدا أو اثنين...هيا!»

اللعنة، ما هذا؟ قلت في نفسي. أنا متعب.

كان طول كلّ صينية نصف متر. وقد احتوت كل صينية على كميات مختلفة من الرسائل. كان بعضها ضعفي أو ٣ أضعاف الكمية الموجودة في غيرها. وهذا يتوقف على حجم الرسائل.

بدأت اليدان تتطايران. إنّه الخوف من الفشل.

لم أتعجل.

«عند الانتهاء من الصينية الأولى، خذوا الثانية!»

اجتهدوا حقا في ذلك. ثم قفزوا وأخذوا صينية أخرى.

وقف المشرف خلفي. «الآن»، قال مشيرًا إلي «هذا الرجل يعطي نتاجًا كما يجب. أنهى نصف صينيته الثانية».

كانت الصينية الأولى. لم أكن أعرف ما إذا كان يحاول خداعي أم لا، ولكن عندما أدركتُ أني أتقدم بفارق كبير عليهم، فتباطأت أكثر.

١٣

في الـ ٣٠ : ٠٣ صباحًا انتهت الاثنتا عشرة ساعة مدّة عملي. في ذلك الوقت لم يدفعوا للمناوبين ١٥٠ في المائة لقاء الساعات الإضافية. تلقينا أجرًا عاديًا. وعوملنا كـ«مناوبين مؤقتين لفترة غير محدودة».

ضبطتُ المنبّه لأكون في متجر الفنون في الـ ٠٠ : ٨ صباحًا.

«ماذا حدث، يا هانك؟ اعتقدنا أنك تورّطت في حادث طرق. بقينا ننتظر عودتك».

«أنا مستقيل».

«مستقيل؟»

«نعم، لا يمكنك لوم شخص لأنه يريد أن يتقدّم».

توجّهت إلى المكتب واستلمتُ شيكًا لي. عدتُ مرة أخرى إلى البريد.

١٤

في هذه الأثناء، كانت جويس معي، وكذلك نبتة الجيرانيوم، وبضع ملايين لو كنت فقط صمدتُ. جويس والذباب ونبتة الجيرانيوم. عملتُ في ورديات ليلية، ١٢ ساعة، وفي ساعات النهار لمستني بيديها محاولةً ممارسة الجنس معي. أكون نائما، فأستيقظ جرّاء يد تداعبني. وأفعلها. كانت حبيبتي المسكينة مجنونة.

في صباح يومٍ، عدتُ من عملي وقالت، «هانك، لا تغضب».

كنتُ متعبًا على الغضب.

«ماذا حدث يا حبيبتي؟»

«اشتريت لنا كلبًا. جروًا صغيرًا».

حسنًا. هذا أمر لطيف. لا توجد مشكلة مع الكلاب. أين هو؟»

«في المطبخ. أسميته «بيكاسو».

ذهبتُ إلى هناك ونظرت إلى الكلب. لم يتمكّن من رؤيتي. غطّى شعره عينيه. استدار ومشى. رفعته ونظرت في عينيه. بيكاسو المسكين!

«يا حبيبتي، أتعلمين ماذا فعلتِ؟»

«ألا يعجبك؟»

لم أقل إنه لا يعجبني. لكنه متخلّف. مستوى ذكائه يقارب ١٢. اشتريت لنا كلبًا متخلّفًا».

«كيف عرفت؟»

«يكفي أن أنظر في عينيه».

عندها بدأ بيكاسو يبول. كان طافحا بالبول. تدفّق البول أنهارا صفراء وثخينة على طول أرضية المطبخ. انتهى بيكاسو وركض ناظرا إلى بوله.

رفعته.

«نشّفه».

كان بيكاسو مشكلة أخرى.

كنتُ أستفيقُ بعد ليلة عمل مدّتها ١٢ ساعة، وجويس تحضنني من تحت نبتة الجيرانيوم، فأسألها، «أين بيكاسو؟»

فتجيب: «فليذهب بيكاسو إلى الجحيم!».

أنزل عن السرير، عاريًا، وذكري الضخم يتقدّمني.

«انظري، لقد تركته مرة أخرى في الساحة! قلت لك لا تتركيه في الساحة في ساعات النهار!»

ثم أخرج إلى الفناء الخلفي، عاريا، منهكًا ولا أقوى على ارتداء ملابسي. كان الفناء الخلفي محميًا نسبيًا. وهناك وجدتُ بيكاسو المسكين، مُحاطا بـ ٥٠٠ ذبابة تزحف في جميع أنحاء جسده في حلقات. فأركض وذَكَري (الذي ارتخى في هذه الأثناء) يتقدمني وأشتم

الذباب. دخل الذباب في عينيه، وتحت الشعر، وفي أذنيه، وعلى عضوه الذكري، وفي فمه... في كل مكان. وقف باسِمًا لي. يضحك لي، فيما البعوض يأكله. ربما كان أذكى منا جميعا. رفعته وأدخلته البيت وغنّيت له.

ضحك الكلب الصغير لرؤية هذه الرياضة؛

وهرب الصحن مع الملعقة»

«اللعنة يا جويس! كم مرة قلت لك!»

«ماذا تريد، أنت من روّضه. يجب أن يخرج أحيانا ليفعلها في الخارج!»

«نعم، ولكن عندما يفرغ، أدخليه. هو ليس ذكيًا بما فيه الكفاية ليدخل بنفسه. نظّفي برازه في الساحة بعد أن يفرغ. بسببك تحولت الساحة إلى جنة للذباب».

ثم سرعان ما أنام، وتبدأ جويس بمداعبتي. كانت الملايين لا تزال بعيدة جدًا.

١٥

غفوتُ فوق الكرسي، وأنا أنتظر الوجبة.

نهضتُ لأشرب كأسًا من الماء، وحين دخلت المطبخ رأيت بيكاسو يتوجه نحو جويس، ويعضّ كاحلها. كنتُ حافي القدمين، ولم تسمعني. ارتدت كعبًا عاليًا. نظرَت إليه وكان على وجهها تعابير كراهيّة سحيقة، بيضاء ولاذعة. ركلته بقوّة بكعبها. التفّ المسكين حول نفسه

وانتحب. تقاطَر البول من مثانته. أخذتُ كأس الماء. أمسكتُ بالكأس، وقبل أن أملأها بالماء، ألقيتها باتجاه الخزانة المتواجدة على يسار الحوض. تطاير الزجاج في كلّ الجهات. تمكنت جويس من تغطية وجهها. أما أنا فلم أكترث. حملتُ الكلب وخرجت. جلستُ معه فوق الكرسي ولاطفت الخرّاء الصغير. نظر إليّ وأخرج لسانه ولعق يدي. اهتزّ ذيله ورفرف مثل سمكة تُحتضر داخل كيس.

شاهدتُ جويس تجثو على ركبتيها وفي يدها كيس من ورق، تلملم الشظايا. ثم بدأت تبكي. حاولت أن تخفي بكاءها. أدارت لي ظهرها، لكني استطعتُ أن أرى الرعشات، تهزّها، تمزّقها.

أنزلتُ بيكاسو على الأرض ودخلت المطبخ.

«حبيبتي، حبيبتي، **لا تبكي**».

رفعتها من الخلف. كانت ضعيفة ومنهكة.

«حبيبتي، أنا آسف.. أنا **آسف**».

ضممتُها إليّ ووضعتُ يدي على بطنها. مسّدتُ بطنها ببطء وبرقّة، محاولا إيقاف التشنجات.

«اهدئي، حبيبتي، اهدئي الآن..»

هدئت قليلا. ضممتُ شعرها إلى الخلف وقبّلتها من وراء الأذن. كانت المنطقة دافئة. حرّكت رأسها جانبًا. في المرّة التالية عندما قبلتها هناك لم تحرك رأسها على الإطلاق. استطعتُ أن أشعر بِنَفَسها، ثم أطلقَت تنهيدة. رفعتُها وأخذتها إلى الغرفة الأخرى. جلستُ على الكرسي وجلسَت هي على ركبتي. لم تنظر إلي. قبلتها من الرقبة والأذنين. يد على كتفيها واليد الأخرى فوق الورك. حركت اليد التي

كانت فوق الورك إلى أعلى وإلى أسفل، بوتيرة نَفَسها، محاولا طرد الجو المتوتر.

أخيرًا، بابتسامة خفيفة، نظرت إليّ. مددت يدي وأمسكت بطرف ذقنها.

«قحبة مجنونة!» قلت.

ضحكت ثمّ تبادلنا القبل، وتحركت رؤوسنا إلى الأمام والخلف. بدأت تبكي من جديد.

ابتعدتُ عنها وقلت: «لا تبكي!»

تبادلنا القبل مرة أخرى. رفعتها وأخذتها إلى غرفة النوم، أرقدتها في السرير، خلعتُ بنطلوني وسروالي القصير وحذائي بسرعة، أنزلتُ سروالها حتّى حذاءها، خلعتُ لها فردة حذاء، وضاجعتها وهي بفردة حذاء أفضل مضاجعة في الأشهر الأخيرة. جميع نباتات الجيرانيوم وقعت عن الرفوف. عندما انتهيت، مسّدت ظهرها ببطء، داعبت شعرها الطريل، قلت لها كلاما. خرخرَت كالقطط. في النهاية، نهضت وذهبت إلى الحمام.

لم تعد. ذهبت إلى المطبخ وبدأت تغسل الأواني وتغنّي. يا الهي، لم يكن ستيف مكوين ليفعل ذلك بشكل أفضل منها.

كان معي الآن كلبان.

١٦

بعد وجبة العشاء أو الغداء أو أيًا كان ـ بعد ليلة مجنونة عملتُ

فيها مدة ١٢ ساعة كنتُ مغيّبا ـ قلت «اسمعي، يا حبيبتي، أنا آسف، لكن ألا ترين أن هذا العمل يثير جنوني؟ اسمعي، تعالي نتنازل عن الأمر. تعالي نرقد كل يوم ونمارس الجنس ونتنزه ونتحدث. تعالي نذهب إلى حديقة الحيوان. نتأمل الحيوانات. تعالي نسافر في السيارة ونتأمل المحيط. هو على بعد ٤٥ دقيقة من هنا. تعالي نلعب في ماكينات الحظ. تعالي معي إلى سباقات الخيل، إلى متحف الفنون، إلى مباريات الملاكمة. تعالي نقيم صداقات. نضحك. حياتنا الآن تشبه حياة الآخرين: هذا يقتلنا».

«لا، يا هانك، يجب أن نثبت لهم، يجب أن نثبت لهم...»

كان ذلك صوت الفتاة الصغيرة من البلدة الصغيرة بالقرب من تكساس.

استسلمتُ.

١٧

كل ليلة، كلما تهيّأتُ للخروج إلى العمل، حضّرت جويس ملابسي ووضَعَتها على السرير. كانت ملابس ثمينة. لم أرتدِ البنطلون نفسه مرتين، ولا القميص نفسه مرّتين، ولا الحذاء نفسه ليلتين على التوالي. كان هناك العشرات من القطع المختلفة للملائمة. ارتديتُ ما حضّرته. تمامًا كما كانت تفعل أمي.

لم أذهب بعيدًا في الحياة، كنت أقول في نفسي، ثمّ أرتدي ملابسي.

كان لديهم شيءٌ يُدعى «التدريب التأهيلي»، هكذا على الأقل لم نكن مضطرّين لتصنيف رسائل البريد لمدّة نصف ساعة كل ليلة.

صعد أحد الإيطاليين الأغبياء على منبر المحاضرين ليكشف لنا العالم.

«... الآن لا يوجد أطيب من رائحة عرق نظيف وجيّد، لكن لا يوجد أسوأ من رائحة عرق متعفّن...

يا إلهي، قلتُ في نفسي، هل سمعي سليم؟ لا شكّ أنّ ما يقوله يحظى بشرعية الحكومة. هذا الغبيّ السمين يقول لي بأن أغسل إبطي. لن يقولوا ذلك لمهندس أو لقائد فرقة موسيقيّة. هو يهيننا.

«... ثم استحمّوا يوميًا. ستكافَؤون على مظهركم كما على نتاجكم». أظنّه أراد أن يستخدم كلمة «نظافة hygienics» في نقطة ما لكنّها لم تخطر في باله.

توجّه نحو اللوح المتواجد خلف المنبر وفتح خريطة ضخمة. وأعني خريطة **ضخمة** فعلا. غطّت نصف المنصّة. أضيء ضوء على الخريطة الضخمة. تناول الإيطاليّ السمين عصا رأسها الصغير مسنن ومدوّر مطاطيّ كتلك التي استخدموها في المدرسة الابتدائيّة، وأشار نحو الخريطة:

«الآن، أترون كل هذا اللون الأخضر؟ حسنًا، موجود بوفرة هنا. انظروا!»

أمسك العصا وأخذ يفركها ذهابًا وإيابًا على طول اللون الأخضر.

الشعور بالعداء تجاه روسيا كان أكبر من اليوم. لم تبدأ الصين بعد

باستعراض عضلاتها. كانت فيتنام عبارة عن حفلة مفرقعات ناريّة صغيرة. لكن رغم ذلك قلت في نفسي إني أكيد جننت! لا يعقل أني أسمع بشكل سليم! لكن لم يعترض أحد من الحضور. كانوا بحاجة إلى عمل. وبحسب جويس، أنا أيضًا كنت بحاجة إلى عمل.

ثم قال: «انظروا هنا. ها هي **الاسكا**. وها هم! يبدو كأنّهم يستطيعون القفز، أليس كذلك؟»

«نعم» قال أحد الواهمين بالوظيفة في الصّف الأول.

شدّ الايطاليّ خيط الخريطة. انقلبت إلى أعلى وأحدثت صوت صرير صاخب.

بعدها توجّه نحو مقدّمة المنصّة ووجه عصاه ذات الرأس المسنن المطاطي صوبنا.

«أريدكم أن تفهموا أننا يجب أننا يجب أن نتقيّد بالميزانيّة! كلّ رسالة تدفعون بها نحو الصندوق ـ كل ثانية، كل دقيقة، كل ساعة، كل يوم، كل أسبوع ـ كل رسالة إضافية تدفعون بها نحو الصندوق تساعد على هزيمة الروس! يكفي لليوم. قبل أن تغادروا، سيحصل كلّ واحد منكم على مهمّة جداول.

مهمّة جداول. ماذا يقصد؟

جاء أحدهم ووزع علينا أوراقًا.

«تشيناسكي؟» قال.

«نعم؟»

«حصلت على منطقة ٩».

قلت: «شكرا».

لم أدرك ما أقول. كانت منطقة ٩ أكبر منطقة في المدينة. هناك من حصل على مناطق أصغر. كان الأمر أشبه بصينية بطول نصف متر في ٢٣ دقيقة ـ ببساطة فرضوا الأمر بالقوّة.

١٩

في الليلة التالية، عندما نقلوا الفرقة من المبنى الرئيسيّ إلى مبنى التأهيل، توقّفت لأتحدّث إلى غاس، بائع الجرائد العجوز. وصل غاس مرّة إلى المركز الثالث في بطولة وزن خفيف المتوسّط لكن لم يتسنّ له حتّى النظر إلى البطل. كان يميل إلى جانبه الأيسر، وكما تعلمون، لا أحد يحبّ التنافس مع أشول ـ عليك أن تدرّب جسدك من جديد. لم العناء؟ اصطحبني غاس إلى الداخل وارتشفنا جرعة من زجاجته. ثم حاولت الوصول إلى الفرقة.

انتظر الإيطالي عند الباب. رآني وأنا قادم. قطع نصف الطريق ليلتقي بي في الساحة.

«تشيناسكي؟»

«نعم؟»

«تأخرت».

لم أنبس بكلمة. مشينا معًا باتجاه المبنى.

قال: «فكرت في أن أضربك على معصمك برسالة إنذار».

«أوه، أرجوك لا تفعلها، يا سيّدي! أرجوك، لا!» قلت ونحن في طريقنا إلى المبنى.

قال: «حسنًا، سأسامحك هذه المرّة».

«شكرًا يا سيّدي!» قلت، ودخلنا معًا.

أتريدون أن تعرفوا شيئًا؟ ابن القحبة فاحت منه رائحة عرق.

٢٠

كُرِّسَت نصف السّاعة للتدرّب على الجدول. أعطوا كل واحد منا علبة بطاقات كان علينا حفظها غيبا وتوزيعها في الصناديق. ولاجتياز الاختبار كان يجب توزيع ١٠٠ بطاقة خلال ٨ دقائق أو أقل والنجاح في ذلك بنسبة ٩٥٪ على الأقل. حصل كلّ واحد على ٣ فرص، ومن فشل في المرات الثلاث أطلقوا سراحه. أقصد، أقالوه.

«بعضكم لن ينجح» قال الإيطالي. «ربّما مكانكم ليس هنا. ربّما ستنتهون إلى منصب رئيس جنرال موتورز».

ثمّ ارتحنا من الإيطاليّ وأحضروا لنا مرشدًا عمليًا للجداول، عمل على تشجيعنا.

«يمكن القيام بذلك، يا سادة، الأمر ليس صعبًا كما يبدو».

حصلت كلّ فرقة على مرشدها الخاصّ، وحصلت على علامات أيضًا وفق نسبة المشتركين في الفرقة الّذين اجتازوا الاختبار. حصلنا على مرشد بأقلّ علامة. كان قلقًا.

«الأمر ليس صعبًا على الإطلاق، يا سادة، فقط ركّزوا».

بعض الزملاء حصلوا على علب ورق رفيعة. وحصلتُ أنا على أضخم علبة.

فقط وقفتُ بهندامي الجديد والجميل. وقفتُ ويداي في جيوبي.

«تشيناسكي، ما المشكلة؟ سأل المرشد. «أعلم أنّك تستطيع القيام بذلك».

«نعم. نعم. لكنني الآن أفكّر».

«فيم تفكّر؟»

«لا شيء».

ثم انصرفت.

بعد أسبوع كنتُ لا أزال أقف ويداي في جيوبي، فتوجّه إليّ أحد المناوبين.

«سيّدي، أعتقد أني مستعدّ الآن لاختبار الجداول».

سألته: «متأكد؟».

«حصلت في التمارين على العلامات ٩٧، ٩٨، ٩٩، ومرّتين ١٠٠».

«يجب أن تفهم أننا استثمرنا مبالغ كبيرة من المال من أجل تأهيلك. نريدك أن تصل إلى أفضل مستوى!».

«سيّدي، أؤمن فعلاً أني مستعدّ!».

«حسنًا!»، قلت وأنا أصافح يده، «هيّا، يا فتى، بالنّجاح».

«أشكرك، سيّدي!»

هرول باتجاه غرفة الجداول، كان عبارة عن حوض سمك من زجاج يضعونك فيه ليروا أني كنت قادرًا على العَوم في مياههم. مسكينة أيّتها الأسماك. أي خسارة هذه لمنصب الرجل الأزعرفي اللبلدة

الصغيرة. توجّهتُ إلى غرفة التدريب، أزلتُ العصبة المطاطيّة، عن علبة البطاقات ونظرتُ إليها لأول مرّة.

«اللعنة!» قلت.

ضحك بعض الأشخاص. ثمّ قال المرشد المدرّب، «انتهت نصف الساعة مدّة تدريبكم. الآن عودوا إلى طابق العمل». يعني يجب العودة إلى العمل لمدّة ١٢ ساعة.

لم يكن في مقدورهم تشغيل عمّال مؤقّتين بما يكفي ليقوموا بإخراج البريد، لذلك من بقي منّا أدّى المهمّة بالكامل. في جدول العمل الموجود المكتوب على اللوح، أشاروا إلى أنّه يجب علينا أن نعمل لمدّة أسبوعين متواصلين، وعندها فقط سنحصل على إجازة لمدة ٤ أيام. هذا ما أمّدنا بالقوة لنعمل. الراحة لمدة ٤ أيام. عشيّة الإجازة كنّا نسمع صوتًا عبر جهاز الهاتف الداخليّ.

«انتباه! إلى جميع المناوبين في الفرقة ٤٠٩!...»

كنتُ أنا في الفرقة ٤٠٩.

«... تمّ إلغاء إجازتكم. عليكم القدوم للعمل في هذه الأيام الأربعة!»

٢١

وجدَت جويس عملاً في اللواء، قسم شرطة اللواء، لا أكثر ولا أقل. وجدتُ نفسي أعيش مع شرطية! لكن على الأقل كان ذلك في ساعات النهار، الأمر الذي منحني بعض الراحة من تلك اليدين

المدلّلتين غير أن ـ جويس اشترت ببغاوين، لكن اللعينين لم يتكلّما، كانا فقط يُطلقان الأصوات طوال النهار.

لم نكن نلتقي أنا وجويس على وجبات الإفطار ولا على وجبات العشاء ـ كان الأمر قصيرًا ولطيفًا جدًا هكذا. لكنها رغم ذلك نجحت في اغتصابي هنا وهناك، وكان ذلك أفضل من ذي قبل، باستثناء الببغاوين.

«اسمعي يا حبيبتي...»

«ما المشكلة الآن؟»

«حسنًا، تعوّدتُ على نبتة الجيرانيوم وعلى الذباب وعلى بيكاسو، لكن عليك أن تفهمي أني اعمل ١٢ ساعة ليلاً إلى جانب دراسة الجدول، وأنت تستغلينني وتستنزفين ما تبقى لي من طاقة...»

«استغلّك؟»

«حسنا، لم أصغها بالشكل الصحيح. أعتذر».

«ماذا تقصد بكلمة «استغلّك؟»

«قلت، انسي الأمر! اسمعي، الأمر يتعلّق بالببغاوين».

«الآن بات الأمر يتعلّق بالببغاوين! أهي تستغلّك أيضًا؟»

«نعم، بالضبط».

«بأيّة وضعيّة؟»

«اسمعي، لا تحوّلي الأمر إلى مهزلة. ولا يكن خيالك قذرًا. أحاول أن أقول لك شيئًا».

«الآن أنت تحاول أن تقول لي ماذا يجب أن أكون!»

حسنا! **اللعنة! أنت** التي تملكين المال! هل تسمحين لي بالكلام أم لا؟ أجيبي، نعم أم لا؟

«حسنًا، يا صغيري: نعم».

«حسنًا. صغيرك يقول: «ماما! ماما!هذان الببغاوان اللعينان يفقداني أعصابي!»

«إذًا، أخبر ماما كيف يُفقدك الببغاوان أعصابك».

«الأمر على هذا النحو، يا ماما، هما يثرثران طوال النهار، ولا يتوقفان، وأظل في انتظار أن يقولا شيئا ولكنهما لا يفعلان وأنا لا أستطيع النوم طوال النهار من الإصغاء إلى هذين الأحمقين!»

«حسنًا، يا صغيري. إذا كانا يمنعانك عن النوم، أخرجهما».

«أخرجهما، يا ماما؟»

«نعم، أخرجهما».

«حاضر، يا ماما».

ناولتني قبلة ثم نزلت عن الدرج مُحدثة قرقعةً في طريقها إلى عملها كشرطيّة.

أويتُ إلى الفراش، وحاولتُ أن أنام. كم ثرثر اللبغاوان! كل عضلة في جسدي آلمتني. حاولت أن أضطجع على هذا الجانب، وعلى الجانب الثاني، حاولت أن اضطجع على ظهري، لكني شعرت بالألم. وجدتُ أن الطريقة الأسهل هي الاضطجاع على بطني، لكني تعبت. استغرق الأمر دقيقتين أو ثلاث للانتقال من وضعية إلى أخرى.

استدرتُ وتقلبتُ، شتمتُ، صرخت قليلاً، وضحكتُ قليلاً، لسخافة الأمر. فيما واصل كلاهما الثرثرة. أفقداني أعصابي. ماذا عرفا

عن الألم داخل قفصهما الصغير؟ الأحمقان الثرثاران! كومتان من الريش فحسب؛ دماغان بحجم رأس الدبوس.

تمكنت من النهوض عن السرير، والذهاب إلى المطبخ، وملء كوب من الماء ثم توجهت نحو القفص، وسكبت الماء عليهما.

وشتمتهما: «يا أولاد القحبة!».

نظرا إليّ بحقد من تحت ريشهما الرطب. حافظا على صمتهما! لا شيء مثل المعالجة بطريقة المياه القديمة. استعرتها من الأطباء النفسيين.

ثم قام ذو اللون الأخضر بصدره الأصفر بِعَضّ نفسه في بطنه. ثم نظر إلى أعلى وشرع يثرثر

مع الأحمر ذي الصدر الأخضر، وعادا من جديد.

جلست عند حافة السرير، استمع إليهما. نهض بيكاسو وعضّني في الكاحل.

طفح الكيل. أخذت القفص إلى الخارج. تبعني بيكاسو. طارت ١٠٠٠٠ ذبابة مباشرة في الهواء. وضعت القفص على الأرض، فتحت باب القفص وجلست على الدرج.

نظر الطَّيرَان نحو باب القفص. لم يكن في مقدورهما أن يدركا ما يحصل لكنهما أدركا. شعرت أن عقليهما الصغيرين يحاولان أن التفكير. كان لديهما الغذاء والماء، لكن ما هذا الفضاء المفتوح؟

خرج الأخضر ذو الصّدر الأصفر أوّلاً. قفز عن العارضة باتجاه فتحة القفص. جلس مثبّتًا بالسّلك.

نظر من حوله نحو الذباب. وقف هناك لـ ١٥ ثانية، في محاولة

لاتخاذ القرار. ثم أدرك رأسه الصغير شيئًا. أو رأسها الصغير. لم يحلّق. انطلق مباشرة نحو السماء. عاليًا، عاليًا، عاليًا. إلى أعلى مباشرةً! مستقيمًا كالسهم! جلسنا، أنا وبيكاسو ونظرنا. اختفى الكائن اللعين.

ثم جاء دور الأحمر صاحب الصدر الأخضر.

كان الأحمر أكثر ترددا. دار في أرضية القفص، بعصبية. كان القرار صعبًا. البشر والطيور، الجميع عليهم اتخاذ هذه القرارات. كانت هذه مهمّة صعبة.

تجول الأحمر في القفص وفكر في الأمر. ضوء الشمس أصفر. الذباب يطنّ. رجل وكلب ينظران. كل تلك السماء، كل تلك السماء.

كان الأمر قد وصل حدّه. قفز الأحمر نحو السلك. ٣ ثوانٍ.

هوب!

اختفى الطّير.

أخذتُ وبيكاسو القفص الفارغ ودخلنا البيت.

نمتُ جيّدًا لأوّل مرّة منذ أسابيع. حتى أني نسيت أن أضبط المنبّه. امتطيتُ حصانًا أبيض وجُلتُ برودواي، في مدينة نيويورك. وانتُخبت للتوّ رئيسًا للمدينة. كان ذَكري منتصِبًا، ثم رمى أحدهم علي كرة كبيرة من الطين...وهزتني جويس.

«ماذا حدث للببغاوين؟»

«اللعنة على الببغاوين! أنا رئيس مدينة نيويورك!»

«سألتك عن الببغاوين! كل ما أراه هو قفص فارغ!»

«الببغاوان؟ الببغاوان؟ أيّ ببغاوين؟»

«استيقظ، اللعنة عليك!»

«هل كان يومك شاقاً في العمل الشاق يا حبيبتي؟ يبدو أنك عصبيّة».

«أين الببغاوان؟»

«قلتِ لي أن أخرجهما إذا ما أزعجاني في نومي».

«قصدت أن تضعهما في الشرفة الخلفية أو في الخارج، يا غبي!»

«غبي؟»

«نعم، أنت غبي! هل تقصد أنك سرّحت الببغاوين من القفص؟ هل تريد أن تقول أنك تركتهما يطيران من القفص؟»

«حسنًا، كل ما يمكنني قوله أنهما ليسا محبوسين في الحمّام، ولا في الدولاب».

«سيموتان جوعًا هناك!»

«يمكنهما أن يمسكا الديدان، ويأكلا التوت، وأشياء من هذا القبيل».

«لا يمكنهما، لا يمكنهما. هما لا يعرفان كيف! سيموتان!»

«فليتعلّما أو فليموتا» قلت، ثم استدرت ببطء وعدتُ إلى النوم. بالكاد سمعتُها تُعدّ

العشاء لنفسها، وترمي بأغطية القدور والملاعق على الأرض، وتشتم. لكن بيكاسو كان معي فوق السرير، في مأمن من أحذيتها الحادّة. وضعت يدي خارج الغطاء فلعقها ثم نمت.

نمت، لبعض الوقت. ثم شعرت أن أحدًا يداعبني. نظرت إلى

أعلى، فكانت تحدق في عيني كالمجنونة. كانت عارية، ونهداها يتدلّيان أمام عينيّ. دغدغ شعرُها أنفي. فكرتُ في ملايينها، رفعتُها، قلبتُها على ظهرها وأولجته فيها.

٢٢

لم تكن شرطية حقًا، كانت شرطية ـ موظفة. صارت تحكي لي عن الرجل الذي كان يضع دبوسًا أرجوانيًا في ربطة العنق وأنه «جنتلمان حقيقي».

«أوه، كم هو لطيف!»

سمعت عنه الحكايات كل ليلة.

«حسنا» كنت أسأل، «كيف حال الدبوس الأرجواني الليلة؟»

«آه»، وقالت «أتعرف ماذا حدث؟»

«لا، يا حبيبتي، لذا أنا أسأل».

«أوه، كم هو جنتلمان!»

«حسنًا. حسنًا. ماذا حدث؟»

«أنت تعرف، لقد عانى كثيرا!»

«بالطبع».

«توفيت زوجته، كما تعلم».

«لا، لم أكن أعلم».

«لا تغضب هكذا. أنا أقول لك، توفيت زوجته وكلفه الأمر ١٥ ألف دولار ثمن الفواتير الطبية والدفن».

«حسنا، وبعد؟»

«كنت أسير في رواق المحطة، جاء من الاتجاه الآخر. التقينا. نظر إلي، وقال بلهجته التركية:

«آه، أنت جميلة جدًا! ' هل تعلم ماذا فعل؟»

«لا، يا حبيبتي، أخبريني. أخبريني بسرعة».

«قبّلني في جبيني، برفق، برفق شديد. ثم مشى».

«استطيع أن أخبرك عنه شيئًا، يا حبيبتي. لقد شاهد أفلامًا كثيرة».

«كيف عرفت؟»

«ماذا تقصدين؟»

«انه يملك شاشة عرض drive - in. يشغّلها كل ليلة بعد العمل».

قلت: «لا أصدق».

قالت: «لكن يا له من جنتلمان!».

«اسمعي يا حبيبتي، لا أريد أن أمسّ بك، لكن ـ»

«لكن ماذا؟»

«اسمعي، أنت فتاة قادمة من بلدة صغيرة. أما أنا فقد عملتُ في أكثر من ٥٠ مكان عمل، وربما ١٠٠. لم يسبق لي أن بقيت فترة طويلة في أي مكان عمل. ما أحاول أن أقوله أن هناك لعبة معينة يلعبونها في المكاتب في جميع أنحاء أمريكا. يُصاب الناس بالملل، ولا يعرفون ما العمل، فيلعبون لعبة الرومانسية في المكاتب. غالبًا، لا تعني اللعبة شيئًا إلا تمرير الوقت. أحيانًا ينجحون في ممارسة الجنس مرّة أو مرّتين جانبًا. لكن حتى هذه المسألة هي مجرد تمرير للوقت،

مثل البولينج أو التلفزيون أو حفلة رأس السنة الجديدة. يجب أن تفهمي أن هذا لا يعني شيئا فلا تتأذي حينها، هل فهمت ما أعنيه؟»

«اعتقد أن السيد المُوالي يتصرف بنزاهة».

«سيخزك الدبوس، يا حبيبتي، لا تنسي أني لم أقل لك ذلك. احذري من أولئك المزيفين. فَهُم جميعا مخادعون».

«هو ليس مخادعًا. هو جنتلمان، جنتلمان حقيقي. ليتك مثله».

رفعت يديّ. جلست على الأريكة وأخرجت ورقة الجدول وحاولت أن أحفظ جادة ببكوك. تقسّمت ببكوك إلى ١٤، ٣٩، ٥١، ٦٢.

ماذا هذا بحق الجحيم؟ ألا يمكنني أن أتذكرها؟

٢٣

أخيرا حصلتُ على يوم عطلة، أتدرون ماذا فعلت؟ نهضتُ في وقت مبكر قبل عودة جويس ونزلت إلى السوق للتسوق قليلاً، وقد أكون جننت. تجولت في السوق، وبدلا من الحصول على شريحة لحم حمراء ولذيذة أو حتى بعض الدجاج المقلي، أتدرون ماذا فعلت؟ ذهبت إلى قسم المأكولات الشرقية وبدأت بتعبئة سلتي بالإخطبوطات والعناكب البحرية والحلزونات والأعشاب البحرية وهكذا دواليك. نظر إلي البائع نظرة غريبة، وبدأ بتسجيل الأغراض.

عندما عادت جويس في تلك الليلة، كان كل شيء مجهّزًا على

الطاولة. الأعشاب البحرية المطبوخة مع العناكب البحرية وأكوام الحلزونات الذهبية المقلية بالزبد.

اصطحبتها إلى المطبخ واستعرضت أمامها ما كان على الطاولة.

«طبختُ هذا على شرفك»، قلت، «تفانيًا في حبّنا».

«ماذا بحق الجحيم هذا القرف؟» سألت.

«حلزونات».

«حلزونات»؟

«نعم، ألا تفهمين أنه طوال قرون عديدة عاش الشرقيون بسعادة على هذه الأصناف؟ دعينا نكرّمهم ونكرّم أنفسنا. قليتُها بالزبد».

دخلت جويس وجلست.

بدأتُ أحشو الحلزونات في فمي.

«يا إلهي، كم هي رائعة، يا حبيبتي! جرّبي واحدة!»

مدّت جويس الشوكة إلى الصّحن وأدخلت واحدة في فمها بينما نظرت إلى الأخرى الموجودة في صحنها..

التقطتُ بشوكتي حفنةً كبيرة من الأعشاب البحرية اللذيذة.

«جيّدة، أليس كذلك يا حبيبتي؟؟»

مضغَت الحلزون في فمها.

«مقلية بالزبد الذهبيّ«!

التقطت بعضها بيدي، قذفت بها إلى فمي.

«هذا تقليد عمره مئات السنين، يا حبيبتي. ونحن لا يمكننا أن نفوته!»

ابتلعت أخيرًا حلزونها. ثم تأملت ما تبقى في صحنها.

«لجميعها توجد مؤخرات صغيرة! شيء فظيع! مرعب!»

«ما الفظيع في المؤخرة، يا حبيبتي؟»

وضعت منديلا على فمها. نهضت وركضت إلى الحمام. بدأت تتقيأ. صرختُ من المطبخ:

«ماذا يعيب المؤخرات، يا حبيبتي؟ لك موخرة، لي مؤخرة! تذهبين إلى المتجر وتشترين شريحة لحم بقر، وللبقرة مؤخرة! المؤخرة تتجول في كل الكرة الأرضية! بشكل ما، للشجر مؤخرة، لكن لا يمكن رؤيتها لأنها مغطاة بالأوراق. مؤخرتك، مؤخرتي، العالم يعج بمليارات الأنواع من المؤخرات. للرئيس توجد مؤخرة، للعامل في غسيل سيارات توجد مؤخرة. للقاضي والقاتل توجد مؤخرة... حتى لصاحب لدبوس الأرجواني توجد مؤخرة!»

«أوه توقف! توقف!»

تقيأت من جديد. الفتاة اللطيفة القادمة من البلدة الصغيرة. فتحتُ زجاجة الكحول وبدأت أرتشف منها.

٢٤

حدث ذلك بعدها بأسبوع، في حوالي الساعة ٧:٠٠ صباحًا. كنتُ لحسن حظي قد نجحت في الحصول على يوم عطلة إضافي، وبعد ورديتين في العمل، التصقتُ بمؤخرة جويس، نمتُ، نمتُ نومًا عميقًا، ثمّ رنّ جرس الباب فنهضتُ عن السرير وفتحتُ الباب.

وقف هناك رجلٌ صغير بربطة عنق. دفع إلي ببعض الأوراق وولى هاربًا.

كان استدعاء من المحكمة، دعوى طلاق. ها قد ضاعت علي الملايين. لكني لم أغضب، لأني لم أتوقع أن أحصل على ملايينها على أية حال.

أيقظت جويس.

«ما بك؟»

«أما كان في مقدورِكَ أن توقظني في ساعة ملائمة أكثر؟»

أريتها الأوراق.

«أنا آسفة يا هانك».

«لا بأس. كان يجب فقط أن تبلغيني. كنت سأوافق. للتو فقط مارسنا الجنس مرّتين وضحكنا واستمتعنا. لا أفهم. كنت تعلمين طيلة الوقت. يا إلهي، حاول أن تفهم عقل امرأة».

«اسمع، تقدمت بالدعوى بعد إحدى المرات التي تخاصمنا فيها. فكرت أني لو انتظرت حتى أهدأ لن أفعلها في حياتي».

«حسنا، يا حبيبتي، أنا أقدّر المرأة الصريحة. هل الأمر يتعلّق بصاحب الدبوس الأرجواني؟»

«الأمر يتعلق بصاحب الدبوس الأرجواني» قالت.

ضحكتُ. كانت ضحكة حزينة، أعترف. لكنها كانت ضحكة.

«لا حاجة لتخمين آخر. ستواجهين مشاكل معه. أتمنى لك حظًا

سعيدًا، يا حبيبتي. أنت تعلمين أن هناك أشياء كثيرة أحببتها فيك ولم تكن المسألة مسألة مال فقط».

بدأت تبكي على الوسادة، وعلى بطنها، وترتجف. كانت مجرد فتاة لطيفة قادمة من بلدة صغيرة، مدللة ومحيرة. وها هي ترتجف فوق السرير وتبكي ولم يكن الأمر تمثيلاً. كان الأمر فظيعًا.

سقطت الأغطية ووقفت أتأمّل ظهرها الأبيض وعظام كتفيها بارزة كما لو أنها أرادت أن تنمو وتتحول إلى أجنحة، أن تخرج من هذا الجلد. عظام صغيرة. كانت بلا حول ولا قوة.

جلستُ في السرير، مسدتُ ظهرها، داعبتها، داعبتها، هدأتها، ثم انكسرت مرة أخرى:

«يا هانك، أحبك، أحبك، أنا آسفة، أنا آسفة جدا، آسفة آسفة لذلك!»

كانت محطمّة بالفعل.

بعد فترة، بدأت أشعر وكأني أنا من يريد الطلاق منها.

ثم مارسنا الجنس مرة أخرى على شرف الأيام السعيدة.

حصلَت على الشقة، والكلب، والذباب، ونبتة الجيرانيوم.

ساعدَتني حتى في حزم أغراضي. ثنت بناطيلي جيدًا ووضعَتها في الحقائب. وحزمت سراويلي القصيرة وماكينة الحلاقة. عندما كنت على استعداد للرحيل بدأت بالبكاء مرة أخرى. عضضت على أذنها اليمنى، ثم نزلت أسفل الدرج مع أغراضي. دخلت السيارة وبدأت أجوب الشوارع بحثًا عن لافتة «للإيجار».

لم يبدُ الأمر حدثًا شاذًا.

III

١

لم أعترض على الطّلاق، لم أذهب إلى المحكمة. أعطتني جويس السّيارة. فهي لم تقُدها. كان كلّ ما خسرتُه ٣ أو ٤ ملايين. لكّنّي لا زلتُ أعمل في مكتب البريد.

التقيتُ «بيتي» في الشارع.

«رأيتكَ مع تلك القحبة منذ مدّة. هي لا تناسبك».

«لا يوجد واحدة تناسبني».

أخبرتها أنّ علاقتي بها انتهت. ذهبنا لمعاقرة الخمر. كبرت «بيتي» بسرعة. صارت أسمن. بانت عليها التجاعيد. كان جلدها مترهّلا أسفل الحلق. كان ذلك مؤسفًا. لكنّي أنا أيضًا كبرت في السّن.

فقدَت «بيتي» عملها. والكلب دُهس ومات. بدأت تعمل نادلة، ثمّ فقدت عملها عندما هدموا المقهى ليحوّلوه إلى بناية مكاتب. تسكن الآن في غرفة صغيرة في فندق حقير. غيرت الأغطية هناك ونظّفت الحمامات. شربت النبيذ. واقترحت أن نعود إلى بعضنا مرة أخرى. اقترحتُ أن نتروّى قليلاً. للتو خرجتُ من علاقة فاشلة.

عادت إلى غرفتها ولبست أفضل فستان لديها، وانتعلت كعبًا، حاوَلَت أن تبدو بأفضل حلية. لكن شيئا ما فيها كان حزينًا.

اشترينا زجاجة ويسكي صغيرة وبعض الجعة، وذهبنا إلى شقتي في الطابق الرابع في بناية قديمة. اتصلتُ بالعمل وأبلغتهم أنّي مريض. جلست قبالة «بيتي». أثنت ساقيها، ألقت بكعبها العالي، ضحكت قليلاً. بدا الأمر مثل أيّام خَلت.

تقريبا. شيء ما كان ينقصنا.

في ذلك الوقت، عندما اتّصل شخص ليبلغ أنه مريض، كان مكتب البريد يرسل على الفور ممرضة، للتأكد من أنك لم تكن ترتاد النوادي الليلة أو صالات البوكر. سكنتُ على مقربة من مكتب البريد المركزي، لذلك كان مريحًا لهم أن يتأكدوا من أمري. جلسنا أنا و«بيتي» نحو ساعتين عندما سمعنا طرقًا على الباب.

«ما هذا؟»

«الآن» همستُ، «اسكتي! خذي الحذاءين من هنا، اذهبي إلى المطبخ ولا تُحدثي صوتًا».

«لحظة!» أجبتُ الطّارق.

أشعلتُ سيجارة لأخفيَ رائحة الكحول، ثمّ توّجهتُ نحو الباب وفتحتُه قليلاً. كانت الممرضة. نفس الممرّضة. عرفتني.

«ما مشكلتكَ الآن؟» سألتني.

نفثتُ بعض الدّخان.

«اضطراب في المعدة».

«متأكّد؟»

«بطني تؤلمني».

«هل لكَ أن توقّع على هذه الاستمارة لنثبت أنّي كنتُ هنا وأنّك كنت في البيت؟

«بالتأكيد».

مرّرت الممرّضة الاستمارة نحو الدّاخل. وقّعتُ عليها. ثم أعدتها إليها.

«ستأتي غدًا إلى العمل؟»

«لا أستطيع أن أقول. إذا تحسّن وضعي، سآتي. إذا لم يتحسّن وضعي، فلن آتي».

نظرت إليّ باستخفاف وغادرت. عرفتُ أنّها شمّت رائحة الويسكي من فمي. أهذا يكفي كإثبات؟ لا يبدو، هناك جوانب فنيّة كثيرة، ولعلّها ضحكت عندما ركبت سيارتها مع حقيبتها الصغيرة السّوداء.

«حسنًا»، قلت، «امسكي حذاءك وتعالي إلى هنا».

«من كان على الباب؟»

«ممرضة من مكتب البريد».

«هل غادرت؟»

«نعم».

«يفعلون ذلك على الدّوام؟»

«لم يفوّتوا ولو مرّة واحدة حتى الآن. لنشرب الآن كأسًا كبيرة ونحتفل!»

ذهبتُ إلى المطبخ وملأتُ كأسين كبيرين. خرجت وناولتُ «بيتي» شرابها.

«نخبك»! قلتُ.

رفعنا الكؤوس، وقرعناها.

ثم رنّ جرس المنبّه، كان رنينه عاليا.

قفزتُ كما لو أصبتُ برصاصة في الظهر. لوّحت «بيتي» بقدمها في الهواء، مباشرة إلى أعلى. ركضت نحو المنبّه وأطفأته.

«يا إلهي» قالَت، «كِدتُ أفعلها وأتغوط في ملابسي!»

ضحكنا. ثم جلَسنا. شربنا الكأسين.

«كان لي صديق يعمل في مكتب اللواء» قالت. «كانوا يرسلون مفتّشًا للفحص، لكن ليس على الدوام، ربما مرة واحدة من بين خمس مرّات. في إحدى الليالي كنتُ أشرب مع هاري ـ كان اسمه هاري. في إحدى الليالي كنتُ أشرب مع هاري عندما طرق أحدهم على الباب. جلس هاري فوق الأريكة بملابسه' .يا إلهي! ' قال، وطار نحو السرير بملابسه، وتدثّر بالغطاء. خبأتُ الزجاجات والكؤوس تحت السرير وفتحتُ الباب. دخل شخص وجلس فوق الأريكة. كان هاري بحذائه وجواربه، لكنّه مغطّىَ تمامًا. قال الشخص، 'كيف حالك، يا هاري؟' ردّ هاري، ' لستُ بأفضل حال. هي هنا لترعاني ' مشيرًا إليّ. جلستُ هناك وأنا مخمورة' .حسنًا، أرجو أن تتحسّن يا هاري،' قال الشخص، ثمّ غادر. أنا واثقة أنّه رأى الزجاجات والكؤوس تحت السرير وواثقة أنّه عرف أنّ قَدمي هاري لم تكونا كبيرتين **بهذا الحجم**. كان وضعًا ضاغطًا».

«اللعنة، لا يدعون المرء يعيش بهدوء، أليس كذلك؟ يريدونه يعمل دائمًا».

«طبعًا».

شربنا قليلاً، ثمّ أوينا إلى الفراش، لكن لم تكن كما في السابق، لن تكون أبدًا ـ كانت بيننا هوّة، أشياء حدثت. نظرتُ إليها عندما دخلت الحمام، رأيتُ التجاعيد والثنايا تحت قبّتي عجيزتها. مسكينة. فعلاً مسكينة. كانت جويس صلبة وشديدة ـ كان إمساكها من جميع أطرافها أمرًا ممتعًا. مع «بيتي» لم يكن الأمر ممتعًا. كان حزينًا، حزينًا، حزينًا. عندما عادت «بيتي» لم نغنّ ولم نضحك، ولم نناقش شيئًا. جلسنا نشرب في الظلام، وندخّن السجائر، ثمّ خلدنا للنوم، لم أضع قدمي على جسدها ولم تمدّد ساقها فوق جسدي كما اعتدنا. نمنا دون أن نتلامس.

شيءٌ ما سُرق منّا كلينا.

٢

اتّصلتُ بجويس.

«كيف تسير الأمور مع صاحب الدبوس الأرجواني؟»

«لا أستطيع أن أفهمها» قالت.

«ماذا فعل عندما أخبرته أنك حصلتِ على الطلاق؟»

«جلس قبالتي في كافيتيريا الموظّفين عندما أخبرته».

«ماذا حصل؟»

«أوقع شوكته. فغر فاه. وقال، 'ماذا؟'»

«عرف أنك جادّة في الأمر».

«لا أستطيع أن أفهم الأمر. انّه يتجنّبني منذ أن أخبرته. كلّما رأيته في الرواق فرّ هاربًا. لم يعُد يجلس قبالتي في أوقات الوجبات. يبدو.. أنّه، شبه.. بارد».

«يا حبيبتي، يوجد رجال غيره. انسيه. جدي لكِ شخصًا آخر».

«من الصعب أن أنساه. أقصد، نسيان ما كان يفعله».

«هل يعرف أنك تملكين أموالاً؟»

«لا، لم أخبره، لا يعرف».

«حسنًا، إذا أردته...»

«لا، لا! لا أريده بهذه الطريقة!»

«حسنًا، أذن. مع السلامة يا جويس».

«مع السلامة يا هانك».

بعدها بفترة وجيزة تلقّيت منها رسالة. عادت إلى تكساس. كانت الجدّة مريضة جدًا، ولم يتوقّعوا لها أن تعيش طويلاً. سأل النّاس عني. إلخ. مع حبّي، جويس.

وضعتُ الرسالة جانبًا وتخيّلتُ قصير القامة يتعجّب كيف فوّتتُ الأمر. ذلك الكائن المرتجف، كيف ظنّ أنّي ابن قحبة نبيه. لم يكن من السّهل تخييب ظنّه.

٣

ثمّ تم استدعائي إلى قسم القوى العاملة في مبنى الفدرالية القديم. جعلوني أنتظر كالعادة، يعني ٤٥ دقيقة أو ساعة ونصف.

حينئذ سمعتُ صوتًا. «السيد تشيناسكي؟»

«نعم» قلت.

«تفضّل».

اصطحبني الرجل إلى أحد المكاتب. جلست هناك تلك المرأة.

بدت جذّابة، ٣٨ أو ٣٩ عامًا، لكنها بدت كما لو أنّها جمّدت طموحها الجنسي لصالح أشياء أخرى، أو كما لو أنّها تجاهلته.

«اجلس يا سيد تشيناسكي».

جلست.

يا حلوة، قلتُ في نفسي، سأعتليكِ بسرور.

«سيد تشيناسكي» قالت، «كنا نتساءل إذا عبأتَ استمارة طلب العمل كما يجب».

«ها؟»

«نقصد قائمة الاعتقالات».

سلّمتني الاستمارة. خَلت عيناها من أيّة غريزة جنسيّة.

عندما استلمتُ الاستمارة، سجّلتُ ٨ أو ٩ اعتقالات على خلفيّة ثمالة. كانت مسألة تقدير وحسب. لم يكن لديّ علم بالتواريخ.

«هل سجّلت كلّ شيء؟» سألتني.

«مممم، مممم، دعيني أفكّر..»

عرفتُ ماذا أرادت. أرادت أن أقول «نعم» فتمسكني.

دعيني أرى... ممممم، ممممم».

«نعم؟» قالت.

«أوه أوه! يا إلهي».

«ما بك؟»

«إمّا أنّي كنتُ مخمورًا في السيارة وإما أنّي قدتُ السيارة في حالة ثمالة. قبل حوالي ٤ سنوات أو نحو ذلك. لا أذكر التاريخ على وجه الدقة».

«وكانت هذه هفوة؟»

«نعم، فعلا. نويتُ تسجيلها».

«حسنا. سجّلها».

سجّلتُها.

«سيد تشيناسكي. هذا سجلّ فظيع. أريد منك أن تشرح هذه الاتهامات علّك بذلك تبرر عملك الحالي معنا».

«حسنًا».

«لديك مهلة مدّتها عشرة أيام للرد».

لم أرغب في العمل إلى هذا الحد. لكنها نجحت في إثارة غضبي.

اتصلتُ في نفس الليلة لأبلغ أني مريض، بعد أن اشتريتُ ورقًا مرقمًا للكتابة ودوسيه أزرق بدا رسميًا. اشتريتُ زجاجة ويسكي صغيرة وستّ علب جعة، ثم جلست وطبعتُ. وضعتُ قاموسًا بجانبي. بين الحين والآخر قلّبت في صفحاته، وعثرت على كلمة طويلة وغير

مفهومة تمامًا، وكوّنتُ جملة أو فقرة من الفكرة. وصلتُ إلى ٤٢ صفحة.

أنهيت بملاحظة، «تم الاحتفاظ بنسخ من هذا البيان لتوزيعها على الصحافة والتلفزيون، وغيرها من وسائل الإعلام الجماهيرية الأخرى».

فاض بي.

نهضت عن مقعدها واعتنت به بشكل شخصيّ. «سيد تشيناسكي؟»

«نعم؟»

كانت الساعة ٩:٠٠ صباحًا بعد يوم من طلبها للرد على الاتهامات الموجّهة ضدّي. «لحظة».

أخذت الـ ٤٢ صفحة إلى طاولتها. قرأت وقرأت. كان هناك شخص ما يقرأ خلفها أيضا. فجأة كان هناك ٢، ٣، ٤، ٥ أشخاص. جميعهم يقرؤون. ٦ و ٧ و ٨ و ٩. جميعهم يقرؤون.

ما دخلي؟ قلت في نفسي.

ثم سمعت صوتًا من الحشد، «حسنًا، كل العباقرة سكارى!» كما لو أن ذلك أوضح المسألة. مرة أخرى، أفلام كثيرة.

نهضَت عن المقعد وفي يدها الـ ٤٢ صفحة.

«سيد تشيناسكي؟»

«نعم؟»

«سنواصل فحص حالتكَ. سنتصل بك».

«هل أواصل العمل في الوقت الحالي؟»

«واصل العمل في الوقت الحالي».

«سلام» قلت.

٤

في إحدى الليالي، وضعوني على الكرسي جوار بوتشنر. لم يوزّع أي بريد. كان يجلس هناك. ويتحدث.

جاءت فتاة صغيرة وجلست في نهاية الممر. سمعت بوتشنر. «يا فتاة! أتريدين ذَكري في فرجك؟ أهذا ما تريدينه؟»

واصلت توزيع البريد في الصناديق. مرّ بنا المفتّش. قال بوتشنر، «أنت في قائمتي، يا ابن القحبة! سأمسك بك، يا ابن القحبة! نذل مقرف! شاذ!».

لم يكلف المشرفون أنفسهم عناء التعامل مع بوتشنر. لم يتعامل أحد مع بوتشنر.

ثم سمعته مرة أخرى. «حسنًا، يا حبيبي! لا تعجبني النظرة المرسومة على وجهك! أنت في قائمتي، يا ابن القحبة! أنت على رأس قائمتي! سأمزقك! يا أنت، أنا أتحدث إليك! هل تسمعني؟»

كان الأمر مبالغا فيه. ألقيتُ بالبريد أرضًا.

قلت له: «حسنًا، سئمت منك! سئمت من ذَكرك المتعفن! أتريد أن نصفّي حسابنا هنا أم في الخارج؟»

نظرت إلى بوتشنر. كان يتحدث إلى السقف، مثل المجنون:

«قلت لك، أنت على رأس قائمتي! سأمزّقك! سأمزّق وجهك!»

يا إلهي، قلت في نفسي، هذه المرة تورّطتُ فعلاً. كان بقية

الموظفين هادئين جدًا. لم أستطع أن ألومهم. نهضت، وذهبت لأشرب الماء. ثم عدت. بعد ٢٠ دقيقة نهضت وأخذت استراحة لمدة ١٠ دقائق. عندما عدت، كان المشرف ينتظرني. رجل أسود سمين في أوائل سنواته الـ ٥٠. صرخ في وجهي:

«تشيناسكي!»

«ما المشكلة؟» سألت.

«تركت مقعدك مرتين خلال ٣٠ دقيقة!»

«نعم، في المرة الأولى ذهبت لأشرب الماء. ٣٠ ثانية. ثم خرجت لاستراحتي».

«لنفترض انك كنت تعمل بجانب آلة؟ لا يمكنك أن تترك الآلة مرتين في ٣٠ دقيقة!»

لمع وجهه غضبًا. كان مذهلاً. لم أستطع فهمه.

«سأكتب تقريرًا ضدّك!»

«حسنًا» قلت.

نزلت وجلست بجوار بوتشنر. جاء المشرف مهرولاً ومعه التقرير. وكان كالعادة مكتوبا بخط اليد. لم أستطع حتى أن أقرأه. كتبه بغضب فخرج الخط كله مائلا وأعوج.

طويت التقرير بأناقة، ووضعته في الجيب الخلفي.

«سأقتله ابن القحبة» قال بوتشنر.

«أتمنى أن تفعلها» قلت، «أتمنى أن تفعلها».

كانت ليلة عمل مدّتها ١٢ ساعة، إلى جانب المشرفين، والموظفين، وحقيقة أنك بالكاد تنفّست بين كتل هذا اللحم البشري، والطعام البائت تفه المذاق في الكافيتيريا «غير الربحية».

و ـ CP1 ١. مدني أساسي ١. لم تكن جداول المحطّة شيئا يُذكر بالمقارنة مع م.أ. ١. حيث اشتمل على حوالي١/٣ شوارع المدينة مع تقسيمها إلى أرقام منطقية مختلفة. عشت في إحدى أكبر مدن الولايات المتحدة. حيث كان فيها شوارع كثيرة. بعدها صار هناك م.أ. و ٢. م.أ. ٣. وجب اجتياز كل اختبار في ٩٠ يوما، ٣ محاولات في كل مرة، أو ٩٥ في المائة أو أكثر، ١٠٠ بطاقة في قفص زجاجي، ٨ دقائق، إذا فشلت يتيحون لك محاولة لتكون رئيس جنرال موتورز، كما قال الرجل. بالنسبة لأولئك الذين اجتازوا الاختبار، فإن مسألة الجداول كانت هينة أكثر بالنسبة لهم، في المرّتين الثانية والثالثة. ولكن مع ورديات ليلية لمدة ١٢ ساعة، وإلغاء الأجازات، كان من الصعب على معظمهم تحمّل ذلك. ولم يبق أساسا من فرقتنا الأصلية المكونة من ١٥٠ إلى ٢٠٠، سوى ١٧ أو ١٨ شخصا.

«كيف يمكن أن أعمل ١٢ ساعة ليلاً، وأنام، وأتناول الطعام، وأستحم، وأسافر ذهابا وإيابا، وأهتم بغسيل الملابس والغاز، والإيجار، وتغيير الإطارات، وأقوم بكل الأشياء الصغيرة التي لا بد من القيام بها، وأدرس الجداول؟» سألت أحد المدربين في غرفة الجداول.

«تدبّر بدون نوم» قال لي.

نظرتُ إليه. لم يضحك. كان الأحمق جادًا تمامًا فيما يقول.

٦

وجدتُ أن الوقت الوحيد للدراسة كان قبل النّوم. كنتُ دائمًا مرهقًا إلى درجة أني لم أقوَ على إعداد وتناول وجبة الإفطار، فكنتُ أشتري ستّ علب جعة، أضعها على الكرسي بجانب السرير، أفتح علبة، أرتشف جرعة كبيرة ثم أفتح ورقة الجداول. عندما أصل إلى علبة الجعة الثالثة أُسقط الورقة. يوجد حدّ لما يمكن احتماله في مرة واحدة. ثم أشرب ما تبقى من الجعة، وأجلس في السرير، أحدق في الجدران. مع آخر علبة جعة أكون قد نمت. عندما استيقظ، يتبقّى لي وقتُ للمرحاض، والاستحمام، وتناول الطعام، والعودة بالسيارة إلى العمل.

لم أتكيّف مع الوضع، ببساطة زاد تعبي. كنتُ دائمًا أشتري سداسيّة علب جعة في عودتي، وصباحًا أكون منهكًا. صعدتُ الدرج (لم يكن هناك مصعد) وأولجتُ المفتاح في الباب. كان الباب مفتوحًا بعض الشيء. شخص ما غيّر ترتيب الأثاث، ووضع سجادة جديدة. لا، حتّى الأثاث كان جديدًا أيضًا.

جلسَت امرأة فوق الأريكة. بَدَت على ما يرام. شابة. ساقاها جميلتان. وشقراء.

«مرحبًا» قلت، «أترغبين بالجعة».

«أهلاً» قالت «حسنًا، سآخذ واحدة».

«أعجبتني الشقة» قلت.

«رتّبتها بنفسي».

«لكن لمَ؟»

«مجرّد خطر في بالي» قالت.

شرب كلّ منّا الجعة.

«أنت تعجبينني» قلت لها. وضعتُ علبة الجعة على الطاولة وقبّلتها. وضعتُ يدي على ركبتِها. كانت ركبتان رائعتين.

ثمّ ارتشفتُ جرعة أخرى من الجعة.

«نعم» قلت، «فعلاً يُعجبني شكل الشقّة. سيرفع ذلك من معنويّاتي».

«هذا لطيف. حتّى زوجي يعجبه».

«لم زوجك...ماذا؟ زوجك؟ قولي، ما رقم هذه الشقة؟»

«٣٠٩».

«٣٠٩؟ يا إلهي! لستُ في الطابق الصحيح. أنا أسكن في شقة ٤٠٩. فتح مفتاحي باب شقتك».

«اجلس يا عزيزي» قالت.

«لا، لا..»

رفعتُ علب البرة الأربع المتبقّية.

«لم الهرب؟» سألت.

«هناك رجال مجانين» قلت، وأنا أتوجّه نحو الباب.

«ماذا تقصد؟»

«أقصد أنّ هناك رجالاً يعشقون زوجاتهم».

ضحكَت.

«لا تنسَ أين يمكنك أن تجدني».

أغلقتُ الباب وصعدتُ طابقًا آخر. ثمّ فتحتُ بابي. لم يكن هناك أحد. كان الأثاث قديمًا وباليًا، والسجّادة قد بهت لونها تماما. وعلب الجعة على الأرض. كنتُ في المكان الصحيح.

خلعتُ ملابسي، دخلتُ إلى السرير وحيدا وفتحتُ علبة أخرى.

٧

عندما انتقلتُ للعمل في محطّة دورسي سمعت بعض المخضرمين يضحكون على بيغ دادي غريستون لأنّه اشترى جهاز تسجيل ليحفظ جداوله شفهيًا. وكان بيغ دادي يسجّل صوته وهو يقرأ ورقة الجداول، ثمّ يعيد الاستماع إليها. كان يُدعى بيغ دادي بهذا الاسم لأسباب واضحة. أدخل ٣ نساء إلى المستشفى بسبب قضيبه الكبير. الآن وجد من يأتيه من دُبر. مثليّ الجنس اسمه كارتر. حتّى كارتر مزّقه. دخل كارتر المستشفى في بوسطن. كانت النّكتة أن كارتر قطع كل الطريق إلى بوسطن لأنّه لم يكن هناك خيوط كفاية في الساحل الغربي ليخيطوه بها بعد أن قضى عليه بيغ دادي. سواء كان الأمر حقيقة أم خيالا، قررت أن أحاول مسألة التسجيل. عرفتُ أنّ همومي انتهت. أستطيع أن أستمع إلى نفسي وأنا نائم. قرأتُ في مكان ما أنني أستطيع أن أتعلّم بواسطة اللاوعي وقت النوم. بدت لي هذه الطريقة الأسهل. اشتريت جهاز تسجيل وبعض الشرائط.

سجّلتُ ورقة الجداول خاصّتي، دخلتُ السرير ومعي علبة جعة واستمعت:

«الآن ينطلق هيغينيس إلى هنتر ٤٢، ماركلي ٦٧، هادسون ٧١، ايفيرغلاديس ٨٤! والآن، اسمع، اسمع يا تشيناسكي، بيتزفيلد ينطلق إلى أشغروف ٢١، سيمونس ٣٣، نيدلس ٤٦! اسمع يا تشيناسكي، اسمع! ويستهافن ينطلق إلى ايفيرغرين ١١، ماركهام ٢٤، وودتري٥٥! تشيناسكي، انتبه، يا تشيناسكي! بارتبليكبريكس..»

لم ينفع. خدّرني صوتي. لم أصمد بعد علبة الجعة الثالثة.

بعد مدّة توقّفتُ عن التسجيل أو حفظ ورقة الجدول. شربتُ سداسيّة علب الجعة وأخلد للنوم. لم أستطع أن أفهم ذلك. حتّى أنّي فكّرت في معاودة طبيب نفساني. تخيّلت الأمر في رأسي:

«نعم يا عزيزي؟»

«حسنًا، الأمر على هذا النحو».

«هيا. هل تريد أن تضطجع على الأريكة؟»

«لا، شكرا. سأنام».

«تحدّث من فضلك».

«أنا بحاجة إلى عملي».

«معقول».

«لكن عليّ أن أجتاز ٣ امتحانات جدوليّة لأستمر فيه».

«جداول؟ أيّ نوع من الجداول؟»

«عندما لا يسجّل الناس في عناوينهم رقم المنطقة. شخص ما عليه

أن يسلّمهم هذه الرسائل. علينا أن نحفظ أوراق الجداول بعد ورديّة عمل ليلية مدتها ١٢ ساعة».

«وبعد؟»

«ليس في مقدوري إمساك الورقة. إذا حملتها، سقطت من يدي».

«ألا يمكنك أن تدرس هذه الجداول؟»

«لا. ويجب عليّ أن أوزع ١٠٠ بطاقة في القفص الزجاجي خلال ٨ دقائق وأضبط التوزيع بنسبة ٩٥٪ على الأقل وإلاّ أقالوني. وأنا بحاجة إلى هذا العمل».

«لماذا لا يمكنك أن تدرس هذه الجداول؟»

لهذا السبب أنا هنا. لأسألك **أنت**. يبدو أني مجنون. لكن هناك شوارع كثيرة، تتوزّع في مناطق متعددة. هاك، انظر».

أريته الجدول المكوّن من ٦ صفحات، مثبتة معًا في القسم العلوي، مع أحرف صغيرة من الجانبين.

تصفّحها.

«عليك أن تحفظ كلّ هذا غيبًا؟»

«نعم يا دكتور».

«حسنًا، يا عزيزي» قال معيدًا الأوراق إليّ، «لستَ مجنونًا إذا لم ترغب في حفظها. يمكن القول إنّك ستكون مجنونًا لو أردت حفظها. سيكلّفك العلاج ٢٥ دولارًا».

فعالجتُ نفسي ووفّرتُ النقود.

لكن كان عليّ القيام بأمرٍ ما.

«الآنسة غريفس. أريد أن أتحدّث إلى الآنسة غريفس».

«آلو؟»

كانت هي. القحبة. لاطفتُ نفسي وأنا أحادثها.

«آنسة غريفس. تشيناسكي يتحدّث. قدّمت لك ملفًا ردًا على اتّهامك لي بالسجّل الفظيع. لا أدري ان كنتِ تذكرينني».

«نذكرك يا سيّد تشيناسكي».

هل اتّخذتم قرارًا؟»

«ليس بعد. سنبلغك».

«حسنًا. لكن توجد مشكلة».

«نعم، يا سيّد تشيناسكي؟»

«أدرس الآن م.أ ١.» سكتت.

«نعم؟» سألت.

«أجده صعبًا، شبه مستحيل أن أدرس هذه الجداول، وأن أبذل كلّ هذا الوقت الإضافيّ وقد يكون عبثًا. فقد يقيلونني من الخدمة البريديّة في كلّ لحظة. ليس من العدل أن يطلبوا منّي دراسة الجداول تحت هذه الظّروف».

«حسنا، يا سيّد تشيناسكي. سأتّصل بغرفة الجداول وأطلب منهم إعفائك من مسألة الجدول إلى أن نصل إلى قرار بشأنك».

«شكرًا لك، آنسة غريفس».

قالت: «طاب نهارك» وأقفلت السماعة.

كان نهارًا طيّبًا. وبعد أن داعبتُ نفسي فيما أنا أتحدّث معها على

الهاتف، قررت النزول إلى شقة ٣٠٩. لكن عليّ أن أكونَ حذرًا. أعددتُ لحم خنزير مقدّدا وبيضًا واحتفلتُ بعلبة جعة أخرى.

٨

بقينا ٦ أو ٧ أشخاص فقط. كان م.أ ١ ببساطة عبئا على الآخرين.

«كيف تسير أمورك مع الجدول، يا تشيناسكي؟» سألوني.

«لا مشاكل» قلت.

«حسنًا، أي مناطق موجودة في جادة وودبرن؟»

«وودبرن؟»

«نعم، وودبرن».

«اسمعوا، لا أحبّ أن يضايقوني بهكذا أسئلة وأنا أعمل. هذا يشعرني بالملل. لا أستطيع أن أقوم بَعَملين في وقت واحد».

٩

في عيد الميلاد، دعوتُ «بيتي» إليّ. أعدّت الدّيك الرّومي في الفرن وعاقرنا الخمر. أحبّت «بيتي» دائمًا أشجار عيد الميلاد الضخمة. لا بدّ أن الشجرة التي اشترتها بلغ ارتفاعها مِترين، وعرضها متر، مغطّاة بالأضواء، والمصابيح، والزينة، وغيرها من التفاهات. شربنا زجاجتَي ويسكي، مارسنا الجنس، أكلنا الديك الرومي، شربنا أكثر. كان المسمار الموجود في القاعدة يتحرّك، ولم تكن القاعدة كبيرة بما يكفي لتمسك الشجرة. اضطررتُ إلى دعم الشجرة طيلة الوقت.

تمدّدت «بيتي» على السرير، ونامت. جلستُ أنا على الأرض مرتديًا السروال القصير وشربتُ. تمددت. أغمضت عينيّ. شيء ما أيقظني.

فتحتُ عينيّ. بالضّبط في الوقت الذي شاهدتُ فيه الشجرة الضخمة المغطاة بالأضواء المشعّة، تميل ببطء نحوي، والنجم المسنّن يهبط باتجاهي مثل الخنجر. لم أعرف تماما ماذا كان علي أن أفعل. بدا الأمر وكأنه نهاية العالم. لم استطع التحرّك. لفّتني أذرع الشجرة. كنتُ تحتها. كانت المصابيح متوهّجة حمراء.

«أوه، يا يسوع المسيح. الرحمة! إلهي، ساعدني! يا يسوع! يا يسوع! ساعدني!»

كانت المصابيح تحرقني. تدحرجتُ إلى اليسار، لم أستطع أن أخلّص نفسي، فتدحرجتُ إلى اليمين.

«أي!»

أخيرًا تدحرجتُ خارج الشجرة. نظرتُ إلى أعلى فرأيتُ «بيتي» واقفة.

«ما الذي حدث؟» ماذا جرى؟»

«ألا ترين؟ هذه الشجرة الملعونة حاولت قتلي!»

«ماذا؟»

«نعم، انظري إليّ!»

بقع حمراء غطّت جسدي.

«أوه، مسكين، يا حبيبي!»

نهضتُ وأخرجتُ فيشة الكهرباء من الحائط. انطفأت الأضواء. ماتت الشجرة.

«أوه، شجرتي المسكينة!»

«شجرتك المسكينة؟»

«نعم، كانت **جميلة** جدا!»

«سأرفعها صباحًا. لا أثق بها الآن. سأريحها ما تبقّى من الليل».

لم يرق لها الأمر. شعرتُ بأن نقاشا سينشب بيننا، لذا أوقفت الشجرة وراء كرسي وأضأتها من جديد.

لو أحرَقت هذه الشجرة حلمتيها أو مؤخّرتها، لألقت بها من النافذة. ظننت أن ما فعلته كان لطيفًا.

بعد مرور عدة أيام على عيد الميلاد زرتُ «بيتي». جلسَت في غرفتها، مخمورة، في الـ ٨:٤٥ صباحًا. لم تبد بحالة جيدة وأنا كذلك لم أبد بحالة جيّدة. بدا وكأن جارًا تلو الآخر أعطوها زجاجة. كان هناك نبيذ، براندي، فودكا، ويسكي. من الأنواع الرخيصة. ملأت الزجاجات غرفتها.

«هؤلاء المتخلفون! لا **يعرفون** ما الّذي يفعلونه؟ إذا اذا شربتِ كلّ هذا سوف تموتين!»

نظرت «بيتي» إليّ. رأيت كل شيء في هذه النّظرة.

كان لديها ولدان لم يزوراها قط، ولم يكاتباها. عملت كعاملة نظافة في فندق رخيص. عندما التقيتها في البداية كانت ملابسها ثمينة، وكاحلاها رفيعان بحذاء ثمين. كانت نحيفة، تقريبا جميلة. عيناها وحشيتان. تضحك. كان زوجها ثريا، انفصلا، ومات في حادث طرق،

مخمورا، واحترق حتّى الموت في ولاية كونيتيكت. «لن تروّضها أبدًا» قالوا لي.

ها هي. لكنّي استطعتُ أن أساعدها قليلاً.

«اسمعي» قلت، «سآخذ هذه الزجاجات. أقصد، سأعطيك زجاجة بين الحين والآخر. لن أشربها».

«اترك الزجاجات» قالت. لم تنظر إلي. كانت غرفتها في الطابق العلوي وجلست هي على كرسي بجانب النافذة تتأمل حركة الشارع صباحًا.

اقتربتُ منها. «اسمعي، أنا محطّم. يجب أن أغادر. لكن لأجل اليسوع، خفّفي من الشرب!»

«طبعا» قالت.

انحنيت وقبّلتها مودّعًا.

بعد أسبوع ونصف تقريبًا عدتُ لأزورها. لم يردّ أحد عندما طرقتُ على الباب.

« «بيتي»! «بيتي»! هل أنت بخير؟»

أدرت مقبض الباب. كان الباب مفتوحًا. وكان السرير مقلوبًا. وامتلأ الشرشف ببقع الدم.

«اللعنة!» قلت. نظرتُ حولي. لم يكن أثر للزجاجات. ثم نظرت من حولي. رأيتُ امرأة فرنسية بالغة كانت صاحبة الشقة. وقفت عند الباب.

«إنها في المستشفى. كانت مريضة جدًا. طلبتُ سيارة الإسعاف الليلة الماضية».

«هل شربت كلّ ما كان هنا؟»

«تلقّت بعض المساعدة».

ركضت أسفل الدرج وركبتُ سيارتي. وصلت. عرفتُ المكان جيدا. أبلغوني برقم الغرفة.

كان هناك ٣ أو ٤ أسرة في غرفة صغيرة. امرأة تجلس في السّرير المقابل، تمضغ تفاحة وتضحك مع زائرتين. سحبتُ الستارة التي كانت حول سرير «بيتي»، جلست على المقعد ومِلتُ نحوَها.

« «بيتي»! «بيتي»!»

لمستُ يدها.

« «بيتي»!»

فتحت عينيها. كانتا جميلتين مرة أخرى. لونهما أزرق هادئ يلمع.

«عرفتُ أنك ستأتي» قالت.

ثمّ أغمضت عينَيها. كانت شفتاها جافّتين. جفّ رضابها عند طرف فمها الأيسر. أخذتُ منشفة ونشفته. نظّفت وجهها ويديها ورقبتها. أخذتُ قطعة أخرى وعصرتُ بعض الماء على لسانها. عصرتُ مرّة أخرى. رطبتُ شفتيها. رتبتُ شعرها. سمعتُ النساء يضحكن عبر الستارة التي فصلت بيننا.

« «بيتي»، «بيتي»، «بيتي». أرجوك، أريدك أن تشربي بعض الماء، رشفة واحدة، ليس أكثر، فقط رشفة».

لم تردّ. حاولت لمدة عشر دقائق. عبثًا.

سال الرضاب من طرف فمها. نشفته.

ثم نهضتُ وسحبتُ الستارة. نظرتُ إلى النسوة الثلاث. خرجتُ من الغرفة وتوجّهتُ إلى الممرضة التي جلست بجانب الطاولة.

«اسمعي، لمَ لا يفعلون شيئًا حيال المرأة الموجودة في غرفة C ـ ٥٤؟ بيتي ويليامز».

«نحن نفعل كلّ ما باستطاعتنا فعله».

«لكن لا يوجد أحد هناك».

«نجري الفحوصات الروتينية».

«لكن أين الأطباء؟ لا أرى أيّ طبيب».

«لقد فحصها الطبيب، يا سيدي».

«لم تتركونها ترقد هكذا؟»

«فعلنا كلّ ما كان باستطاعتنا فعله، يا سيّدي».

«سيّدي!سيّدي!سيّدي! توقّفي عن قول «سيّدي»، هل سمحت؟ أراهن لو كان مكانها الرئيس أو الحاكم أو المحافظ أو أي ثريّ آخر ابن قحبة، لكانت الغرفة امتلأت بالأطباء ولكانوا فعلوا **شيئًا!** لم تتركينها تموت؟ أيّ جرم أن يكون الإنسان فقيرًا؟»

«قلت لك، يا سيّدي، أننا فعلنا كل ما باستطاعتنا فعله».

«سأعود بعد ساعتين».

«أنت زوجها؟»

«كنتُ زوجها المعروف بين معارفها».

«هل يمكن أن نسجّل اسمك ورقم هاتفك؟»

أعطيتها التفاصيل، وخرجتُ مسرعًا.

حُدد موعد الجنازة في الـ ١٠:٣٠ صباحًا ولكن الجوّ كان حارًا. ارتديتُ بذلة سوداء رخيصة، اشتريتها وقستها على عجل. كان تلك البذلة الجديدة الأولى التي أرتديها منذ سنوات. عثرتث على ابنها. سافرنا في سيارته، المرسيدس ـ بنز. عثرت عليه من خلال قصاصة ورقية عليها عنوان حَميه. أجريتُ مكالمتين للخارج ووجدته. عندما وصل بالسيارة، كانت أمه قد توفّيت. توفّيت وأنا أجري المكالمات الهاتفيّة. لم يتعوّد الابن، لاري، على أصول المجتمع. كانت لديه عادة سرقة سيارات الأصدقاء، ولكن ما بين الأصدقاء والقاضي تمكن من الإفلات منها. ثم جاء التجنيد للجيش، وبطريقة ما حصل دخل دورة تدريبيّة، وعندما أنهاها حصل على وظيفة بأجر جيّد. عندها توقف عن زيارة والدته، عندما حصل على تلك الوظيفة الجيدة.

«أين أختك؟» سألته.

«لا أدري».

«سيارة ممتازة. بالكاد نسمع صوت المحرّك».

ابتسم لاري. أعجبه ما قلت.

كنّا ثلاثة في طريقنا إلى الجنازة: الابن، العشيق، والأخت المتخلّفة صاحبة الفندق. كان اسمها مارشيا. لم تتفوه مارشيا في حياتها بكلمة. تجوّلت دائما وعلى شفتيها ابتسامة تافهة. كانت صاحبة بشرة بيضاء كالمينا. لها فروة شعر أصفر ميّت وقبعة لا تليق بها. أُرسلت مارشيا إلى الجنازة بالنيابة عن صاحبة الفندق. اضطرت صاحبة الفندق إلى رعاية الفندق.

طبعا، كنت أعاني من صداع رهيب من أثر الشرب. توقفنا لتناول القهوة.

بدأت المشاكل قبل بدء الجنازة. اختصم لاري مع الكاهن الكاثوليكي. أثيرت الشكوك حول ما إذا كانت «بيتي» كاثوليكية مخلصة. رفض الكاهن إجراء مراسم التشييع. أخيرا تقرر إجراء نصف المراسم. على كل، نصف المراسم أفضل من لا شيء.

واجهتنا المشاكل حتى مع الزهور. اشتريت إكليل زهور، من شتى الأصناف، تم ترتيبه ليبدو إكليل زهور. قضى محل الزهور ظهيرة كاملة في ترتيبه. كانت السيدة من محل الزهور على معرفة بـ«بيتي». شربتا معا قبل بضع سنوات، عندما امتلكت و«بيتي» بيتا وكلبا. ديلزي كان اسمها. رغبتُ دوما في مضاجعتها، لكني لم أنجح.

اتّصلت بي ديلزي. «هانك، ما المشكلة مع هؤلاء الأوغاد؟»

«أي أوغاد؟»

«من المشرحة».

«ماذا حصل؟»

«أرسلتُ صبيا بشاحنة لتسليم إكليلك ولم يسمحوا له بالدخول وقالوا إنها مغلقة. كما تعرف، الوصول إلى هناك يتطلّب سفرًا طويلا».

«نعم، يا ديلزي؟»

«وهكذا في النهاية لكنهم سمحوا للصبيّ بوضع الزهور في الداخل ولكن لم يسمحوا له بوضعها في الثلاجة. فاضطرّ إلى وضعها عند الباب. قل لي، ما حكاية هؤلاء النّاس؟»

«لا أدري. ما حكاية النّاس في كلّ مكان؟»

«لن أتمكن من الوصول إلى الجنازة. هل أنت بخير، يا هانك؟»

«لم لا تأتين لمواساتي قليلا؟»

«سأضطر إلى إحضار بول».

بول هو زوجها.

«انسي الأمر».

هكذا كنا في طريقنا إلى نصف الجنازة.

ارتشف لاري من قهوته ونظر إليّ. «سأكاتبك بخصوص شاهد الضريح. لا أمتلك نقودًا الآن».

«حسنًا» قلت.

دفع لاري ثمن قهوتنا جميعا، ثم خرجنا وركبنا سيارة المرسيدس ـ بنز.

«لحظة» قلت.

«ما الأمر؟» سأل لاري.

«أظننا نسينا شيئا».

عدتُ إلى المقهى.

«مارشيا».

كان لا تزال تجلس بجانب الطاولة.

«سنغادر الآن، يا مارشيا».

نهضَت وتبعتني.

قرأ الكاهن خطبته. لم أستمع إليه. كان التابوت هناك. «بيتي» التي كانت يومًا من لحم ودم، رقدت هناك. كان الجو حارا جدا. ملأت

الشمس السماء بصفرتها. حامت ذبابة حولنا. بعد انتهاء نصف مراسم التشييع، حضر شخصان يرتديان ملابس العمل ويحملان إكليلي. ماتت الزهور، أو احتضرت في الشمس الحارّة، ووضعوا الاكليل على إحدى الأشجار القريبة. مع نهاية مراسم التشييع انحنى إكليلي إلى الأمام وسقط مرة واحدة على الأرض. لم يرفعه أحد. ثم انتهى كل شيء. توجهتُ نحو الكاهن وسلّمتُ عليه. «شكرا لك». ابتسم. يوجد الآن شخصان يبتسمان: الكاهن ومارشيا.

في طريق العودة، قال لاري مجددًا:

«سأكاتبك بخصوص شاهد الضريح».

ما زلت أنتظر تلك الرسالة.

١١

صعدتُ إلى الغرفة ٤٠٩، أعددت لنفسي الويسكي القويّ المخلوط بالماء، أخرجتُ بعض النقود من الجارور العلويّ، ركبتُ سيارتي وسافرتُ إلى السباق. وصلتُ إلى هناك في الوقت المناسب للسباق الأول لكنّي لم أراهن لأنه لم يكن لديّ الوقت لقراءة الاستمارة.

توجّهتُ إلى الحانة لتناول مشروب فرأيت امرأة شقراء طويلة تدخل مرتدية معطفا قديما واقيا من المطر. بَدَت بائسة في ردائها، لكني لأنّي شعرتُ ببؤسها، ناديتُها بصوت عالٍ يكفي لتسمعني وهي تمرّ من جانبي:

«فاي يا عزيزتي».

توقفَت وبعد ذلك توجّهت نحوي.

«مرحبا، هانك. كيف حالك؟»

عرفتها من مكتب البريد المركزي. عملَت في محطة أخرى، بالقرب من نافورة ماء، لكنها كانت ألطف من بقية الموظّفين.

«مزاجي سيء. الجنازة الثالثة خلال عامين. أولا أمي، ثم أبي. واليوم، صديقة عزيزة».

طلبت شيئا. فتحتُ استمارة السباقات.

«تعالي نراهن على السباق الثاني».

تقدّمت نحوي وأحنت عليّ ساقها وصدرها. كان هناك شيء تحت ذلك المعطف. دائمًا أبحث عن الحصان الأقلّ شعبية الّذي يمكنه أن يتفوّق على الحصان المفضّل. إذا لم أجد أيّ حصان يتفوّق على الحصان المفضّل، راهنتُ على المفضّل.

حضرتُ السباقات بعد الجنازتين الأخيرتين، وحققت مكسبًا. كان هناك شيء ما في الجنازات، جعلني أرى الأشياء على نحو أفضل. جنازة واحدة في اليوم، وأصير ثريًا.

خسر الحصان ٦ لحساب الحصان المفضّل بفارق بسيط. تجاوز الحصان المفضّل الحصان ٦ بعد أن اجتاز مسافة الـ ٥ أمتار في الجولة الأولى. كان الحصان ٦ ٣٥ /١. وكان الحصان المفضّل٩/ ٢ في هذا السباق. كان كلاهما من نفس الفئة. زاد الحصان المفضّل في الوزن كيلوغرامًا واحدًا، من ٥٣ إلى ٥٤. حافظ الحصان ٦ على وزنه، ٥٣، لكنّهم أبدلوا الفارس بفارس أقلّ شهرة، كما أن المسافة بلغت كيلومترًا وست مائة متر. حسِب الجمهور أن فوز الحصان المفضّل على

الحصان ٦ في مسافة الكيلومتر، حتمًا سيجعله يتفوّق عليه أيضًا في إضافة المائة متر. يبدو الأمر منطقيا. لكن سباق الخيل هذا لم يبدُ منطقيا. يُدخل المدرّبون خيولهم إلى السباق حتّى في ظروف غير مواتية ليربحوا أموال المراهنين. إضافة المسافة، بالإضافة إلى تبديل الفارس بفارس أقل شعبية دلاً على سباق مربح. نظرت إلى اللوحة. رهان الافتتاحية كان ٥. أشارت اللوحة من ١ إلى ٧.

«السادس سيربح» قلت لفاي.

«لا، هذا الحصان انهزامي» قالت.

«نعم»، قلت، وتوجهتُ نحو الصندوق وراهنتُ بعشرة على فوز الحصان ٦.

تقدّم الحصان ٦ مع انطلاقه، لامس الحاجز في الجولة الأولى، ثم حافظ على فارق ٣ أمتار في المقطع الخلفي للمسار. ركضَت الخيول الأخرى خلفه. حسبوا أن الحصان ٦ سيتقدم في الجولة، ثم يتباطأ، فيلحقون به. كان هذا العُرف مألوفًا.

لكن المدرّب أعطى الفارس تعليمات مغايرة. عند طرق المنحنى، أرخى الفارس السرج للحصان، فقفز إلى الأمام.

قبل أن يتمكن بقية الفرسان من الرد، كان الحصان ٦ بفارق ١٠ أمتار. في المقطع الأمامي للمسار، أعطى الفارس الحصان فرصة ليلتقط أنفاسه، نظر إلى الخلف، ثم استأنف السباق. كان وضعي جيدا. ثم قفز الحصان المفضّل، ٩/ ٥، من بين المجموعة. وبدأ ابن القحبة بالعدو. قطع المسافات، عاديًا. بدا وكأنه على وشك اجتياز حصاني.

وكان الحصان المفضّل رقم ٢. في منتصف الطريق، كان الحصان ٢ متخلّفا بفارق متر واحد عن الحصان ٦، فضرب الفارس الممتطي حصان ٦ حصانه بالسوط. وكان الفارس الممتطي الحصان المفضّل قد ضرب بالسوط قبله. وهكذا تقدما حتى نهاية المسار، بمسافة متر، وهذا ما تم قياسه في لوحة النتائج. نظرت إلى اللوحة. وكان حصاني قد تقدّم من ٨ إلى ١.

عدنا إلى الحانة.

«الحصان الأفضل لم يربح في هذا السباق»، قالت فاي.

«لا يهمّني الأفضل. يهمّني أن أربح فقط. أطلبوا لي شيئا».

طلبنا شيئًا.

«حسنًا، أيها المتحذلق. دعنا نراك في السباق القادم».

«أقول لك، يا عزيزتي، أنا أصير وحشًا عندما أخرج من الجنازات».

أحنت عليّ ساقها وصدرها من جديد. ارتشفت بعض الويسكي من الزجاجة وفتحت الاستمارة. السباق الثالث.

عاينتُ الاستمارة. كانوا ينوون القضاء على الجمهور يومَها. الحصان الذي تقدّم في بداية السباق ربح للتو، وقد عرف الجمهور من هو الحصان السريع وبقيّة الخيول. الجمهور يتذكّر دائمًا السابق الأخير فقط. ربّما يرتبط ذلك بوجود استراحة مدة ٢٥ دقيقة بين السباقات. كل ما يمكن أن يخطر في بالهم هو ما حدث للتو.

كان السباق الثالث بمسافة ٧ فيرلونج. الآن كان الحصان المفضّل هو الحصان الأسرع. فقد خسر في السباق الأخير بفارق طفيف في

مسافة ٧ فيرلونج، بعد أن حافظ على تقدم طول الطريق وأفلت في القفزة الأخيرة. كان الحصان ٨ الأقرب. فقد وصل إلى المركز الثالث، بفارق ٤ أمتار وراء الحصان المفضّل، بعد أن قطع مسافة ٥ أمتار. حسب الجمهور أن الحصان ٨ لن يتفوق على المفضّل في مسافة ٧ فيرلونج، فكيف يمكنه أن يتفوق عليه بفارق فيرلونج؟ الجمهور خسر دائما. كان الحصان الرابح في مسافة ٧ فيرلونج هو الحصان الذي لم يشارك في سباق اليوم.

«الثامن سيربح» قلت لفاي.

«المسافة قصيرة جدًا. لن يصل أبدًا» قالت فاي.

الحصان ٨ كان ٦ في الصّف وظهر على اللوحة رقم ٩.

جمعتُ ما ربحته من السباق السابق، وراهنتُ بعشرة على فوز الحصان ٨. من يراهن كثيرًا يخسر حصانه. أو يغير رأيه ويراهن على حصان آخر. عشرة تبدو لي رهانًا معقولا وآمنًا.

بدا المفضّل في حالة جيدة. كان أول المنطلقين من البوابة، تخطّى الحاجز وتقدم في مسافة ٥ أمتار. ركض الثامن في دوائر واسعة، قبل الأخير، واقترب تدريجيًا نحو الحاجز. لا زال المفضّل في حالة جيدة في المقطع الأمامي للمسار. امتطى الفارس الحصان ٨، والذي كان في المركز الخامس وركضَ بخطوات واسعة، وضربه بالسوط. بدأ المفضّل بالإبطاء في سرعته. قطع الربع الأول في ٢٢ و ٤/٥، لكنه لا زال مجتازا أل ٥ أمتار في منتصف المسار. ثم انطلق الحصان ٨، كالسّهم، وفاز بالضبط في أل ٥ أمتار. نظرت إلى اللوحة، كانت لا تزال ٩ إلى ١.

عدنا إلى الحانة. الآن ألصقت فاي جسدها كلّه بي.

ربحتُ في ٣ سباقات من أصل أل ٥ السابقة. في تلك الأيام كان فقط ٨ سباقات بدلا من ٩. على أية حال، كان ٨ سباقات كانت تكفيني في ذلك اليوم. اشتريت بعض السيجار وركبنا سيارتي. وصلت فاي إلى هناك في الحافلة. توقفت لأشتري الويسكي، ثم سافرنا إلى شقتي.

١٢

نظرت فاي من حولها.

«ماذا يفعل رجل مثلك في مكان كهذا؟»

«هذا ما تسألني إياه جميع الفتيات».

«انه حقا جحر جرذان».

«يجعلني أحافظ على تواضعي».

«دعنا نذهب إلى شقت.ي»

«حسنا».

ركبنا سيارتي ودلّتني على مكان سكناها. توقفنا لشراء بضع شرائح اللحم الكبيرة والخضراوات ولوازم السلطة، والبطاطا والخبز والمزيد من الكحول.

في مدخل شقتها كانت هناك لافتة:

الرجاء عدم إحداث ضوضاء أو إزعاج من أي نوع.

يجب إطفاء أجهزة التلفزيون الساعة ١٠ مساء.

هنا يسكن أناسٌ عاملون.

كانت لافتة كبيرة وكُتب عليها بطلاء أحمر.

«أحب الجملة المكتوبة عن أجهزة التلفزيون» قلت لها.

صعدنا في المصعد. لقد امتلكت بالفعل شقة لطيفة. حملتُ الأكياس إلى المطبخ، وجدت كأسين، صببتُ فيهما المشروب.

«أخرج الأغراض. سأعود حالا».

أخرجتُ الأغراض، وضعتها في الحوض. شربتُ كأسًا أخرى. عادت فاي. ارتدت ملابس سهرة. قرطًا، وكعبًا عاليًا، وتنورة قصيرة. بدت في مظهر جيّد. ممتلئة الجسم قليلاً. لكن بعجيزة وفخذين لا بأس بهما، ونهدَين. مضاجعة كما يجب.

«مرحبًا» قلت: «أنا صديق فاي. قالت إنها ستعود حالاً. أترغبين بعض الشراب؟»

ضحكَت، فأمسكتُ جسدها الممتلئ وقبلتُها. كانت شفتاها باردتين كما الماس، لكن كان مذاقها جيدا.

«أنا جائعة»، قالت. «دعني أطهو»!

«أنا أيضًا جائع. سآكلك أنت!»

ضحكَت. قبّلتها قبلة سريعة، وأنا أمسك مؤخّرتها. ثمّ توجهتُ إلى الصالون مع كأسي، جلست، مددتُ قدميّ، تنهّدت.

بإمكاني البقاء هنا، فكرت، أجني المال في السباقات في حين تشجّعني هي في اللحظات الصعبة، تدّلك جسدي بالزيوت، تطهو لي، تتحدث معي، تضاجعني. طبعا، دائما ستكون هناك نقاشات. هذه هي طبيعة المرأة. النساء يهوينَ نشر الغسيل الوسخ، مع بعض

الصراخ، وبعض الدراما. ثم يحين دور تبادل وعود الإخلاص. لم أجِد يومًا فنّ تبادل وعود الإخلاص.

بدأتُ أشعر بالإثارة. كنتُ قد انتقلتُ للسكن معها في مخيّلتي.

أعدّت فاي كلّ شيء في المطبخ. جاءت بكأسها، جلست في حضني، قبلتني، أولجت لسانها في فمي. انتصب ذَكَري على عجيزتها المتينة. أمسكتها. ضغطتُ عليها بقوّة.

«أريد أن أريك شيئا» قالت.

«أعلم، لكن دعينا ننتظر حتى ساعة تقريبا بعد العشاء».

«أوه، لا أقصد ذلك!»

جذبتها، وأولجتُ لساني في فمها. نهضت فاي عن حضني.

«لا، أريد أن أريكَ صورة ابنتي. تعيش في ديترويت مع والدتي. لكنها تأتي إلى هنا في الخريف لتتعلم في المدرسة».

«كم عمرها؟»

«٦».

«والأب؟»

«طلقت روي، ابن القحبة لم يسو شيئًا. كل ما فعله طوال اليوم الشرب والرهان على الخيول».

«آه؟»

عادت مع الصورة، ووضعتها في يدي. حاولت أن أركز فيها. كان الخلفية داكنة.

«اسمعي، فاي، إنها سوداء جدا! اللعنة، أم يكن لديك عقل بما يكفي لتصوريها في خلفية واضحة».

«والدها السبب. الأسود يهيمن».

«نعم. أستطيع أن أرى ذلك».

«والدتي التقطت الصّورة».

«أنا متأكد من أن لديك ابنة جميلة».

«نعم، إنها جميلة حقا».

أعادت فاي الصورة إلى مكانها وذهبت إلى المطبخ.

الصورة الأبدية! النساء وصورهنّ. نفس الحكاية مرارا وتكرارا. وقفت فاي عند مدخل المطبخ.

«لا تشرب كثيرًا الآن! أنت تعرف ما يتعين علينا القيام به»!

«لا تقلقي، يا حبيبتي، سيكون لك ما تريدين. الآن، أحضري لي كأسًا أخرى! لقد كان يوم العمل شاقًا. نصف الكأس ويسكي والنصف الآخر ماء».

«أحضر الكأس بنفسك، ما دُمت بطلا هكذا».

أدرتُ مقعدي، وشغّلتُ التليفزيون.

«إذا كنتِ ترغبين بيوم ناجح آخر في السباق، من المستحسن أن تحضري للبطل كأسًا، وبسرعة!»

أخيرا وافقت فاي على الرهان على حصاني في السباق الأخير. لم يحقق الحصان فوزًا في أي سباق يُذكر في العامين الأخيرين. راهنتُ عليه فقط لأن الرهان كان بنسبة ٥ ل١ في حين كان من المفروض أن

يكون ٢٠. حقّق الحصان فوزًا بفارق ١٥ مترًا، بسهولة. وصل إلى خطّ النهاية لوحده تمام.

نظرتُ إلى أعلى ورأيتُ يدًا تحمل كأسًا إليّ.

«شكرًا يا حبيبتي».

«في خدمتك يا سيّدي» ضاحكةً.

١٣

في السرير، شيء ما ضايقني لكنّي لم استطع فعل أي شيء حياله. حاوَلتُ وحاولتُ وحاولتُ. كانت فاي صبورة جدًا. واصلتُ المحاولة لكنّي شربتُ أكثر من اللازم.

«آسف، يا حبيبتي»، قلت. ثم نهضتُ عنها. ونمت.

ثم أيقظني شيء ما. كانت فاي. هيّجتني واعتلتني.

«واصلي، حبيبتي، واصلي!» قلت لها.

بين الحين والآخر أحنيتُ ظهري. نظرَت إليّ من فوق بعينين صغيرتين وجشعتين. لقد اغتصبتني ساحرة طويلة وشقراء! للحظة، أثارني ذلك.

ثمّ قلت لها. «اللعنة. انزلي، يا حبيبتي. كان يومي شاقًا وطويلا. سنجد وقتًا أفضل».

نزلت. نام ذَكري مثل المصعد السريع.

١٤

في الصباح سمعتها تتجوّل في الشقة. كانت تمشي وتمشي وتمشي.

كانت الساعة حوالي ١٠:٣٠. شعرتُ بالغثيان. لم أرغب في رؤيتها. ١٥ دقيقة أخرى. ثم أغادر.

هزتني. «اسمع، أريد منك أن تخرج من هنا قبل أن تحضر صديقتي!»

«ما المشكلة؟ سأضاجعها هي الأخرى».

«أجل، أجل» ضحكت.

نهضتُ. سعلتُ، وتقيأت. ارتديتُ ملابسي بتأنٍ.

«أنت تجعلينني اشعر وكأني صفر بجانبك»، قلت لها. «لا يمكنني أن أكون سيّئا إلى هذا الحد! لا بدّ أن يكون بي شيء ما ايجابي».

أخيرًا ارتديتُ ملابسي. توجّهتُ إلى الحمام، غسلتُ وجهي بالماء ومشطت شعري. لو كان بإمكاني أيضًا أن أمشط وجهي، قلت في نفس، لكني لا أستطيع.

خرجت.

«فاي؟»

«نعم؟»

«لا تبالي بالأمر، لم يكن بسببك. الخمر هي السبب. حدثت لي أمور شبيهة من قبل».

«حسنا، إذن، لا تشرب كثيرا. لا تحب المرأة أن تكون في المرتبة الثانية بعد الزجاجة».

«لم لا تتنافسين على المرتبة الأولى؟»

«أوه، توقف!»

«اسمعي، هل تحتاجين إلى المال، يا حبيبتي؟»

أدخلتُ يدي إلى محفظتي وأخرجتُ ورقة من فئة العشرين، وناولتها إياها.

«كم أنت لطيف!»

لمست يدها خدي، قبلتني بلطف على طول في طرف الفم.

«قُد بحذر».

«بالتأكيد يا حبيبتي».

قُدتُ بحذر في الطريق إلى السباق.

١٥

طلبوني في مكتب المستشار في إحدى الغرف الخلفية في الطابق الثاني.

«اسمح لي أن أرى كيف تبدو، يا تشيناسكي».

قال وهو يتطلع في وجهي.

«أوه! أنت تبدو في حالة سيئة. تناول قرصًا».

فتح فعلاً زجاجة دواء وتناول قرصًا.

«حسنًا، يا سيد تشيناسكي، نودّ أن نعرف أين كنتَ في اليومين الأخيرين؟»

«في حداد».

«حداد؟ أي حداد؟»

جنازة. صديقة قديمة. يوم لتوصيل الجثة، ويوم حداد».

«لكنك لم تبلغنا، يا سيد تشيناسكي».

«صحيح».

«وأودّ أن أقول لك شيئًا، ليس للاقتباس».

«نعم».

«عندما لا تتصل وتبلغ بالأمر، أتعلم ماذا تقول لنا؟»

«لا».

«يا سيّد تشيناسكي، يعني أنك تقول «فليذهب البريد إلى الجحيم!»».

«حقا؟»

«وهل تعلم ماذا يعني ذلك؟»

«لا، ماذا يعني ذلك؟»

«يعني، يا سيد تشيناسكي، أن البريد سيدقّ الخازوق **بأسفلك!**».

ثم ركن إلى الخلف ونظر إليّ.

قلت له: «سيّد فيذرز، يمكنك أن تذهب للجحيم».

«لا تتحدّث بوقاحة، يا هنري. يمكنني أن أصعّب الأمور عليك».

«رجاء خاطبني باسمي الكامل، يا سيدي. أطلب منك فقط قليلا من الاحترام».

«تطلب منّي الاحترام ولكن...»

«نعم. نعلم أين تركن السيارة، يا سيّد فيذرز».

«ماذا؟ هل هذا تهديد؟»

«السّود هنا يحبونني، يا فيذرز. لقد غررتُ بهم، وهم يحسبون أنّي معهم».

«السّود يحبونك؟»

«يقدّمون لي الماء. أنا حتى أضاجع نسائهم. أو على الأقل أحاول».

«حَسنا، أرى أن الأمور خرجت عن السيطرة. رجاء عُد إلى عملك».

سلمني ورقة تصريح بأنّي كنت عنده. شعر بالقلق، المسكين. لم أغرر بالسّود. لم أغرر بأحد عدا فيذرز.

ولكن لا يمكن ألأن لومه على قلقه. أحد المشرفين تمّ دفعه وسقط عن الدرج. وآخر شُرط استه بالسكين. وثالث شُرط في البطن بينما كان ينتظر تحوّل الإشارة عند ممر المشاة في الساعة ٣ صباحا. تماما قبالة مكتب البريد المركزي. لم يره أحد من بعدها.

بعد فترة وجيزة من حديثينا، غادر فيذرز المكتب الرئيسي. لا أعرف بالضبط أين ذهب. ولكنه كان خارج المكتب المركزي. لا أعرف إلى أين بالضبط، لكن خارج المكتب المركزي.

١٦

في صباح يومٍ، قرابة الساعة ١٠:٠٠، رن جرس الهاتف. «السيد تشيناسكي؟»

ميّزتُ الصوت وبدأتُ ألاطف نفسي.

«نعم» قلت.

كانت الآنسة غريفس القحبة.

«أيقظتك؟»

«نعم، نعم، آنسة غريفس، ولكن استمريّ. لا بأس، لا بأس».

«تمت المصادقة عليك».

«نعم، نعم..»

«وقد أبلغنا غرفة الجداول».

«ومن المفروض أن تؤدي م.أ ٢ بعد أسبوعَين من الآن».

«ماذا؟ انتظري لحظة...»

«هذا كلّ شيء، يا سيد تشيناسكي. طاب نهارك».

أقفلَت الخط.

١٧

حسنا، أخذت ورقة الجداول وربطتُ كلّ شيء بالجنس والجيل. عاش هذا الرجل في هذا البيت مع ٣ نساء. ضرب إحداهنّ بالسوط (وكان اسمها اسم الشارع وسنّها رقم المنطقة)؛ لعق فرج الأخرى

(كما سبق)، وببساطة ضاجع الثالثة مضاجعة تقليديّة (كما سبق). كان هناك مثليّون ودُعي أحدهم (جادة مانفريد) وعمره ٣٣ عاما... الخ، الخ، الخ.

أنا متأكد من أنهم لن يسمحوا لي بدخول القفص الزجاجي لو علموا بما كنت أفكر وأنا أنظر إلى بطاقاتي. بدوا جميعًا مثل أصدقاء قدامى.

ومع ذلك، اختلطت عليّ أحيانًا الحفلات الجنسية الجماعيّة. أصبتُ ٩٤ مرة في المرة الأولى.

بعدها بعشرة أيام، عندما عدتُ إلى هناك، كنتُ أعلم من يفعل ماذا لمن.

أصبتُ ١٠٠٪ خلال ٥ دقائق.

وحصلتُ على رسالة تهنئة من المدير العام لمكتب البريد.

١٨

بعد فترة وجيزة حصلتُ على تثبيت في عملي، وهذا منحني ورديّة ليلية مدتها ٨ ساعات، أفضل من ١٢ ساعة، وعطلة مدفوعة الأجر. لم يبق من الـ ١٥٠ أو الـ ٢٠٠ هناك سوى شخصين.

ثم التقيت بديفيد جانكو عند المحطة. كان شابًا أبيض البشرة في أوائل العشرينات من عمره. للأسف بدأت في التحدث معه، عن الموسيقى الكلاسيكية. بالصّدفة كنتُ مهتمًا وقتها بالموسيقى الكلاسيكية، لأنها كانت الشيء الوحيد الذي يمكنني لاستماع إليه وأنا

أشرب الجعة في السرير باكرًا. إذا كنت تستمع صباحا بعد صباح فحتمًا ستذكر شيئًا. عندما انفصلت جويس عني، حزمت بطريق الخطأ مجلّدين عن حياة الملحنين الكلاسيكيين والحديثين في إحدى حقائبي.

معظم هؤلاء الملحّنين ذاقوا الأمرّين إلى درجة أنّي استمتعتُ بالقراءة عنهم، والتفكير في نفسي، فأنا أيضًا في الجحيم ولا أستطيع حتى تأليف الموسيقى.

رغم ذلك تكلمت. تجادل جانكو ورجل آخر، وقمتُ بحلّ الخلاف بِذكري لتاريخ ميلاد بيتهوفن، ومتى ألّف السيمفونية الثالثة، وعرض عام (وإن كان فيه بعض الخلط) لما قاله النقاد عن السيمفونية الثالثة.

كان ذلك أكثر من اللازم بالنسبة لجانكو. قرر على الفور بأنّي رجل مثقف. جلس على كرسي جواري، وشرعَ يتذمّر ويقول كلامًا فارغًا، ليلة بعد ليلة، عن البؤس الدّفين في روحه المنحرفة والمعذّبة. كان يمتلك صوتًا جهورًا رهيبًا وأراد أن يسمعه الجميع. وزعتُ الرسائل في الصناديق، وأنا استمع واستمع واستمع، وأفكّر ما الذي سوف أفعله الآن؟

كيف لي أن أسكت ابن القحبة المجنون المسكين؟

عدتُ إلى البيت كل ليلة وأنا أعاني من دوار وغثيان. قتلني بصوته.

١٩

بدأت في الساعة ٦:١٨ مساء، وكان ديف جانكو يصل في الـ ١٠:٣٦ مساء، لذلك كان يمكن أن تكون الأمور أكثر سوءا. كنت

آخذ استراحة لمدة ٣٠ دقيقة في الـ ١٠:٠٦ مساء لتناول الوجبات، وعادة ما أتواجد هناك بوصوله. كان يبحث عن مقعد شاغر بجواري. جانكو، عدا عن تمثيله لدور المثقف الكبير، ارتدى ثياب العاشق الكبير. ووفقا لما قاله، كان محاصرا في الممرات بالنساء الجميلات، يتعقبن أثره في الشوارع. ولا يسمحن له بالراحة، المسكين. ولكني لم أره يوما يتحدث إلى امرأة في العمل، ولا امرأة تحدثت إليه.

كان يدخل ويقول: «أهلاً، هانك! اسمع، لن تصدّق أيّ مضاجعة كانت لي اليوم!»

لم يتكلم. صرخ وحسب. صرخ طوال الليل.

«يا إلهي، أكلتني كلّي! صغيرة في السن! ولكنها كانت في الحقيقة محترفة!»

اشعلتُ سيجارة.

ثم كان علي أن أصغي لحكاية لقائه بها ـ

«اضطررت إلى الخروج لشراء رغيف من الخبز، هل تسمع؟»

ثم ـ وصولا إلى آخر تفصيل ـ ما قالته، وما قاله، وما فعلاه، الخ.

في ذلك الوقت، تمت المصادقة على قانون يفرض على مكتب البريد الدفع للمناوبين بنسبة ١٥٠٪ لقاء الساعات ضافية. فتقل مكتب البريد الساعات الإضافية إلى السعاة المنتظمين.

ثمانية أو عشرة دقائق قبل انتهاء ورديتي، في الـ ٢:٤٨ فجرا كنتُ أسمع اتصالاً داخليًا يعلن:

«انتباه، من فضلكم! جميع المنتظمين الذين حضروا في الـ ١٨:١٨ ، هناك حاجة إلى العمل الإضافي لمدة ساعة إضافية!

كان جانكو يبتسم، ويصب المزيد من سمّه.

ثم، ٨ دقائق قبل أن تنتهي ساعاتي التسع، أسمع الاتصال الداخلي مرة أخرى:

«انتباه، من فضلكم! إلى جميع المنتظمين الذين حضروا في الـ ١٨:١٨ ، هناك حاجة للعمل الإضافي لمدة ساعتين إضافيتين!»

ثم، ٨ دقائق قبل أن تنتهي ساعاتي العشر:

«انتباه، من فضلكم! جميع المنتظمين الذين حضروا في الـ ١٨:١٨ ، هناك حاجة للعمل لمدة ٣ ساعات إضافية!»

في هذه الأثناء لم يتوقف جانكو.

«جلستُ في الصيدلية، ودخلت امرأتان جذابتان على مستوى. جلست كل منهنّ جواري..».

قتلني، ولكن لم أجد أي طريقة للإفلات. تذكرت كل وظائفي الأخرى التي عملت فيها. دائما جذبتُ المجانين إليّ. أحبّوني.

ثم أعطاني جانكو روايته. قال انه لا يستطيع الطباعة، فسلّمها للطباعة الفنيّة. كانت مجلّدة بغلاف أسود وراقٍ. والعنوان رومانسي جدا. أعطني رأيك فيها، «قال».

«نعم» قلت.

٢٠

أخذتها معي إلى البيت، فتحتُ علبة جعة، رقدتُ في السرير، وبدأت أقرأ.

كانت البداية جيدة. دارت حول جانكو وكيف عاش في غرف صغيرة، جائعًا، بينما كان يحاول العثور على عمل. واجه مشكلة مع وكالات التوظيف. التقى برجل في حانة ـ بدا متعلمًا ـ لكن هذا الصديق واصل اقتراض المال منه يرجع له شيئًا.

كانت الكتابة صادقة.

ربما كنت قد اخطأت في الحكم على هذا الرجل.

وكنت آمل بأن تتحسن أموره وأنا أقرأ. ثم تداعت الرواية. لسبب ما، في اللحظة التي بدأ يكتب فيها عن مكتب البريد، فقد الشيء مصداقيته.

سار خط الرواية من سيء إلى أسوأ. انتهت بذهاب البطل إلى الأوبرا. كان ذلك في وقت الاستراحة. كان قد ترك مقعده ليبتعد عن الحشد الجاهل والغبي. حسنا، وافقته الأمر. ثم، وفيما كان يتجول من وراء أحد الأعمدة، حدث ما حدث. حدث ذلك بسرعة. اصطدم بامرأة جميلة، رقيقة، ومهذبة. كاد يوقع بها.

جاء الحوار على النحو التالي:

«أوه، أنا آسف جداً»!

«لا عليك، لا بأس...»

«لم أكن أقصد أن... أنت تعرفين... أنا آسف...!»

«أوه، أؤكد لك، لا بأس!»

«لكني لم أقصد، لم أرك... لم أقصد أن...»

«لا عليك. لا بأس...»

استمر الحوار عن الاصطدام على طول صفحة ونصف الصفحة.

وكان الشاب المسكين مجنونًا فعلاً.

اتضح أن هذه المرأة، على الرغم من أنها تتجول لوحدها بين الأعمدة، متزوجة في الحقيقة من طبيب، بيد أن الطبيب لم يكن يفهم شيئًا في الأوبرا، ولم يهتم حتى لأشياء بسيطة مثل «بوليرو» رافيل. أو حتى العرض الراقص «القبعة ثلاثية الزوايا» لدي فاييه. تعاطفتُ مع الطبيب تماما.

شيء ما وُلِد من اصطدام هاتين الروحين الحساستين والطاهرتين. التقيا في الحفلات، ومارسا الجنس سريعا.

(تم الاستدلال على ذلك بدلا من التصريح به، لأن كليهما أرقّ من مجرّد معاشرة).

في الواقع، انتهى الأمر. أحبّت الجميلة المسكينة زوجها وأحبّت البطل (جانكو). حارت في أمرها، وطبعا، انتحرت. تركت كلا من الطبيب وجانكو وحيدين.

قلت للفتى «كانت بدايتها موفقة، ولكن عليك أن تُخرج ذلك الحوار الذي دار بينهما عندما التقيا وراء العمود. هو سيئ للغاية...»

«لا» قال، «لن أغيّر شيئًا».

مرّت أشهر والرواية تُعاد إليه في البريد.

«يا يسوع المسيح!» قال، «لا أستطيع أن أذهب إلى نيويورك وأتملّق للناشرين!»

«اسمع، يا فتى، لماذا لا تترك هذا العمل؟ وتذهب إلى غرفة صغيرة وتكتب. انشغل بها».

«شخص مثلك يمكنه أن يفعل ذلك»، قال، «لأنك تبدو كالمخمور. الناس سوف تقبلك للعمل لأنها تظنّ أنك لن تحصل على عمل في أي مكان أحد آخر، وستضطرّ للبقاء في وظيفتك. أما أنا فلن يقبلني أحد للعمل لأنّي أبدو مثقّفا، وسيظنون أن شخصًا مثقفا مثلي لن يواصل معهم، فلن يكون هناك جدوى للتعاقد معه».

«رغم ذلك لا زلت أصرّ، انتقل إلى غرفة صغيرة واكتب».

«لكنني بحاجة إلى ضمانات».

«من حسن الحظّ أن هناك أشخاصًا لم يفكّروا مثلك. من حسن الحظّ أن فان غوخ لم يفكّر مثلك».

«فان غوخ وهبه أخوه معدّات الرّسم مجانًا!» قال لي الشّاب.

IV

١

ثم طوّرتُ نهجًا جديدًا في سباقات الخيل. كسبتُ ٣٠٠٠ دولار في غضون شهر ونصف ولم أحضر السباقات سوى ثلاث مرات في الأسبوع. بدأت أحلم. حلمتُ ببيتٍ صغير يطل على البحر. رأيت نفسي أرتدي الملابس الجميلة، أنعم بالهدوء، أنهض في الصباح، أركب سيارتي المستوردة، وأقود على مهل، متوجّهًا نحو السباقات. حلمتُ بوجبات من شرائح اللحم المقدّمة بأناة، تسبقها وتعقبها المشروبات الباردة المقدّمة في كؤوس ملوّنة. البقشيش للنادلين. السيجار. ونساء، كما أشتهي. من السهل الوقوع في هذا النوع من التفكير عندما تقبض مبالغ كبيرة عبر نافذة أمين الصّندوق. عندما تحضر سباق مسافة ٦ فيرلونج، تكسب خلال دقيقة و ٩ ثوان مثلاً، أجر عن عمل مدّة شهرٍ كامل.

حضرتُ إلى مكتب المراقب المسئول عن الإجازات. جلس خلف طاولته. وضعتُ السيجار في فمي وكانت تنبعث منّي رائحة الويسكي. شعرت وكأني ثريّ. لاحظوا عليّ الثراء.

قلت: «سيّد وينترز، لقد تعامل معي مكتب البريد بشكل لائق، ولكن لدي مصالح تجارية أخرى يجب عليّ ببساطة أن أهتمّ بها. إذا كنت لا تستطيع أن تمنحني إجازة غير مدفوعة الأجر، فلا مفرّ لي من الاستقالة».

«ألم أعطك إجازة في وقت سابق من هذا العام، يا تشيناسكي؟»

«لا، يا سيد وينترز، رفضتَ طلب الإجازة الذي قدّمته. هذه المرة لن أقبل أي رفض. وإلاّ سأستقيل».

«حسنًا، قم بتعبئة الاستمارة وسأوقع عليها. لكني أستطيع أن أمنحك عطلة مدّتها ٩٠ يومًا، لا تشمل نهايات الأسبوع».

«سأقبلها» قلت، ونفثتُ نفثة طويلة زرقاء من دخان السيجار الثمين.

٢

انتقل مسار السباقات إلى مكان آخر على الساحل، مسافة مئة كيلومتر جنوبًا أو نحو ذلك. واصلتُ دفع إيجار شقتي في المدينة، ركبتُ سيارتي وتوجّهت إلى هناك. عُدتُ مرة أو مرتين في الأسبوع إلى الشقة، مارًا بمكتب البريد، بقيتُ أحيانًا لأمكث ليلا، ثمّ انطلقتُ مرة أخرى.

كانت حياة جيدة، وبدأت أحقّق المكاسب. كل ليلة، بعد السباق الأخير، شربتُ كأسًا أو اثنين في الحانة، وجُدتُ على النادل بالبقشيش. بدا الأمر وكأنّي أعيشُ حياة جديدة. لا يمكن أن يقع لي أيّ سوء.

في إحدى الليالي لم أشاهد حتّى السباق الأخير. ذهبتُ إلى الحانة. ٥٠ دولارًا كان مبلغ رهاني العادي. بعد أن تراهن بـ ٥٠ دولارًا، تبدو بعد مدّة وكأنّها ٥ أو ١٠ دولارات.

«ويسكي بالماء» قلت للنادل. «أظنّني سأستمع هذه المرة إلى السباق عبر مكبرات الصّوت».

«أي حصانٍ راهنت عليه؟»

«بلو ستوكينغ.» قلت له. «راهنتُ بـ ٥٠».

«وزنه ثقيل جدًا».

«هراء. الحصان الجيد قد يصل وزنه إلى ٥٥ كيلوغرامًا ويساوي ٦ آلاف دولار. وهذا يعني، وفق الظروف، أن الحصان فعل شيئا لم يفعله أي حصان آخر في هذا السباق».

بالطبع، لم يكن هذا السبب من وراء رهاني على بلو ستوكينغ. أنا دائمًا أعطي معلومات مضللة. لم أرغب بأن يظهر أي شريك معي على اللوحة.

في ذلك الوقت، لم يكن لديهم شاشات تلفزة بدوائر مغلقة. استمعتُ للصّوت فقط. حققتُ مكسبًا قدره ٣٨٠ دولارًا. أي خسارة في السباق الأخير ستكسبني ٣٣٠ دولارًا. هذا أجر جيد ليوم عمل.

استمعنا. ذكر المُذيع كل حصان في السباق ما عدا بلو ستوكينغ.

فكرت أن حصاني لا بدّ أنه وقع.

كانت الخيول قد دخلت المسار، واقتربت من خط النهاية. اشتُهر المسار بقصره وصعوبته.

وقبل نهاية السباق، صرخ المذيع قائلاً، «ها هو بلو ستوكينغ قادم من المسار الخارجي! بلو ستوكينغ يتقدّم! إنّه... بلو ستوكينغ!»

«عفوًا» قلتُ للنادل، «سأعود حالاً. أعدّ لي كأس ويسكي بالماء. مضاعف».

«حاضر يا سيدي!» قال.

ذهبت تجاه المكان الذي وضعوا فيه لوحة النتائج الصغيرة بجانب المسار. سُجّل بجانب بلو ستوكينغ ٩/٢. لم يكن ٨ أو ١٠ إلى ١ لكن الرهان كان على الفوز، لا على السعر. سآخذ ٢٥٠ دولارًا وبعض الفكّه. عدت إلى الحانة.

«على من ستراهن غدًا، يا سيدي؟» سألني النادل.

«غدًا ما زال بعيدًا» قلت.

أنهيتُ شرابي، أعطيته بقشيشا بقيمة دولار وغادرت.

٣

كلّ الليالي شابهت بعضها. سافرتُ على طول الساحل باحثًا عن مكان أتناول فيه العشاء. أردتُ مكانًا فاخرًا غير مزدحم. طوّرت حاسّة شمّ قويّة في العثور على مثل هذه الأماكن. أمكنني أن أحكم عليها من خلال تفحّصها من الخارج. لم يكن الحصول على طاولة تطل مباشرة على البحر أمرًا ممكنًا دائمًا إلا إذا انتظرت. لكن أمكنك أن تشاهد البحر والقمر وتهنأ بنفسيّة رومانسيّة من جميع الأماكن. الاستمتاع بالحياة. طلبتُ دائما سلطة من الحجم الصغير وشريحة لحم كبيرة.

ابتسمت النادلات ابتسامات لذيذة ووقفن قريبًا منّي. قطعتُ مسافة طويلة نسبيًا لرجل عمل في المسالخ، وجاب البلاد مع عصابة من مُوقفي السيارات على الطريق، وعمل في مصنع لتصنيع طعام للكلاب، ونام على المقاعد في الحدائق العامة، وعمل في وظائف أخرى في عشرات المدن في مختلف أنحاء البلاد.

بعد تناول العشاء بحثتُ عن فندق رخيص. وهذا الأمر أيضًا استغرق وقتًا. أتوقّف، أولا، في مكان ما لشراء الويسكي والجعة. أتجنب الفنادق التي تحوي جهاز تلفزيون في الغرفة. ما همّني هو أن تكون الأغطية نظيفة، والحمام الساخن، والرفاه. كانت الحياة سحرية. ولم أملّها للحظة.

٤

في يوم، جلستُ في الحانة في فترة الاستراحة بين السباقات ورأيت امرأة. يواصل الله أو شخص ما خَلق المرأة والقذف بها إلى الشوارع، تلك بعجيزة ضخمة جدًا وأخرى بنَهدَين صغيرَين جدًا، والمهووسة والمجنونة، والمتديّنة، ومن تقرأ الفنجان، ومن لا تتحكّم في ضراطها، ومن لها أنف كبير، ومن لها سيقان نحيلة...

لكن بين الحين والآخر، تطلّ امرأة، بكامل نورها، امرأة تتفتح من ثيابها... مخلوق جذّاب، هي اللعنة، ونهاية العالم. نظرتُ إلى أعلى ورأيتها، في الطرف المقابل في الحانة. كانت مخمورة ورفض النادل أن يقدّم لها مشروبًا آخر، بدأت تشتُم وقاموا باستدعاء أحد

رجال الشرطة، فأمسك بها الشرطيّ من ذراعها، وقادها إلى الخارج، فيما كانوا هم يلغطون.

أنهيتُ شرابي وخرجتُ وراءهم.

«أيّها الشرطيّ! أيّها الشرطيّ!»

توقّف ونظر إليّ.

«هل فعلت زوجتي سوءًا؟» سألته.

«نعتقد أنها مخمورة، يا سيدي. كنتُ سأرافقها إلى البوابة».

«بوّابة الانطلاق؟»

ضحك. «لا يا سيدي. بوابة الخروج».

«سأعتني بالأمر، يا حضرة الشرطيّ».

«حسنًا يا سيدي، ولكن اهتمّ بأن لا تشرب بعد الآن».

لم أردّ. أمسكتها من ذراعها وعدتُ بها إلى الداخل.

قالت: «الحمد لله، لقد أنقذتَ حياتي».

اصطدم صدرها بي.

«لا بأس. اسمي هانك».

قالت: «أنا ماري لو».

قلت: «ماري لو، أنا أحبك».

ضحكَت.

بالمناسبة، أنت لا تختبئين وراء الأعمدة في دار الأوبرا، أليس كذلك؟»

«لا اختبئ وراء أي شيء» قالت، وأبرزت نهديها.

«هل ترغبين بكأس أخرى؟»

«بالتأكيد، لكنه لا يريد أن يعطيني».

«هناك أكثر من حانة في هذا الأماكن، يا ماري لو. دعينا نصعد للطابق العلوي. وحافظي على الهدوء. قفي في الخلف وسأحضر لك مشروبك. ماذا تشربين؟»

قالت: «أي شيء».

«ويسكي بالماء، يناسبك؟»

«بالتأكيد».

شربنا حتّى نهاية السباقات. جلبت لي الحظ. كسبتُ في سباقين من السباقات الثلاثة الأخيرة.

«معك سيارة؟» سألتها.

«جئت مع شخص غبيّ» قالت. «انس أمره».

«إذا كنت تستطيعين، أستطيع أنا أيضًا»، قلت لها.

ركبنا السيارة وتعانقنا وأولجَت لسانَها في فمي وخارجه، مثل ثعبان صغير تائه. توقفنا عن المعانقة وقدت السيارة على طول الساحل. كانت ليلة حظ. حصلتُ على طاولة تطلّ على البحر وطلبنا المشروبات وانتظرنا شرائح اللحم. نظر جميع الحاضرين في المكان إليها. انحنيتُ فوق الطاولة، وأشعلتُ لها السيجارة، وقلت في نفسي، هذه المرة ستكون ليلة مثاليّة. عرف الجميع ما كان يدور في ذهني، وعرفت ماري لو ما كان يدور في ذهني، وأنا ابتسم في وجهها من فوق اللهب.

«البحر» قلت، «انظري إليه، كيف تتضارب الأمواج، وتتلوى

صعودًا وهبوطًا. وأسفل ذلك، هناك الأسماك، الأسماك المسكينة تتصارع، وتلتهم بعضها. نحن مثل تلك الأسماك، لكننا فوق. غلطة صغيرة ويقُضى عليك. من الجميل أن تكون بطلاً. من الجميل أن تعرف تحركاتك.»

أخرجتُ السيجار وأشعلته.

«مشروب آخر، يا ماري لو؟»

«نعم يا هانك».

٥

وجدنا فندقًا. أطلّ على البحر، بُني على البحر. مكان قديم، ولكنّه راقٍ. حصلنا على غرفة في الطابق الأول. سمعنا صوت البحر من ذلك المكان، سمعنا هدير الموج، شممنا رائحة البحر، شعرنا بحركة المدّ والجزر.

مضى وقت معها، وتحدثنا وشربنا. ثم توجّهت نحو الأريكة وجلست إلى جوارها. تقدّمنا قليلا، ضحكنا وتحدثنا، وأصغينا إلى صوت البحر. تجرّدتُ من ملابسي لكني طلبتُ منها أن تُبقي على ملابسها. ثمّ حملتها متوجّها نحو السرير، وبينما زحفتُ فوقها، جرّدتها من ملابسها وأولجتُ فيها. كان الولوج صعبًا. لكنها استسلمت.

كانت من أفضل مضاجعاتي، أصغيت إلى الماء، أصغيتُ إلى حركة المدّ والجزر. كأنّي أُقبل بالمحيط كلّه. بدا الأمر وكأنّه لا يتوقّف. ثمّ نزلتُ عنها.

«يا إلهي»، قلت، «يا إلهي!»

لا أعرف كيف يتورّط الله دائما في هكذا أمور.

٦

في اليوم التالي جمعنا بعض الأغراض من الفندق. كان هناك رجل قاتم وقصير على طرف أنفه ثؤلول. بدا خطيرًا.

«هل سترحلين معه؟» سأل ماري لو.

«نعم».

«حسنًا. بالتوفيق». أشعل سيجارة.

«شكرًا يا هكتور».

هكتور؟ أيّ اسم هذا؟

«هل ترغب بالجعة؟» سألني.

«بالتأكيد» قلت.

كان هكتور يجلس على حافة السرير. ذهب إلى المطبخ وأحضر ثلاث زجاجات من الجعة. كانت الجعة جيدة، مستوردة من ألمانيا. فتح واحدة لماري لو، وصبّ بعضًا منها في الكأس. ثم سألني:

«هل ترغبُ بكأس؟»

«لا، شكرًا».

نهضتُ وأخذتُ منه زجاجة.

جلسنا نرتشف الجعة في صمت.

ثم قال، «هل أنت رجل بما فيه الكفاية لاصطحابها بعيدا عني؟»

«اللعنة، لا أعرف. هذا اختيارها، وإذا أرادت أن تبقى معك، سوف تبقى. لماذا لا تسألها؟»

«ماري لو، هل تبقين معي؟»

«لا»، قالت، «أنا ذاهبة معه».

أشارت إليّ. شعرتُ بأني مهمّ. فقدتُ الكثير من النساء لصالح رجال آخرين إلى درجة أن الإحساس كان جميلاً بأن تكون المسألة عكسيّة على غير العادة. أشعلت السيجار. ثمّ تلفّتت من حولي باحثًا عن منفضة. رأيتُ واحدة فوق الخزانة.

صادف أني كنتُ أنظر في المرآة لأرى تأثير صداع الخمار عليّ فرأيته يقبلُ نحوي مثل السّهم نحو الهدف. كنت لا أزال أمسك بزجاجة الجعة. استدرتُ فاصطدمتُ به على الفور. آذيته في فمه. صار فمه عبارة عن أسنان مهشّمة ودم. نزل هكتور على ركبتيه، وبكى، وأمسك فمه بيديه. رأيت الخنجر. ركلتُ الخنجر بعيدا عنه بقدمي، التقطه، تأمّلته. بلغ طوله ٢٣ سنتيمترًا. ضغطتُ على الزر فدخل النصل في المقبض. وضعته في جيبي.

بعدها وفيما كان هكتور يبكي توجّهتُ نحوه وركلته في استه. تمدّد على الأرض، وكان لا يزال يبكي. ابتعدتُ عنه، وارتشفتُ من جعته.

ثم سرتُ باتجاه ماري لو وصفعتها. فصرخت.

«قحبة! أنت دبّرت كل هذا، أليس كذلك؟ كنتِ ستسمحين لهذا القرد بقَتلي لقاء الـ ٤ أو ٥ مئة دولار القذرة الموجودة في محفظتي!»

«لا، لا!» قالت. بكت. بكى كلاهما.

صفعتها مرة أخرى.

«مَم تعتاشين، أيتها القحبة؟ تقتلين النّاس لقاء بعض مئات الدولارات؟»

«لا، لا، أنا أحبك يا هانك، أحبك!»

أمسكتها من قبة فستانها الأزرق ومزقت طرفه حتى خصرها. لم ترتدِ صدريّة. لم تكن القحبة بحاجة إلى صدريّة.

خرجتُ من هناك، سرتُ متوجّهًا نحو السباق. بقيتُ متيقّظًا لمدة أسبوعين أو ثلاثة. كنتُ عصبيًا. لم يحدث أي شيء. لم أر ماري لو في السباقات مرة أخرى. ولا هكتور.

٧

بطريقةٍ ما، نفذت نقودي وسرعان ما تركتُ مسار السباق، وجلستُ في شقّتي أنتظر انتهاء أيام الإجازة التسعين. كانت أعصابي مدمّرة من الشرب والعمل. كيف توقع النساء برجل فجأة، انها ليست حكاية جديدة. تخال أن لديك مساحة للتنفس، ثم ترفع عينيك فتجد امرأة أخرى. بعد أيام قليلة من العودة إلى العمل، كان هناك امرأة أخرى. فاي. كان شعرها رماديًا، وترتدي دائمًا الملابس السوداء. قالت إنها احتجّت بذلك على الحرب. إذا كانت فاي تحتجّ على الحرب، فلا مشكلة. مارست الكتابة في مجال ما، وارتادت بعض ورشات الكتابة. قالت إنها تملكُ أفكارًا **حول إنقاذ العالم**. قلتُ في نفسي، إذا كانت ستنقذ العالم من أجلي، فلا مشكلة أيضًا. عاشت من نفقة

الشيكات التي دفعها زوجها السابق -كان لديهم ٣ أطفال ـ ووالدتها كذلك أرسلت إليها المال بين الحين والآخر. لم تعمل فاي في أكثر من مكان عمل أو أثنين طوال حياتها.

في الوقت نفسه، أعدّ جانكو كومة جديدة من الهراء. عُدتُ إلى البيت كل صباح مع أوجاع رأس بسببه. وقتها حصلت على مخالفات مرور عديدة. يبدو أنه في كل مرة نظرتُ إلى مرآة الرؤية الخلفية كانت هناك أضواء حمراء لسيارة دورية أو لدراجة تفقّدية.

في إحدى الليالي وصلت البيت في وقت متأخر. كنت مرهقًا تمامًا. بالكاد عثرتُ على المفتاح وأولجته في الباب. دخلتُ غرفة النوم فرأيتُ فاي في السرير، تقرأ الـ«نيويوركر» وتتناول الشوكولاتة. لم تلقِ حتّى التحيّة.

توجّهتُ إلى المطبخ وبحثت عن شيء للأكل. لم يكن هناك شيء في الثلاجة. قررت أن أصبّ لنفسي كأسًا من الماء. توجّهتُ نحو الحوض. كان مليئًا بالقمامة. كانت فاي دائمًا تحفظ العلب الفارغة والأغطية. كان نصف الحوض مليئًا بالأطباق الوسخة، وعامت هذه الأطباق والأغطية على وجه الماء، إلى جانب بعض الأطباق الورقيّة.

دخلتُ إلى غرفة النوم مرة أخرى بالضّبط في اللحظة التي كانت فاي تضع قطعة الشوكولاته في فمها.

قلت: «اسمعي يا فاي، أنا أعلم أنك تريدين إنقاذ العالم، ولكن ألا يمكنك أن تبدأي بالمطبخ؟»

«المطابخ ليست مهمة» قالت.

كان من الصعب ضرب امرأة رماديّة الشّعر، لذلك ذهبت إلى

الحمام، وملأت حوض الاستحمام بالماء. قد يبرّد الحمام السّاخن أعصابي. عندما امتلأ الحوض بالماء، خفتُ من دخوله. كان جسدي المتعب، حينها، مشدودًا إلى درجة أنّي خفتُ من الغرق.

توجهت إلى الصّالون وبعد جهد تمكّنت من خلع قميصي وبنطلوني وحذائي وجواربي. توجّهتُ إلى غرفة نوم واضطجعتُ في السرير بجوار فاي. لم أرتح. في كل مرة تحركّتُ، كلّفني ذلكَ غاليًا.

قلتُ في نفسي،الوقت الذي يمكنك أن تكون فيه لوحدك، يا تشيناسكي، هو وقت ذهابك للعمل أو عودتك منه.

أخيرا تمكّنتُ من الاستدارة متّخذًا وضعيّة النّوم على البطن. ألمّ في كلّ مكان في جسدي. قريبًا سأعود إلى العمل. لو تمكنت من النوم، فقد يساعدني ذلك. بين الحين والآخر كنت أسمع صوت الصفحة وهي تقلبها، أو صوتها وهي تمضغ الشوكولاتة. كانت تلك إحدى ليالي عودتها من ورشة الكتابة. لو فقط تطفئ الأضواء، قلتُ في نفسي.

«كيف كانت ورشة الكتابة؟» سألتُ من بطني.

«أنا قلقة بشأن روبي».

«أوه» سألتها: «ماذا حدث؟»

كان روبي على عتبة الـ ٤٠، عاش مع والدته طوال حياته. قيل لي إنه كتب قصصا طريفة جدًا عن الكنيسة الكاثوليكية. هاجم روبي الكاثوليك فعلاً. لم تكن المجلات تتقدّم بما فيه الكفاية لتنشر مواد روبي، على الرغم من أنهم نشروا له مرة شيئًا في مجلة كنديّة. كنت قد رأيت روبي مرة واحدة في إحدى الليالي التي لم أعمل فيها.

أوصلتُ فاي إلى أحد البيوت الفخمة حيث التقوا هناك، وقرؤوا ما كتبوه. «أوه! ها هو روبي!» قالت فاي، يكتب قصصًا طريفة جدا عن الكنيسة الكاثوليكية!»

وأشارت إليه. كان روبي يدير ظهره لنا. كانت مؤخرته عريضة وكبيرة وناعمة; برزت من بنطلونه. ألا يرون ذلك؟ قلتُ في نفسي.

«ألن تدخل؟» سألت فاي.

«ربّما الأسبوع المقبل...»

وضعت فاي قطعة شوكولاتة أخرى في فمها.

«روبي قلق. فقد وظيفته كسائق شاحنة. يقول انه لا يمكن الكتابة دون وظيفة. يحتاج إلى الشعور بالأمان. يقول انه لن يكون قادرًا على الكتابة حتى يجد وظيفة أخرى».

«تبًا»، قلت، «يمكنني أن أجد له وظيفة أخرى».

«أين؟ كيف؟»

«في مكتب البريد يبحثون عن أشخاص، يوجد عمل كثير، والدفع لا بأس به».

«مكتب البريد! روبي بالغ الحساسية ولا يمكنه العمل في مكتب البريد!»

«أعتذر»، قلت، «ظننتُ أن الأمر جديرٌ بالمحاولة. طابت ليلتك».

لم تردّ فاي. كانت غاضبة.

٨

لم أعمل أيام الجمعة والسبت، الأمر الذي جعل الأحد أصعب الأيام. إلى جانب حقيقة أنّي أيام الأحد كان يجب أن أتواجد في الساعة ٣:٣٠ بعد الظهر بدلا من الـ ٦:١٨ وهي الساعة المعتادة.

هذا الأحد، وصلتُ إلى العمل وأرسلوني في المحطة إلى قسم المجلات، كما هي العادة أيام الأحد، وهذا يعني الوقوف على قدميّ ثماني ساعات على الأقلّ.

إلى جانب الآلام، بدأت أعاني من نوبات دوار. كل شيء كان يدور من حولي، وكلّما كاد يُغمى عليّ، استرددتُ وعيي.

كان ذلك الأحد صعبًا. جاء بعض أصدقاء فاي وجلسوا فوق الأريكة ولم يتوقفوا عن الحديث، وكيف أنهم كانوا حقا كتابًا عظامًا، الأفضل على مستوى الأمة. السبب الوحيد الذي يجعلهم لا ينشرون كتاباتهم أنهم ببساطة ـ وفق أقوالهم ـ لا يرسلون أعمالهم إلى دور النشر.

نظرتُ إليهم. لو كانوا يكتبون كما كانوا يبدون، بقهوتهم، ولغطهم، والكعك الّذي يدسّونه في أفواههم، فإنه لا يهم إذا أرسلوا أعمالهم إلى دور النشر أو ألقوا بها إلى حاوية القمامة.

في ذلك اليوم، قُمتُ بتوزيع المجلات على الصناديق. كنت بحاجة إلى القهوة، كأسين من القهوة، وتناول الطعام. إلا أن جميع المفتشين وقفوا في الخارج أمامنا. تملّصت من الباب الخلفيّ. كنتُ بحاجة لأن أستردّ نفسي. كانت الكافيتيريا في الطابق الثاني. كنتُ أنا في

الطابق الرابع. كان هناك درج في الأسفل بجانب مراحيض الرجال. نظرتُ إلى اللافتة.

تحذير!

يحظر استخدام هذا الدرج!

كانت المسألة خدعة. لكنّي كنتُ أذكى منهم. فقد وضعوا للتو هذه اللافتة ليمنعوا الأذكياء أمثال تشيناسكي من النزول إلى الكافيتيريا. فتحتُ الباب ونزلت. أُغلِقَ الباب ورائي. نزلتُ الطابق الثاني. أدرتُ مقبض الباب. ما هذا! الباب لا يفتح! تم إغلاقه. عُدتُ. مررتُ بباب الطابق الثالث. لم أحاول فتحه. عرفتُ أنه مغلق. وقد تم إغلاق باب الطابق الأول. كنتُ ألمّ وقتها بتفاصيل مكتب البريد بما فيه الكفاية. عندما نصبوا فخا لأحدهم، حافظوا على السرية. كانت فرصتي الوحيدة ضئيلة. كنت في الطابق الرابع. أدرتُ المقبض. كان مغلقًا.

على الأقل كان الباب بجانب مراحيض الرجال. دائما دخل شخص أو خرج من مراحيض من الرجال. انتظرت. ١٠ دقائق. ١٥ دقيقة. ٢٠ دقيقة! ألا يريد أحد أن يبول، أو يتغوط، أو يستمني؟ ٢٥ دقيقة. ثم رأيتُ وجهًا. طرقتُ على الزجاج.

«هيه، يا رفيق! يا رفيق!»

لم يسمعني، أو تظاهر بذلك. مشى إلى المرحاض. ٥ دقائق. ثم ظهر وجه آخر.

طرقتُ على الزجاج بقوة. «هيه، يا رفيق! هيه، يا مَنيك!»

بدا أنه سمعني. نظر إليّ من وراء الزجاج المحاط بالأسلاك.

فقلت له: «افتح الباب! ألا ترى أنّي هنا؟ أنا عالق هنا، يا غبي! افتح الباب!»

فتح الباب. دخلتُ. بدا الرجل وكأنه في نشوة.

ضغطتُ على مرفقه.

«شكرا يا فتى».

عدتُ مرة أخرى إلى خزانة المجلات.

ثم مرّ المشرف بجانبي. توقّف ونظر إليّ. تباطأت.

«كيف حالك يا سيّد تشيناسكي؟»

هدرتُ ردًا عليه، ولوّحتُ بالمجلة في الهواء كما لو فقدتُ عقلي، تمتمتُ شيئًا بين وبين نفسي نفسي، ومشى.

٩

حملَت فاي. لكن الحملَ لم يغيّر فيها شيئًا، ولم يغيّر شيئًا في مكتب البريد.

هُم هُم الموظّفون، أدّوا جميع المهمّات في حين وقف رجال طاقم المساعدة يتجادلون حول الرياضة. كانوا جميعا رجالاً شديدين سودًا ـ بنيَتهم مثل بنية المصارعين المحترفين. كلما وصل موظف جديد إلى مكتب البريد، ألقوا به إلى طاقم المساعدة.

جنّبهم ذلك قتل المشرفين. لو كان هناك مشرف لطاقم المساعدة، لما رأوه قط. كان رجال الطاقم يأتون بشاحنات محمّلة بالبريد الذي وصل عن طريق مصعد الشحن. استغرق هذا العمل ٥ دقائق في

الساعة. أحيانا عدّوا البريد، أو تظاهروا بذلك. بدوا هادئين ومثقّفين جدًا، وهم يعدّون وأقلام الرصاص الطويلة خلف الأذن. لكن معظم الوقت تجادلوا حول الرياضية بعنف. كانوا جميعا خبراء ـ يقرأون نفس أخبار الرياضة.

«حسنًا، من هو الأفضل في أرض الملعب؟»

«ويلي مايس، تيد وليامز، كوب».

«ماذا؟ ماذا؟»

«ما سمعته!»

«وماذا عن بايب؟ أين تصنفه؟»

«حسنًا، حسنًا، من هو نجمك في أرض الملعب؟»

«لا يوجد نجم، يوجد بطل لجميع الأزمنة!»

«حسنًا، حسنًا، أنت تعرف ما أعنيه، يا عزيزي، تعرف ما أعنيه!»

«حسنا، أنا أقول مايس، روث، ودي ماج!»

«كلاكما مجنونان! ماذا عن هانك آرون، يا عزيزي؟ ماذا عن هانك؟»

في وقت ما، اتُخذ قرار أن يكون عمل طاقم المساعدة على أساس طلبيّات خاصّة. كانت الطلبيّات تُنفّذ في الغالب على أساس الأقدمية. قام أعضاء طاقم المساعدة بانتزاع الطلبيّات من دفتر العمل. فلم يكن لديهم ما يقومون به. لم يقدّم أحد أيّ شكوى. كانت الطريق إلى موقف السيارات ليلاً طويلة ومظلمة جدا.

١٠

بدأتُ أعاني من نوبات دوار. أمكنني أن أشعر بها مقبلة. كانت الخزانة تبدأ بالدوران. استمرت نوبات الدوار حوالي دقيقة واحدة. لم أستطع فهم الأمر. صارت كل رسالة أثقل من سابقتها. بدا لي الموظفون بتلك النظرة الغامضة فجأة. بدأت أسقط عن الكرسي. وساقاي بالكاد حملاني. هذا العمل قتلني.

ذهبت إلى طبيبي ورويتُ له الموضوع. فحص ضغط الدّم عندي.

«لا، لا، ضغط الدم على ما يرام».

ثم وضع سماعة الطبيب وزانني.

«لا أجد مشكلة».

ثم قام بفحص دم خاصّ. أخذ الدم من ذراعي ثلاث مرات على فترات، كل مرة أطول من السابقة.

«هل تمانع الانتظار في الغرفة الأخرى؟»

«لا، لا، سأخرج وأتجول وأعود في الوقت».

«حسنًا ولكن عُد في الوقت».

عدتُ في الوقت المحدد لفحص الدّم الثاني. ثم كانت هناك فترة انتظار أطول حتى موعد الفحص الثالث، ٢٠ أو ٢٥ دقيقة. خرجت إلى الشارع. لم يكن هناك شيء يُذكر. دخلتُ أحد المتاجر وتصفحتُ إحدى المجلات. أعدتها إلى مكانها، نظرت في الساعة وخرجت. رأيت امرأة تجلس في محطة للحافلات. كانت نادرة. كشفت عن

سيقانها. لم أتمكن من غض الطرف عنها. عبرت الشارع ووقفت على بعد ما يقارب ٢٠ مترًا منها.

بعدها قامت. كان لا بد لي من تعقّب أثرها. نادتني مؤخرتها. كنتُ مسحورًا بها. دخلت إلى فرع بريد آخر فدخلتُ وراءها. وقفت في طابور طويل خلفها. اشترت بطاقتين بريديتين. اشتريتُ طوابع بـ دولارين و ١٢ بطاقة بريدية.

عندما خرجتُ، صَعدت إلى الحافلة. رأيت الساقين والمؤخرة الرائعتين تغيبان داخل الحافلة، التي أقلّتها بعيدًا.

كان الطبيب ينتظرني.

«ماذا حدث؟ تأخرت ٥ دقائق!»

«لا أعرف. لا بدّ أن هناك خللاً في الساعة.»

«يجب ضبط هذا الشيء!»

«هيا. خذ عينة من الدم على أية حال».

غرز بي الإبرة...

بعد يومين، أكّدت الفحوصات أنّي بخير. لم أكن أعرف ما إذا كانت الـ ٥ دقائق هي السبب أو أي شيء بالضبط.

ولكن نوبات الدوار ازدادت سوءا. بدأت أختم البطاقة بعد ٤ ساعات من العمل دون تعمير الاستمارات المطلوبة..

كنت أعود في حوالي الساعة ١١ مساء وأجد فاي. فاي الحامل المسكينة.

«ماذا حدث؟»

«لا يمكنني أن أتحمّل أكثر من ذلك»، قلت، «حساس جدًا...»

١١

لم يعرف أحد ممّن كانوا في محطة دورسي عن مشاكلي.

كنت أدخل كلّ مساء عبر الباب الخلفيّ، مخفيًا سترتي في صينية وأدخل لأحصل على بطاقة الحضور:

«أيها الإخوة والأخوات!» قلت.

«أخ هانك!»

«مرحبًا، يا أخ هانك!»

لعبنا لعبة، لعبة البيض والسود، أحبوها. كان بوير يأتيني، يلمسني من ذراعي ويقول:

«يا رجل، لو كان لي لون مثل **لونك** لصرتُ مليونيرًا!»

«بالتأكيد، يا بوير وهذا كل ما يتطلبه الأمر: البشرة البيضاء».

ثم يأتينا هادلي الصغير والسمين.

«عمل طباخًا أسود على متن سفينة، كان الأسود الوحيد هناك. أعدّ الحلوى مرّتين أو ثلاث مرات في الأسبوع ثم استمنى فيها. أحبّ البيض الحلوى التي أعدّها، هاهاهاها! سألوه عن طريقة إعدادها، فقال إنها وصفته السرية، هاهاهاهاها!».

ضحكنا جميعا. لا أعرف كم مرة اضطررت إلى الاستماع إلى قصة الحلوى...

«هيه، أيها الأبيض العفن! هيه، يا فتى!»

«اسمع، يا رجل، لو أني ناديتك بـ«الفتى» فكان من المحتمل أن تهشمني.

لذا لا تناديني بـ«الفتى».

«اسمع، أيها الأبيض، ما رأيك لو خرجنا معا في نهاية هذا الأسبوع؟ وجدتُ لي امرأة جميلة بيضاء وشعرها أشقر».

«وأنا وجدتُ لي جميلة السوداء، وأنت تعلم ما لون شعرها».

«أنتم تعاشرون نساءنا منذ قرون. ونحن نحاول أن نسدّ الثغرات. هل تمانع بأن أولج ذَكري الأسود الضخم في الجميلة البيضاء؟»

«إذا كان هذا ما تريده هي، فليكن».

«لقد سرقتَ الأرض من الهنود».

«طبعًا سرقتُها».

«إيّاك أن تدعوني إلى بيتك. إذا دعوتني، ستطلب منّي أن أدخل من الباب الخلفيّ، كي لا يرى أحد لوني..»

«لكنّي سأتركُ لك ضوءًا صغيرًا».

صار الأمر مملاً، لكن لا بدّ منه.

١٢

تقدّمت فاي في حملِها. نسبيًا لامرأة في عمرها، كان حملها جيّدًا. انتظرنا في شقّتنا. وأخيرا حانت الساعة.

قالت: «لن يطول، لا أريد الوصول إلى هناك في وقت مبكر».

خرجتُ وفحصتُ السيارة. عدتُ.

قالت: «أووه، أوه، لا، انتظر».

ربما أمكنها **فعلاً** أن تنقذ العالم. كنت فخورا بهدوئها. غفرتُ لها الأطباق القذرة والنيويوركر وورشة الكتابة. كانت مجرد مخلوق آخر وحيد في عالم لا يكترث لشيء.

قلت: «من المستحسن أن نذهب الآن».

«لا»، قالت فاي «لا أريدك أن تنتظر طويلاً. أعلم أنك لا تشعر بخير في الآونة الأخيرة».

«دعيكِ مني. هيّا نذهب».

«لا، أرجوك، يا هانك».

جلست هناك وحسب.

سألتها: «ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟».

«لا شيء».

جلسَت هناك عشر دقائق. ذهبتُ إلى المطبخ لأشرب الماء. عندما عدتُ قالت: «هل أنت على استعداد لإيصالي؟»

«بالتأكيد».

«أنت تعرف مكان المستشفى؟»

«بالطبع».

ساعدتها على ركوب السيارة. فعلتُ هذا التمرين مرّتين قبل أسبوع. لكن عندما وصلنا إلى هناك لم تكن لديّ فكرة أين سأركن السيارة. أشارت فاي إلى طريق جانبية.

«اذهب إلى هناك. اركن هناك. سندخل المستشفى من هناك».

«حاضر يا سيّدتي»، قلت...

اضطجعت في سرير في غرفة تطل على الشارع الخلفي. كشر وجهها. «امسك يدي»، قالت.

أمسكتُ يدها.

سألت: «هل سيحدث حقا؟».

«نعم».

«أنت تجعلين الأمر يبدو سهلا» قلت.

«أنت لطيف جدًا. وهذا يساعد».

«وددتُ أن أكون لطيفا فعلاً. لولا مكتب البريد اللعين...»

«أعرف، أعرف».

نظرنا من النافذة الخلفية.

قلت لها «انظري إلى الناس هناك. ليست لديهم فكرة ما يجري هنا. هم مجرد يمشون على الرصيف. أمر عجيب.... هم أنفسهم وُلدوا ذات مرة، جميعهم».

«نعم، أمر عجيب».

أمكنني أن أشعر بحركات جسدها من خلال يدها.

«امسك أكثر».

«نعم».

«سيكون الأمر فظيعًا عندما تغادر».

«أين الطبيب.. أين الجميع؟ ماذا يحدث هنا؟»

«سيأتون».

عندها دخلت ممرضة. وكان مستشفى كاثوليكيًا وكانت الممرضة جميلة جدًا، مكفهرة، اسبانية أو برتغالية.

قالت لي: «يجب أن تغادر...... الآن».

تمنّيت لفاي النجاح بأصابعي وبابتسامة ملتوية. لا أعتقد أنها رأتها. دخلتُ المصعد ونزلتُ إلى الطابق السفلي.

١٣

جاءني الطبيب الألماني. هو الطبيب الذي قام بفحوصات الدم.

«مبروك»، قال، وصافحني، «المولودة بنت.. وزنها أربعة ونصف كيلوغراما».

«ماذا عن الأم؟»

«ستكون الأم بخير، لن تكون مشاكل على الإطلاق».

«متى يمكنني رؤيتها؟»

«سيُعلمونك. اجلس هنا وسينادون عليك».

ثم اختفى.

نظرت عبر الباب الزجاجيّ. أشارت الممرضة إلى طفلتي. كان وجه الطفلة أحمر جدا، وكانت تصرخ بصوت عالٍ أكثر من أي من طفل آخر. كانت الغرفة تعجّ بصراخ الرضع. ولادات كثيرة! بدت الممرضة فخورة جدًا بطفلتي. على أية حال، كنت آمل أنها طفلتي. رفعَت الطفلة حتى أتمكن من رؤيتها على نحو أفضل. ابتسمتُ عبر الزجاج، لم أعرف كيف أتصرف. صرخت الفتاة في وجهي. مسكينة،

قلت في نفسي، مسكينة يا طفلتي. لم أكن أعرف أنها ستكون جميلة يوما ما وستبدو مثلي، هاهاها.

أومأتُ إلى الممرضة أن تُنزل الطفلة، ثم لوحتُ مودّعا كلتيهما. كانت الممرضة جميلة. ساقان لا بأس بهما، ووركان لا بأس بهما. ونهدان جميلان.

كانت هناك بقعة من الدم على الجانب الأيمن من فم فاي وقد التقطتُ قطعة قماش مبللة ومسحتُها. خُلقت النساء من أجل المعاناة; لا عجب أنهن يطالبن بالحب على الدوام.

«ليتهم يعطوني طفلتي»، قالت فاي «ليس عدلاً أن يفصلوا بيننا هكذا».

«أعرف، ولكن أعتقد أن هناك سببًا طبيًا».

«نعم، ولكنه ليس عدلا».

«صحيح. لكن الطفلة تبدو بخير. سأفعل ما بوسعي ليأتوا بالطفلة في أقرب وقت ممكن. هناك ما يقارب ٤٠ طفلا في الأسفل. جميع الأمهات ينتظرن. أعتقد أن سبب ذلك هو تمكين الأمهات من استرداد عافيتهن. طفلتنا تبدو قوية جداً، أؤكد لك. أرجوك لا تقلقي».

«سأكون سعيدة جدا مع طفلتي».

«أعرف، أعرف، لن يطول الأمر».

«سيدي» قالت ممرضة مكسيكية سمينة وهي لتج الغرفة «أنا مضطرة أن أطلب منك المغادرة الآن».

«لكني الوالد».

«نعلم ذلك، ولكن يجب أن تأخذ زوجتك قسطًا من الراحة».

ضغطتُ على يد فاي، وقبلتها على جبينها. أغمضت عينيها، بدت كأنها نائمة. لم تكن شابة على الإطلاق. ربما لم تنقذ العالم لكنها أحدثت بي تغييرا إيجابيًا كبيرًا. واحد صفر لفاي.

١٤

أسمت فاي الطفلة مارينا لويز. ها هي مارينا لويز تشيناسكي. ترقد في المهد بجانب النافذة. تنظر إلى ورق الشجرة والتصاميم اللامعة التي تتحرك على السقف. وفجأة بدأت تبكي. هز الطفلة، تحدّث إلى الطفلة. الطفلة تريد ثدي أمها، لكن الأم لم تكن مهيّأة دائمًا، وأنا لم يكن لدي ثديان مثل الأم. وكان العمل لا يزال في انتظاري. اندلعت أيضًا أعمال شغب. اشتعل عُشر المدينة بالنيران...

١٥

في المصعد، كنت الرجل الوحيد الأبيض هناك. بدا الأمر غريبًا. تحدثوا عن أعمال الشغب، دون أن ينظروا إليّ.

«يا الهي»، قال رجل أسود كالفحم، «انّه أمر غريب فعلاً. هؤلاء الأشخاص يتجولون في الشوارع في حالة ثمالة، وزجاجات الويسكي في أيديهم. رجال الشرطة يسافرون بجانبهم لكنهم لا يخرجون من سياراتهم، فهم لا يعنيهم أمر المخمورين. كل ذلك في وضح النهار. الناس يتجولون مع أجهزة التليفزيون، والمكانس الكهربائية، وما إلى ذلك. انه حقًا أمر غريب...»

«نعم يا رجل».

«في المحلات التابعة للسود علّقوا لافتات»، أخوة في الدّم». وفي المحلات التي يملكها البيض أيضا. ولكن لا يمكنك أن تخدع الناس. أنهم يعرفون المحلاّت التي يملكها البيض..»

«نعم يا أخي».

ثم توقف المصعد في الطابق الرابع، وخرجنا جميعنا. شعرتُ وقتها أنه من الأفضل لي ألاّ أعلّق.

بعدها بوقت قصير جاء صوت المدير المدني العام للبريد عبر جهاز الاتصال الداخلي:

«انتباه! تم إغلاق المنطقة الجنوبية. سوف يُسمَح لأصحاب الهويات الملائمة فقط بالمرور. سيفرض حظر التجول الساعة ١٩:٠٠. وبعد السابعة لن يُسمح لأحد بالمرور. يمتدّ الحاجز من شارع إنديانا إلى شارع هوفر، ومن جادة واشنطن إلى الدوار في شارع ١٣٥. أي شخص يعيش في هذه المنطقة مُعفى من العمل منذ هذه اللحظة».

نهضتُ وبحثتُ عن بطاقة الحضور خاصتي.

«هيه! أين أنت ذاهب؟» سألني المشرف

«سمعت الإعلان؟»

«نعم، ولكن أنت لست ـ»

مررت يدي اليسرى في جيبي.

«أنا لست ماذا؟ لست ماذا؟»

نظر إليّ.

«ماذا تعرف، أنت أيها الأبيض؟» قلت.

أخرجتُ البطاقة، وذهبتُ لأختمها.

١٦

انتهت أعمال الشّغب، نامت الطفلة، ووجدتُ طرقًا للتملّص من جانكو. ولكن نوبات الدّوار استمرت. كتب الطبيب وصفة ثابتة لكبسولات الليبريوم الأخضر والأبيض وساعدتني قليلاً.

في إحدى الليالي نهضت لأشرب الماء. ثم عدت، عملت مدة ٣٠ دقيقة وأخذت استراحة مدتها

عشر دقائق.

عندما جلست مرة أخرى، جاءني المشرف تشيمبرز، رجل أشقر وطويل، راكضًا:

«تشيناسكي! لقد قضيتَ على نفسك هذه المرّة! خرجت لمدة ٤٠ دقيقة!»

في إحدى الليالي سقط تشيمبرز على الأرض وقد أصابته نوبة، فأخذ يرغي ويزبد. حملوه على نقالة. عاد في الليلة التالية، مرتديًا ربطة عنق، وقميصًا جديدًا، وكأن شيئًا لم يحدث. الآن حاول أن يثير انطباعي.

«اسمع، يا تشيمبرز، حاول أن تكون معقولاً. شربتُ الماء، جلستُ، عملتُ مدّة ٣٠ دقيقة، ثمّ أخذتُ استراحة. وقد خرجتُ لعشر دقائق».

«قضيتَ على نفسك هذه المرّة يا تشيناسكي! خرجتَ لمدّة ٤٠ دقيقة! لدي ٧ شهود!»

«٧ شهود؟»

«نعم، ٧!»

«أقول لك، أنها كانت عشر دقائق».

«لا، أمسكنا بك، يا تشيناسكي! أمسكنا بك هذه المرة!»

بدأتُ أتعب. لم أكن أريد أن أنظر إليه أكثر:

«حسنا، خرجتُ لمدّة ٤٠ دقيقة. كما تشاء. اكتب تقريرًا ضدّي».

خرج تشيمبرز من الغرفة.

وزّعتُ بعض الرسائل في الصناديق، ثم جاءني المدير العام. كان رجلاً أبيض البشرة مع خصلات رمادية صغيرة فوق كل أذن. نظرت إليه ثم استدرت ووزعتُ رسائل أخرى.

«سيد تشيناسكي، وأنا متأكد من أنك تدرك القواعد والأنظمة المعمول بها في مكتب البريد. يُسمح لكلّ موظف باستراحتين مدّة كلّ واحدة عشر دقائق، واحدة قبل الغداء، والأخرى بعد الغداء. حقّ إعطاء الاستراحة تمنحه الإدارة: عشر دقائق. عشر دقائق...»

«اللعنة!» ألقيتُ بالرسائل على الأرض. «اعترفتُ بأنّي أخذتُ استراحة مدتها ٤٠ دقيقة فقط لإرضائكم ولتبتعدوا عني. ولكنكم لا تكلّون! الآن أنا أسحب كلامي! خرجتُ لعشر دقائق فقط! أريد أن أرى الشهود السبعة كما تدّعون! أحضروهم!»

بعد يومين كنتُ في السباق. نظرت إلى أعلى ورأيت فمًا مليئًا بالأسنان، وابتسامة كبيرة وعيون مشرقة، ودية. من يكون صاحب كل

هذه الأسنان؟ نظرت عن قرب. كان تشيمبرز ينظر إليّ، يبتسم واقفًا في طابور القهوة. كانت معي جعة. توجّهتُ نحو سلّة المهملات، ودون أن أزيح نظري عنه، بصقت. ثم غادرت. لم يضايقني تشيمبرز مرة أخرى.

١٧

بدأت الطفلة تحبو، وتكتشف العالم. كانت مارينا تنام في السرير ليلاً معنا. كانت مارينا، فاي، القط وأنا. نام القط في السرير أيضا. انظروا، انظروا، قلت في نفسي، ثلاثة أفواه مسئولة منّي. كم هو غريب. جلست أشاهدهم وهم نائمون.

ثمّ عدت إلى منزلي، في ليلتين على التوالي، في الصباح المبكر، وجدتُ فاي ترقد في السرير وتقرأ الإعلانات في الصحف.

قالت: «كل هذه الغرف مكلفة».

قلت «بالتأكيد».

في الليلة التالية سألتها وهي تقرأ الصحيفة:

«هل ستنتقلين؟»

«نعم».

«حسنا، سوف أساعدك في العثور على شقة غدا. سأقلّك في السيارة».

وافقت على أن أدفع لها مبلغا شهريًا. وافقت.

أخذت فأي الطفلة. وأخذتُ أنا القط.

وجدنا شقة على بعد ٨ أو ١٠ شوارع. ساعدتها في الانتقال إلى هناك، ودّعتُ الطفلة وعدتُ إلى البيت.

زرتُ مارينا مرّتين أو ٣ مرّات أو ٤ مرات في الأسبوع. كنت أعرف أني طالما رأيت الطفلة سأكون على ما يرام.

ظلّت فاي ترتدي الأسود احتجاجًا على الحرب. شاركت في مظاهرات السلام المحلية، ومظاهرات لنصرة الحب، وحضرت الأمسيات الشعرية، وورش الكتابة واجتماعات الحزب الشيوعي، ارتادت مقاهي الهيبيين. اصطحبت الطفلة معها. في حال أنها لم تخرج من الشقة، جلست على كرسي، دخّنت السجائر وقرأت.

ارتدت أزرار احتجاج على قميصها الأسود. ولكن عادة ما كانت في مكان ما مع الطفلة عندما حضرتُ للزيارة.

أخيرا وجدتهما في أحد الأيام. تناولت فاي بذور عباد الشمس مع اللبن. خبزت لنفسها الخبز، ولكنه لم يكن الأفضل.

«التقيت بشخص اسمع اندي، سائق شاحنة»، قالت لي. «اتخذ الرسم هواية. إليكَ إحدى لوحاته».

أشارت فاي نحو الجدار.

كنت ألهو مع الطفلة. نظرتُ إلى اللوحة. لم أقل شيئًا.

«لديه قضيب كبير»، قالت فاي. «حضر إلى هنا قبل عدة أيام وسألني، هل تريدين أن تمارسي الجنس مع شخص له قضيب كبير؟ «فقلت له، «أفضل أن أمارس الجنس عن حب!»

«يبدو وكأنه رجل العالم» قلت لها.

لهوتُ مع الطفلة لبعض الوقت، ثم غادرت. كان لي أن استعد لاختبار الجداول.

بعد فترة وجيزة، استلمتُ رسالة من فاي. كانت هي والطفل تعيشان في بلد الهيبيين في نيو مكسيكو. كان مكانا جميلا، كما قالت. ومارينا ستتنفس هواء منعشا هناك. أرفقت رسمًا صغيرًا رسمته الطفلة من أجلي!

V

١

إدارة مكتب البريد

الموضوع: رسالة إنذار

لحضرة: السيّد هنري تشيناسكي

وصلت المكتب معلومات تشير إلى أنّه تم إيقافك من قبل قسم شرطة لوس أنجلوس في تاريخ ١٢ آذار ١٩٦٩ بتهمة الثمالة.

في هذا السّياق، نُلفتُ انتباهك إلى بند ١٢.٧٤٤ من الدليل البريديّ، على النّحو الآتي:

«يعمل موظفو البريد في مجال الخدمة العامّة، وعليه يجب أن يخضع سلوكهم، في حالات كثيرة، لقيود أكثر ولمقاييس أعلى من أيّ موظّف آخر يعمل في مجالات مختلفة في القطاع الخاصّ. يُتَوقّع من الموظّفين أن يتصرّفوا خلالَ دوام العمل وخارجه على نحوٍ ينعكس ايجابيًا على الخدمة البريدية. على الرغم من أن مسألة التدخل في حياة الموظفين الخاصة، ليست من سياسة مكتب البريد، إلاّ أنّ المكتب

يطالب الموظفين بأن يكونوا صادقين وأمناء، وجديرين بالثقة، وعلى خُلق ويتمتّعون بسمعة طيّبة».

على الرغم من أن إيقافك كان بتهمة هامشيّة نسبيًا، إلا أنّ ذلك يشكّل دليلاً على فشل في قدرتك على التّصرف على نحو ينعكس إيجابيًا على الخدمة البريدية. بذلك، ننذرك بأن أي مخالفة أخرى من هذا النوع أو أيّ تورّط آخر مع سلطات الشرطة لن تتركَ للإدارة بديلاً إلاّ النظر في اتخاذ إجراءات تأديبية.

بإمكانكَ أن تقدم تفسيرًا خطيًا في هذا الشأن، إذا كنتَ ترغب في ذلك.

٢

إدارة مكتب البريد

الموضوع: إشعار قبل اتخاذ إجراءات حاسمة

لحضرة: السيّد هنري تشيناسكي

نُعلمك بهذا إنّه تمّ اقتراح إيقافك عن العمل بشكل مؤقّت بدون أجر لمدّة ثلاثة أيّام أو اتّخاذ إجراءات تأديبية أخرى بما يتناسب مع الظروف. تنبع الإجراءات المقترحة من كونها ستعزز كفاءة الخدمة وسيتم اتخاذها بعد مرور ٣٥ يوما من استلامك هذه الرسالة.

الاتهام الموجّه إليك والأسباب التي تدعم هذا الاتهام هي كالآتي:

الاتّهام رقم ١

أنتَ متّهم بتغيّبك عن العمل في ١٣ أيار، ١٩٦٩، ١٤ أيار، ١٩٦٩، ١٥ أيار، ١٩٦٩.

بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه، سوف ينظر في التفصيل الوارد في سجلّك والذي سيُذكر أدناه، في تحديد حجم الإجراء التأديبي في حال تأكيد التهمة الحالية:

وُجّهت إليك رسالة إنذار في ١ نيسان عام ١٩٦٩، موضوعها تغيبك عن العمل دون الحصول على إذن.

لك حق الرّد على هذا الاتهام شخصيًا أو خطيًا، أو كليهما، ولكَ حقّ اختيار شخص يمثّلك. يجب أن يصدر الرّد في غضون عشرة أيام تقويمية من يوم استلام هذه الرسالة. يمكنك أن تقدم أيضًا شهادات قسم خطيّة لدعم أقوالك. يجب توجيه أي ردّ خطيّ إلى المدير العام للبريد، لوس أنجلوس، كاليفورنيا ٩٠٠٥٢. في حال احتجت وقتًا إضافيًا لتقديم ردّك، سيتمّ النّظر في الأمر بناء على طلب خطّي تبيّن فيها الأسباب لذلك.

إذا كنت ترغب في الرد شخصيًا، أنت مدعو للاتصال بإلين نورميل لتحديد موعد، وهي مديرة قسم القوى العاملة والخدمات، أو الاتصال بـ ك.ت. شيموس، المسئول عن ظروف خدمات الموظفين، على هاتف رقم ٢٨٩ ـ ٢٢٢٢.

بعد انقضاء مدة الأيام العشرة للرد، سيتمّ النّظر في كافّة الحقائق المتعلّقة بقضيتك، بما في ذلك أي رد تقدّمه، قبل اتخاذ أي قرار. سيصلك القرار برسالة خطيّة. إذا كان هذا القرار سلبيًا، ستوضّح الرسالة السّبب، أو الأسباب، التي بموجبها تمّ اتخاذ القرار.

إدارة مكتب البريد

الموضوع: إشعار باتّخاذ قرار

لحضرة: هنري تشيناسكي

تحيل هذه الرسالة إلى رسالة وُجّهت إليك بتاريخ ١٧ آب ١٩٦٩، حول اقتراح بإيقافك عن العمل بشكل مؤقّت بدون أجر لمدة ثلاثة أيام أو اتخاذ إجراءات تأديبيّة أخرى، بناء على اتّهام رقم ١ المحدّد. حتى الآن لم نستلم منك أيّ ردّ على تلك الرسالة.

بعد دراسة متأنية لهذا الاتهام، تقرر أن الاتهام رقم ١، المدعوم من قبل الأدلة المادية، مُثبت ويبرر إيقافك عن العمل. وفقا لذلك، سوف يتم إيقافك عن الخدمة بشكل مؤقت بدون مرتب لمدة ثلاثة أيام. اليوم الأول من التعليق سيكون ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٩، وسينتهي في ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٩.

التفصيل، على النحو الوارد في سجلّك، كما ورد بالتفصيل في رسالة إشعار قبل اتخاذ إجراءات تأديبيّة، تمّ أخذه بعين الاعتبار أيضًا أثناء البت في أمر العقوبة المفروضة عليك.

لك الحق في الاستئناف على هذا القرار أمام مكتب البريد أو لجنة الخدمة المدنيّة للولايات المتحدة، أو بدايةً إلى مكتب البريد ومن ثم إلى قسم الخدمة المدنية ومن ثم إلى لجنة الخدمة المدنية، وفقا لما يلي:

إذا توجهت بدايةً إلى لجنة الخدمة المدنية، لن يكون لك أي حق في الاستئناف أمام إدارة مكتب بريد. التوجه إلى لجنة الخدمة المدنية

يجب أن يكون إلى المدير الإقليمي لمنطقة سان فرانسيسكو، لجنة الخدمة المدنية للولايات المتحدة، جادة غولدن غيت ٤٥٠، ص.ب. ٣٦٠١٠، سان فرانسيسكو، كاليفورنيا ٩٤١٠٢. على الطلب: (أ) أن يكون خطيًا، (ب)

يشرح أسباب الاستئناف على قرار التعليق، مع عرض الإثباتات والوثائق التي في مقدورك أن تقدمها، (ج) أن تقدم الطلب حتى ١٥ يوما من يوم إيقافك عن العمل. ستفحص اللجنة، وفق ملائمة الطلب، مدى سلامة الإجراء المتخذ ضدك، إلا إذا قدمت شهادة قسم خطية تزعم أن الإجراء المتخذ ضدك هو لأسباب سياسية، فيما عدا تلك التي يقضي بها القانون، أو أنه نتيجة التمييز على خلفية وضع عائلي أو إعاقة جسدية.

إذا استأنفت أمام إدارة مكتب البريد، فلن يكون لك الحق في الاستئناف أمام اللجنة إلا بعد أن يتم اتخاذ قرار في المستوى الأول في الاستئناف الخاص بك عن طريق الإدارة. في هذه المرحلة، سيكون لديك خيار الاستمرار في طلبك من خلال مستويات أعلى في إدارة مكتب البريد أو التوجه إلى اللجنة. مع ذلك، إذا لم يُتخذ قرار في المستوى الأول في غضون ٦٠ يومًا من تقديم طلب الاستئناف، بإمكانك إلغاء توجهك إلى المكتب عن طريق التوجه إلى اللجنة.

إذا توجهت إلى إدارة مكتب البريد في غضون عشرة أيام تقويمية من تلقي هذا الإشعار بخصوص القرار المتعلق بشأنك، سيتم رفض إيقافك عن العمل إلى أن تتلقى ردًا من المدير الإقليمي إدارة مكتب البريد. علاوة على ذلك، إذا استأنفت أمام الإدارة، لك الحق في اختيار شخص يمثّلك. أنتَ وممثّلك ستتمتعان بحرية من أي ضوابط،

أو إكراه، أو تمييز أو انتقام. هكذا، ستُعطى أنتَ وممثّلك، مقدار الوقت الكافي لإعداد مرافعتكم.

يجوز لك الاستئناف أمام إدارة مكتب البريد في أي وقت من يوم استلام هذه الرسالة ولكن قبل ١٥ يومًا من التاريخ الفعلي للإيقاف عن العمل. يجب على رسالتك أن تتضمن طلبًا لعقد جلسة استماع أو بيان بأنك لا ترغب بعقد جلسة استماع.

ينبغي توجيه طلب الاستئناف إلى:

المديرُ الإقليمي

إدارة مكتب البريد

شارع هوارد ٦٣١

سان فرانسيسكو، كاليفورنيا

٩٤١٠٦

إذا قدمتَ استئنافًا للمدير الإقليمي للجنة الخدمة المَدَنيَة، عليك أن تقدم لي نسخة موقعة من الاستئناف في نفس الوقت الذي يتم إرسالُه إلى المنطقة أو لجنة الخدمة المَدَنيَة.

إذا كانت لديك أية أسئلة حول إجراءات الاستئناف، يمكنك الاتصال بريتشارد ن. مارثا، مساعد مدير خدمات الموظفين والمعونات، قسم القوى العاملة والخدمات، مكتب شؤون الموظّفين، غرفة ٢٢٠٥، مبنى الفدراليّة، شارع نورث لوس أنجلوس ٣٠٠، بين الساعات ٨:٣٠ صباحًا و١٦:٠٠ مساء، من الاثنين وحتى الجمعة.

٤

إدارة مكتب البريد

الموضوع: إشعار قبل اتخاذ إجراءات تأديبية حاسمة

لحضرة: هنري تشيناسكي

نُعلمك بهذا إلى أنّه تمّ اقتراح فصلك من العمل في الخدمة البريدية أو اتخاذ إجراءات تأديبية أخرى بما يتناسب مع الظروف. الإجراءات المقترحة تنبع من كونها ستعزز كفاءة الخدمة وسيتم اتخاذها بعد مرور ٣٥ يوما من استلامك هذه الرسالة.

الاتهام الموجّه إليك والأسباب التي تدعم هذا الاتّهام هي كالآتي:

الاتّهام رقم ١

أنتَ متّهم بتغيّبك عن العمل بدون إذن في التواريخ التالية:

٢٥ أيلول، ١٩٦٩ ٤ ساعات

٢٨ أيلول، ١٩٦٩ ٨ ساعات

٢٩ أيلول، ١٩٦٩ ٤ ساعات

٥ تشرين الأول، ١٩٦٩ ٤ ساعات

٧ تشرين الأول، ١٩٦٩ ٤ ساعات

١٣ تشرين الأول، ١٩٦٩ ٥ ساعات

١٥ تشرين الأول، ١٩٦٩ ٤ ساعات

١٦ تشرين الأول، ١٩٦٩ ٨ ساعات

١٩ تشرين الأول، ١٩٦٩ ٨ ساعات

٢٣ تشرين الأول، ١٩٦٩ ٤ ساعات

٢٩ تشرين الأول، ١٩٦٩ ٤ ساعات

٤ تشرين الثاني، ١٩٦٩ ٨ ساعات

٦ تشرين الثاني، ١٩٦٩ ٤ ساعات

١٢ تشرين الثاني، ١٩٦٩ ٤ ساعات

١٣ تشرين الثاني، ١٩٦٩ ٨ ساعات

بالإضافة إلى المذكورة أعلاه، سوف ينظر في التفاصيل الواردة في سجلّك والتي ستُذكر أدناه، في تحديد حجم الإجراء التأديبي في حال تأكيد التهمة الحالية:

وُجّهت إليك رسالة إنذار في تاريخ ١ نيسان عام ١٩٦٩، كان موضوعها تغيّبك عن العمل دون الحصول على إذن.

وُجهت إليك رسالة إشعار قبل اتخاذ إجراءات تأديبية حاسمة في تاريخ ١٧ آب ١٩٦٩، وكان موضوعها تغيّبك عن العمل بدون إذن. على أثر هذا الاتهام، تمّ إيقافك عن الخدمة بدون أجر لمدّة ثلاثة أيام من تاريخ ١٧ تشرين الثاني ١٩٦٩ وحتى ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٩.

لك الحق بالرّد على هذا الاتهام شخصيًا أو خطيًا، أو كليهما، وأن تختار شخصًا يمثّلك. يجب أن يصدر الرّد في غضون عشرة أيام تقويمية من يوم استلام هذه الرسالة. يمكنك أن تقدّم شهادات قَسَم خطيّة لدعم وتأكيد أقوالك. ينبغي توجيه الرّد إلى المدير العام للبريد، لوس أنجلوس، كاليفورنيا ٩٠٠٥٢. في حال احتجتَ وقتًا إضافيًا لتقديم ردّك، سيتمّ النّظر في الأمر بناءً على طلبٍ خطّيّ تبيّن فيه الأسباب.

إذا كنت ترغب في الرد شخصيًا، أنت مدعو للاتصال بإلين

نورميل لتحديد موعد، وهي مديرة قسم القوى العاملة والخدمات، أو الاتصال بـ ك.ت. شيموس، المسئول عن ظروف خدمات الموظّفين، على هاتف رقم ٢٨٩ ـ ٢٢٢٢.

بعد انقضاء مدة الأيام العشرة للرد، سيتمّ النّظر في كافة الحقائق المتعلّقة بقضيتك، بما في ذلك أي رد تقدّمه، قبل اتّخاذ أي قرار. سيصلك القرار برسالة خطيّة. إذا كان هذا القرار سلبيًا، ستوضّح الرسالة السّبب، أو الأسباب، التي بموجبها تمّ اتخاذ القرار.

VI

١

جلستُ بجوار فتاة لم تحفظ جدولها جيّدًا.

«أين يذهب روتفورد ٢٩٠٠؟» سألتني.

قلت لها «جرّبي وضعه في صندوق منطقة ٣٣».

كان المشرف يتحدّث إليها.

«تقولين إنّك من ولاية كنساس؟ والداي وُلدا في ولاية كنساس.»

«حقّا؟» قالت الفتاة.

ثمّ سألتني:

«ماذا عن مايرس ٨٤٠٠؟»

«ضَعيه في صندوق منطقة ١٨».

كانت سمينة لكنّها قطعًا ناضجة. تنازلتُ. كنتُ قد تعبتُ من علاقاتي النسائيّة وقررتُ أن أرتاح قليلاً.

وقف المشرف قريبًا جدًا منها.

«هل تسكنين بعيدًا عن مكان العمل؟»

«لا».

«هل تحبّين عملك؟»

«أوه، نعم».

توجّهت إليّ.

«ماذا عن ألباني ٦٢٠٠؟»

«١٦».

عندما انتهيت من صينيّتي، توجّه المشرف إليّ:

«تشيناسكي، لقد قستُ وقتك مع هذه الصينيّة. لزمك ٢٨ دقيقة».

لم أردّ.

«هل تعرف ما هو الوقت المعياري لهذه الصينية؟»

«لا، لا أعرف».

«منذ متى وأنت هنا؟»

«أحد عشر عامًا».

«أنت هنا منذ أحد عشر عاما ولا تعرف الوقت المعياري؟»

«صحيح».

أنت توزّع البريد كما لو كنت لا تهتمّ بالموضوع».

كانت الفتاة لا تزال تقف أمام صينية كاملة. بدأنا بالصّواني معًا.

«وتحدّثتَ طوال الوقت مع هذه السيدة التي تقف بجانبك».

أشعلتُ سيجارة.

«تشيناسكي، تعال لحظة».

وقف أمام صفّ من الخزائن المعدنية وأشار إليها. جميع الموظفين وزّعوا البريد الآن بسرعة. شاهدتهم يحرّكون أذرعتهم اليمنى بجنون. حتى الفتاة السمينة بدأت توزّع البريد لوحدها.

«هل ترى هذه الأرقام المكتوبة أعلى الخزانة؟»

«نعم».

«تشير هذه الأرقام إلى عدد الرسائل التي يجب أن توزّعها خلال دقيقة واحدة. صينيّة بطول نصف متر يجب توزيعها خلال ٢٣ دقيقة. أنت متخلّف بـ ٥ دقائق».

وأشار إلى الـ ٢٣. ٢٣ دقيقة هي المعيار».

«٢٣ لا تعني أي شيء» قلت.

«ما معنى ذلك؟»

«يعني أن هناك شخصًا قد حضر إلى هنا ورسم ٢٣ بعلبة طلاء».

«لا، لا، هذا وقت يُقاس بعشرات الاختبارات على مر السنين».

ما الفائدة في الاستمرار؟ لم أردّ.

«أنا مضطرٌ لكتابة تقرير ضدك، يا تشيناسكي. سيتوجّهون إليك من قسم الاستشارة بخصوص هذا الموضوع».

عدتُ إلى مكاني وجلست. ١١ عاما! لم يكن في جيبي سنتًا واحدًا أكثر مما كان معي عندما دخلت إلى هنا أول مرّة. ١١ عاما. رغم أنّ الليالي كانت طويلة، إلا أن السنوات مرّت بسرعة. ربما بسبب العمل الليلي. أو لأنّي فعلتُ الشيء ذاته مرارًا وتكرارًا. على الأقل مع «ستون» لم يسبق لي أن عرفتُ ما كان ينتظرني. هنا لم تكن أي مفاجآت.

مرّت الأعوام الأحد عشر في رأسي. رأيت هذا العمل يبتلع أشخاصًا. بدوا وكأنهم تلاشوا. كان هناك جيمي بوتس من محطة دورسي. عندما بدأتُ العملَ هناك، كان جيمي رجلاً حسن البنية يرتدي قميصًا أبيض. انتهى الآن. أنزل مقعده إلى أقرب نقطة إلى الأرضية وأمسك نفسه حتى لا يقع على قدميه. كان متعبا جدا على الحلاقة، وقد ارتدى البنطلون ذاته لمدة ٣ سنوات. غيّر القميص مرتين في الأسبوع وسار ببطء شديد. قتلوه. كان عمره ٥٥ عامًا. تبقّت له ٧ سنوات على التقاعد.

«لن أبلغ التقاعد» قال لي.

إما أنهم تلاشوا أو أنهم تكرّشوا، وتضخّموا، خصوصا في منطقة الإليتين والبطن. كان ذلك بسبب المقعد والقيام بنفس الحركات ونفس الكلام. وها أنا، مصاب بنوبات دوار وآلام في الذراعين، والرقبة والصدر، وفي كلّ مكان. نمتُ طوال اليوم حتى أستريح من هذا العمل. في عطلة نهاية الأسبوع شربتُ كي أنسى. عندما بدأتُ العمل كان وزني ٨٤. الآن صار وزني ١٠١ كيلوغرامًا. كلّ ما وَجَب تحريكه هو الذّراع اليُمنى فقط.

٢

دخلتُ مكتب المستشار. جلس إدي بيفر خلف الطاولة. لقّبه الموظّفون «بيفر النحيل». كان رأسه حادًا، وأنفه حادًا وذقنه حادًا. كان كلّه حادًا.

«اجلس يا تشيناسكي».

أمسك بيفر بعض الأوراق في يده. قرأها.

«تشيناسكي، لزمك ٢٨ دقيقة لتوزيع صينيّة مدّتها ٢٣ دقيقة».

«أوه، توقف عن الهراء، أنا متعب».

«ماذا؟»

«قلتُ توقّف عن الهراء! دعني أوقّع على الورقة وأعود إلى العمل. لا أريد أن أسمع هذا كلّه».

«أنا هنا لأمدّك بالمشورة، يا تشيناسكي!»

تنهدت. «حسنًا، هيا. دعنا نسمع».

«علينا أن نلتزم بالجدول الزمني للإنتاج، يا تشيناسكي».

«نعم».

«وعندما تتخلّف في الإنتاج هذا يعني أن شخصًا آخر عليه أن يوزّع بريدك. وهذا يعني عملاً إضافيًا».

«هل تقصد أنّي مسئول عن ٣ ساعات ونصف إضافيّة علينا أن ننجزها تقريبا كل ليلة؟»

«اسمع، لزمَك ٢٨ دقيقة لتوزيع صينية مدتها ٢٣ دقيقة. هذا كل ما في الأمر».

«تعرف ذلك أفضل منّي. يصل طول كل صينيّة قرابة نصف متر. بعض الصّواني فيها ٣، وحتى ٤ أضعاف كميّة الرسائل الموجودة في صوان أخرى. يلتقط الموظفون الصواني التي يلقّبونها بـ«السّمينة». أنا لا أكترث. فشخص ما عليه أن يوزع الصّواني الصّعبة. لكن كل ما تعرفونه

هو أن كل صينية طولها نصف متر ومدة توزيعها ٢٣ دقيقة. لكننا لا نوزع الصّواني في هذه الخزائن، بل نوزع الرسائل».

«لا، لا، الوقت هو ما يُقاس!»

«يجوز. أشك في ذلك. ولكن إذا أردتُم أن تقيسوا الزّمن لشخص، لا تَحكُموا عليه وفق صينية **واحدة**. حتى بيب روث فشل أحيانًا. احكُموا على الشّخص وفق عشر صوان، أو العمل ليلة كاملة. يا رفاق، أنتم تستخدمون ذلك لتقضوا على كلّ من ينضمّ للطاقم».

«حسنا، قلت ما عندك يا تشيناسكي. الآن، أنا أقول لك: لزمَك ٢٨ دقيقة. نحن نقرر وفق ذلك. الآن، إذا أمسكوك توزع صينية بهذا البطء سيرسلونك إلى استشارة متقدمة».

«حسنًا. دعني أسألك سؤالاً».

«نعم».

لنفترض أني حصلتُ على صينية سهلة. تحدث معي أحيانًا. وأحيانًا أنهي صينية في ٥ دقائق أو في ٨ دقائق. لنقل أني أنهيت صينية في ٨ دقائق. وفقًا لمعيار الوقت، وفَرتُ على مكتب البريد ١٥ دقيقة. هل يمكنني أن آخذ استراحة مدتها ١٥ دقيقة، أتوجه إلى الكافيتيريا، وأتناول قطعة من الكعك مع الآيس كريم، وأشاهد التلفزيون ثمّ أعود؟»

«لا! من المفترض أن تتناول فورا أخرى وتبدأ بتوزيع البريد!»

وقّعتُ على ورقة كُتب فيها أنّي تلقّيتُ استشارة. ثم وقّع بيفر النحيل على استمارة مصادقة كانت عنده، سجّل ساعة اللقاء وأعادني لأوزّع الرسائل.

رغم ذلك وقعت حوادث في بعض الأحيان. أمسكوا شخصًا في نفس بيت الدّرج حوصرتُ فيه. أمسكوا به ورأسه تحت تنورة فتاة ما. ثم اشتكت إحدى الفتيات اللواتي عملن في الكافيتيريا بأنّهم لم يدفعوا لها، كما وعدوها، لقاء جماع فمويّ مع أحد مدراء العمل وثلاثة من موزعي البريد. أقالوا الفتاة وموزعي البريد الثلاثة ورقّوا مدير العمل لمنصب مشرف.

ثم أحرقتُ البريد.

قاموا بتعييني على توزيع مناشير إعلان وكنت أدخّن السيجار وأنا أعمل على كومة من الرسائل وُضعت في عربة بجانبي، وفجأة جاء رجل مرّ بجانبي، وقال: «هيه، بريدك يحترق!»

نظرتُ من حولي. رأيتُ لهبًا ضعيفًا يخرج ويتحرك مثل الأفعى الراقصة. من الواضح أن جزءًا من رماد السيجار المشتعل سقط هناك في وقت سابق.

«أوه اللعنة!»

تعالى اللهب بسرعة. أمسكتُ بأحد الكتالوجات، رفعته بشكل مسطّح، وضربتُ على اللهب لإخماده. تطاير الشرّر. كان الجوّ حارًا. في اللحظة الّتي أخمدتُ فيها اللهب في مكان، اشتعل في مكان آخر.

سمعتُ صوتًا:

«هيه! أشمّ رائحةِ حريق!»

«لا تشمّ رائحة حريق!» صرختُ «تشمّ رائحة دخان!»

«أعتقد أني سأخرجُ من هنا!»

«اللعنة عليك، إذن» صرخت، «اخرج!»

كانت النيران تحرق يدي. كان عليّ إنقاذ بريد الولايات المتحدة، كلّ قرف مناشير الإعلان!

أخيرا، سيطرتُ على الوضع. ضربتُ كومة الورق بقدمي على الأرض ودستُ على بقايا الرماد الأحمر.

حضر المشرف ليقول لي شيئا. وقفت هناك مع الكتالوج المحترق في يدي وانتظرت. نظر إليّ وخرج.

ثم استأنفتُ توزيعَ المناشير في الصّناديق. كلّ ما احترق وضعتُه جانبًا.

انطفأ السيجار. لم أشعله من جديد.

بدأت يداي تؤلماني فتوجّهت إلى الحنفيّة، ووضعتها تحت الماء. لم يساعدني.

عثرتُ على المشرف وطلبتُ منه إذنًا للتوجّه إلى مكتب الممرضة.

كانت نفس الممرضة التي حضرت إلى البيت وسألتني، «ما المشكلة الآن يا تشيناسكي؟»،

عندما دخلت مكتبها، سألت السؤال نفسه مرة أخرى..

«هل تذكرينني؟» سألتها.

«أوه نعم، وأعلم أنك كنت مريضا عدة ليالٍ».

«نعم»، قلت.

«ألا تزال تصل النساء إلى شقتك؟» سألت.

«نعم. ألا يزال يصل الرجال إلى شقتكِ؟»

«حسنا، سيد تشيناسكي، والآن ما هي مشكلتك؟»

«أحرقتُ يديّ!»

«تعال أرني. كيف أحرقت يديك؟»

«هل يهمّ ذلك؟ احترقت».

مسحت يديّ بشيء ما. أحد نهديها لامسني.

«كيف حصل ذلك يا هنري؟»

«السيجار. كنتُ أقف بجانب عربة فيها مناشير. يبدو أن رمادًا سقط فيها. فاشتعلت النيران.

لامسني نهدها مرّة أخرى.

«لا تحرّك يديك، من فضلك!»

وضعت بعد ذلك صدرها كاملا عليّ وهي تضع المرهم على يدي. كنت جالسا على كرسي.

«ما المشكلة يا هنري؟ تبدو عصبيا.»

«حسنا.. أنت تعرفين الإحساس، يا مارثا».

«اسمي ليس مارثا. اسمي هيلين».

«تعالي نتزوج يا هيلين».

«ماذا؟»

«أقصد، كم من الوقت سيمرّ حتى أتمكن من استخدام يديّ مرة أخرى؟».

«يمكنك أن تستخدمها الآن لو تحب».

لفّتهما ببعض الشاش.

«أشعر بتحسّن» قلت لها.

«يجب أن لا تحرق الرسائل».

«كانت هراء».

«كل الرسائل مهمة».

«حسنا يا هيلين».

سارت نحو مكتبها وتبعتها. ملأَت استمارة مصادقة بأني كنتُ عندها. كانت لطيفة جدا في قبعتها البيضاء الصغيرة.

يجب أن أجد طريقة للعودة إلى هنا، قلت في نفسي.

رأتني أتمعّن جسدها.

«حسنا، يا سيّد تشيناسكي، أعتقد أنه من الأفضل أن تغادر الآن».

«أوه نعم... حسنا، شكرًا على كل شيء».

«هذا جزء من العمل».

«بالتأكيد».

وبعد أسبوع عُلقت لافتات في كلّ مكان كُتب عليها ممنوع التدخين في هذه المنطقة. لم يُسمح للموظّفين بالتدخين إلا إذا استخدموا منافض السجائر. تم التعاقد مع مصنّع على تصنيع جميع منافض السجائر. كانت لطيفة. وقد كُتب عليها مُلك لحكومة الولايات المتحدة. سرق الموظفون معظمها.

ممنوع التدخين.

٤

جاء بعد ذلك بعض الأشخاص وفكّوا حنفيات الشرب الأخرى.

«هيه، انظروا، ماذا بحق الجحيم يفعلون؟» سألت.

لم يبد الاهتمام على أحد.

كنت في قسم الطرود البريدية الكبيرة. توجهتُ إلى موظف آخر.

«انظر!» قلت. «إنهم يأخذون مياهنا!»

ألقى نظرة على الحنفية، ثم عاد إلى توزيع الطرود البريدية.

حاولت مع موظف آخر. أظهر عدم الاهتمام نفسه. لم أستطع أن أفهم الأمر.

طالبت بأن يستدعوا ممثل الاتحاد ليحضر إلى منطقتي.

بعد تأخير طويل، حضر ـ باركر أندرسون. اعتاد باركر النوم في سيارة قديمة لمستخدمة وكان يغتسل ويحلِق ويتغوّط في محطات الوقود التي لا تقفل دورات المياه فيها. حاول باركر أن يكون محتالا ولكنه فشل. فجاء إلى مكتب بريد، وانضم للاتحاد، وذهب إلى اجتماعات الاتحاد حيث أصبح ضابط الأمن هناك. تحول سريعًا إلى ممثل الاتحاد، ثم انتُخب نائبًا للرئيس.

«ما المشكلة يا هانك؟ أعلم أنك لا تحتاجني لأعالج أمر هؤلاء المفتشين!»

«لا تتملّق يا عزيزي. أنا أدفع الرسوم النقابية ما يقرب ١٢ عامًا ولم أطلب طلبًا واحدًا».

«حسنًا، ما المشكلة؟»

«إنها حنفيات الشرب».

«لا تعمل؟»

«لا، اللعنة، هي سليمة. انظر ماذا يفعلون بها. انظر».

«أين انظر؟»

«هناك»

«لا أرى شيئًا».

«تلك هي مشكلتي. كانت هناك حنفيّة للشرب!»

«إذن أخذوها. أين المشكلة؟»

«اسمع يا باركر، لم أكن لأمانع لو أخذوا واحدة. لكنهم يخرجون من المبنى كلّ حنفيّة ثانية. إذا لم نوقف الأمر، قريبا سيغلقون كل مرحاض ثان.. والله أعلم ماذا بعد..»

«حسنا»، قال باركر، «ماذا تريد مني أن أفعل؟»

«أريدك أن تحرك مؤخرتك وتعرف سبب إزالة هذه الحنفيات».

«حسنا، أراك غدا».

«تأكّد من أن تفعل. ١٢ عاما من الرسوم النقابية قيمتها ٣١٢ دولارًا».

في اليوم التالي كان علي أن ابحث عن باركر. لم تكن لديه إجابة.

ولا في اليوم الذي يليه وهكذا دواليك. قلت لباركر أنّي يئستُ من الانتظار. أعطيتُه يومًا إضافيًا آخر.

في اليوم التالي جاءني في منطقة استراحة القهوة.

«حسنا، يا تشيناسكي، استوضحت الأمر».

«نعم؟

«في عام ١٩١٢ عندما تم بناء هذا المبنى...»

«١٩١٢؟ هذا أكثر من نصف قرن مضى! لا عجب هذا المكان يبدو مبغى منذ أيام القيصر!»

«حسنا، توقف. الآن، في عام ١٩١٢ عندما تم بناء هذا المكان، نص في العقد تركيب عدد **معيّن** من الحنفيات. من تحقق مكتب البريد تبين أن هناك **ضعف** هذا العدد ومما هو مثبت في العقد الأصلي».

«حسنًا، حسنًا» قلت، «ما الضرر في أن تكونَ الحَنَفيّات ضعف العدد المَنصُوص عليه في العقد؟ فالموظفون لن يشربوا المزيد من الماء بسبب ذلك...»

«صحيح. ولكنّ الحّنفيّات تَبرز أكثر من اللازم. وهي تعيق على الطريق».

«لذلك؟»

«حسنًا. لنفترض أن موظفا له محام ذكي أصيب من الحنفية؟ لنفترض أن شاحنة محمّلة بأكياس ثقيلة فيها مجلات أوقعته فوق الحنفية؟»

«أفهم الآن. ليس من المفترض أن تكون هناك حنفية. رُفعت دعوى ضد مكتب البريد بتُهمة الإهمال».

«صحيح!»

«حسنا. شكرًا يا باركر».

«هذا عملي».

إذا كان قد لفّق القصة، فقد كانت تستحقّ مبلغ ٣١٢ دولارًا. قرأت قصصًا أسوأ منها في مجلّة «بلايبوي».

٥

وجدتُ أن الطريقة الوحيدة لوَقف نَوبات الدّوار وتجنّب الوقوع فوق الخزانة هي التّنزه بين الحين والآخر.

فازيو، المشرف المسئول على المحطة وقتها، رآني أتوجه نحو إحدى الحنفيّات القليلة التي تبقّت.

«اسمع يا تشيناسكي، كل مرة أراك فيها، أجدك تمشي!»

«لم ترَ شيئًا!» قلت، «كلّ مرّة أراك فيها، أجدك تمشي!».

«لكنّ هذا جزءٌ من عملي. المشي جزء من عملي. يجب أن أمشي».

قلت: «اسمع، هذا أيضًا جزء من عملي. يجب أن أمشي. إذا بقيتُ جالسًا أكثر من اللازم على مقعدي سأبدأ بالقفز فوق هذه الخزائن وأصفر أغنية ديكسي من مؤخرتي وأغنية *أطفال أمي الصغار يخبزون الخبز* من الفتحة الأمامية.

«حسنًا يا تشيناسكي، انس الأمر».

في ليلة، عدتُ بهدوء إلى مقعدي بعد أن تسللتُ إلى الكافيتيريا لشراء علبة سجائر. فرأيتُ وجهًا أعرفه.

كان ذلك توم موتو! أحد المناوبين الّذين عملتُ معهم عند «ستون»!

«موتو، يا ابن القحبة!» قلت.

«هانك!» قال.

تصافحنا.

فكّرت فيك! جونستون يتقاعد هذا الشهر. البعض يعدّ له حفلة الشّهر. كما تعلم، كان يحب دائما صيد السمك. لذلك سنأخذه في رحلة صيد في قارب. ربما ترغب في المجيء وتلقي به في البحر، وتغرقه. وجدنا بحيرة جميلة عميقة».

«لا، اللعنة، لا أريد حتى أن أنظر إليه».

«لكن الدعوة مفتوحة».

كان يبتسم ابتسامة عريضة من المؤخرة وحتى الحاجب. ثم نظرت إلى قميصه فرأيتُ: شارة المشرف.

«أوه لا يا توم».

«هانك، عندي ٤ أطفال، وهم بحاجة لي لإعالتهم».

«حسنا، توم» قلت.

ثم انصرفتُ من هناك.

٧

لا أعرف كيف يَحدث ذلك للناس. كان عليّ أن أموّل نفقة طفلة، وأن أشرب شيئًا، وأن أدفع ثمن الإيجار، والأحذية والقمصان والجوارب، وكل ذلك. ومثل أي شخص آخر كنت بحاجة إلى سيارة قديمة، وإلى شيء آكله، وكل التفاصيل الصغيرة التي لا نلمسها.

مثل النساء. أو قضاء نهار في سباق الخيل.

عندما تعيش حياتك ولا تجد مناصًا من ذلك، فأنت لا تفكر في هذه التفاصيل.

قمتُ بركن السيارة أمام مبنى الفدراليّة ووقفت في انتظار إشارة المرور. عبرتُ الشارع. دخلتُ عبر الباب المتحرّك. كما لو كنت قطعة من الحديد يجذبها مغناطيس. لم يكن في اليد حيلة.

كان ذلك في الطابق الثاني. فتحت الباب وكانوا هناك. موظفو مبنى الفدرالية. انتبهتُ إلى فتاة ما، مسكينة، بذراع واحدة فقط. ستظل هناك إلى الأبد. مثل رجل عجوز مُدمن على الكحول مثلي. حسنًا، كما قال العاملون في المحطة، عليك أن تَعمل في مكان ما. لذلك تقبلوا ما كان. تلك حكمة العبد.

توجّهت نحوي فتاة صغيرة سوداء. كانت حسنة الهندام وتفاعلت مع محيطها. كنت سعيدًا من أجلها. قد أصاب بالجنون لو كنت في نفس الوظيفة.

«نعم؟» سألَت.

قلت: «أنا مصنّف بريدي وأريد أن أستقيل».

مدّت يدها إلى أحد جوارير الطاولة وأخرجت كومة من الأوراق.

«كل هذه؟»

ابتسمت. «هل أنت واثق من أنك تستطيع القيام بذلك؟»

قلت: «لا تقلقي، أستطيع القيام بذلك».

٨

كان علينا تعمير استمارات كثيرة في طريق الخروج أكثر من استمارات الدّخول.

كانت الصفحة الأولى التي قدموها مطبوعة ومرفق معها رسالة من مدير عام البريد المدنيّ.

بدأت على النحو التالي:

«آسف لطلبك بإنهاء عملك في مكتب البريد... الخ، الخ، الخ، الخ.»

كيف يمكنه أن يأسف؟ هو حتى لا يعرفني.

كانت هناك قائمة من الأسئلة.

«هل لاقيت تفهّمًا من جانب المشرفين؟ هل كنت قادرًا على التواصل معهم؟»

أجبت، نعم.

«هل أظهر المشرفون تمييزًا بأي شكل من الأشكال على خلفية دينية أو عرقية أو خلفيةٍ أخرى ذات صلة؟»

أجبت، لا.

ثم تلا ذلك سؤال جيد ـ «هل تنصح أصدقائك بالعمل في مكتب البريد؟»

بالطبع.

«إذا كانت لديك أي شكاوى ضدّ مكتب البريد يرجى ذكرها بالتفصيل على ظهر هذه الصفحة».

لا شكاوى.

ثم عادت الفتاة السوداء.

«أنهيت بالفعل؟»

«أنهيت».

«لم أرَ في حياتي شخصًا ينهي تعبئة كل الأوراق بهذه السرعة».

«بسرعة» قلت.

«بسرعة»؟ سألت. «ماذا تقصد؟»

«أعني، ماذا سنفعل الآن؟»

«رجاء اتبعني».

تبعتُ مؤخرتها بين المكاتب حتى وصلنا إلى مكان كان تقريبا في آخر القاعة.

«اجلس» قال الرجل.

استغرقه بعض الوقت لقراءة الأوراق. ثم نظر إليّ.

«هل لي أن أسأل ما هو سبب استقالتك؟ أهي بسبب الإجراءات التأديبية التي اتُخذت ضدك؟»

«لا».

«إذن ما هو سبب استقالتك؟»

«لأمارس مهنة».

«لتمارس مهنة؟»

نظر إليّ. كنت سأبلغ الخمسين في أقل من ٨ أشهر. عرفت ما كان يدور في ذهنه.

«هل لي أن أسأل أيّ «مهنة» ستكون لك؟»

«حسنًا يا سيّدي، سأقول لك. موسِم الصّيد في النّهر يستمرّ من كانون الأوّل وحتى شباط وحسب. وقد ضيّعتُ منها شهرًا.

شهرًا؟ ولكنّك تعمل هنا منذ ١١ عامًا».

«حسنًا، إذن، ضيّعتُ أحد عشر عامًا. يُمكنني أن أكسب ١٠ حتّى ٢٠ ألف في ٣ أشهر من الصيد في نهر لا فورش».

«وماذا ستفعل؟»

«**سأصطاد!**، فئران المسك، والكيب، والمنك، والراكون... والقنادس. كل ما أحتاجه هو قارب وفخاخ. سأعطي ٢٠٪ من الأرباح لقاء استخدام الأرض. سأتلقّى دولارًا وربع عن جلد فأر المسك، ٣ دولارات عن المنك، ٤ دولارات عن بو منك، ودولارًا ونصف عن الكيب و ٢٥ دولارا عن القندس. سأبيع ذبيحة فأر المسك، ويصل طولها إلى نصف متر تقريبا، بـ ٥ سنتات لمصنع يقوم بتصنيع طعام القطط. سأتلقّى ٢٥ سنتا عن جلد الكيب. سأربّي الخنازير والدجاج والبط. وأصطاد سمك السلور. ليست شأنًا عظيمًا. أنا..»

«لا يهمّ، سيد تشيناسكي، من شأنها أن تكفي».

وضع بعض الأوراق في آلته الكاتبة وبدأ يطبع.

ثم رفعتُ عينيّ ورأيتُ باركر أندرسون، ممثّلي في الاتحاد، باركر الرجل الذي يحلق ويتغوط في محطة الوقود، يبتسم إليّ ابتسامتَه السياسيّة.

«استقلتَ يا هانك؟ أعلم أنك تهدّد بالاستقالة منذُ أحد عشر عامًا...»

«نعم، أنا ذاهب إلى ولاية لويزيانا الجنوبية لأرتّب لنفسي غنيمة».

«هل يوجد هناك سباقات خيل؟»

«أنت تمزح؟ «فير غراوندس» هو أحد أقدم المسارات في البلاد!»

وصل باركر مع صبيّ أبيض - من قبيلة العصبيين المفقودين ـ وقد عينا الطفل اغرورقت بالدّموع. دمعة كبيرة في كل عين. لكنها لم تنسال. كان ذلك رائعا. رأيت النساء يجلسن وينظرن إليّ بتلك العيون قبل أنْ يُصبنَ بالجنون ويبدأن بالصّراخ أيّ ابن قحبة أنا. من الواضح أن الصبي سقط في أحد الفخاخ الكثيرة هنا، فتوجّه إلى باركر. باركر هو من سيُنقذ وظيفته.

أعطاني الرجل ورقة أخرى لأوقعها ومن ثم خرجت من هناك.

قال باركر «بالنجاح يا صديق» عندما مررتُ من جانبه.

«شكرا يا عزيزي» أجبت.

لم أشعر بأي اختلاف. ولكني كنت أعلم أني سأعاني قريبًا من صعوباتٍ في التكيّف، مثل رجل انتشلوه على عجل من أعماق البحر. كنتُ مثل ببغاوَي جويس اللعينين. بعد أن عشتُ في القفص، اقتربتُ من الفتحة وطِرتُ ـ مثل رصاصةٍ في السماء. السماء؟

بدأتُ أعاني من صعوبات في التكيّف. تحوّلت إلى سكّير تمامًا. حتى أنّي في إحدى الليالي وضعتُ سكينًا كبيرة حول حلقي في المطبخ، وقُلت في نَفسي، مهلاً، يا رفيق، لعلّ طفلتك أرادت أن تصطحبها يومًا إلى حديقة الحيوان. الأيس كريم، وقرود الشمبانزي والنمور والطيور الحمراء والخضراء، والشمس الآخذة في الارتفاع، زاحفةً نحو شعر الذراعين، تمهّل، يا رفيق.

عندما استيقظتُ وجدتُ نفسي في صالون شقّتي، أبصق فوق البساط، وأطفئ السجائر في معصمي، وأضحك. مجنون. رفعتُ عينيّ فوجدتُ أحد طلاّب الطّب يجلس هناك. على الطاولة التي بيننا، كانت هناك جرّة وفيها قلب إنسان. حول القلب ـ الذي حمل لاصقة كُتب عليها اسم صاحبه السابق «فرانسيس» - كانت زجاجات الويسكي نصف فارغة، وبعض علب الجعة المقلوبة، ومنافض، وقمامة. التقطتُ زجاجة وابتلعتُ خليطًا جهنّميًا من الجعة والرماد. لم آكل منذ أسبوعين. تيار لانهائي من الناس يأتون ويذهبون. كان هناك ٧ أو ٨ حفلات صاخبة حيث لم أتوقف عن المطالبة بـ«المزيد من الشراب! المزيد من الشراب! المزيد من الشراب!»

حلّقتُ في السّماء؛ أما هم فكانوا يتحدثون ويشيرون إلى بعضهم.

«نعم»، قلت لطالب الطب، «ماذا تريد مني؟»

«سأكون طبيبك الشخصيّ».

«حسنا، أيها الطبيب، أول شيء أريدك أن تفعله هو أن تأخذ قلب الإنسان اللعين من هنا!»

«لا لا».

«ماذا؟»

«سيبقى القلب هنا».

«اسمع يا رجل، أنا لا أعرف اسمك».

«ويلبرت».

«حسنا يا ويلبرت، وأنا لا أعرف من تكون أو كيف دخلت، لكن اخرج من هنا وخذ «فرانسيس» معك!»

«لا، سيبقى معك».

ثم أخذ جهازه مع الكرة التي يضغطون عليها ولفّ المطاط حول ذراعي وضغط على الكرة فانتفخ المطاط.

«ضغط دمك مثل ضغط دم شاب في التاسعة عشرة»، قال لي.

«اللعنة. اسمع، أليس تركُ قلوب البشر ترقد هكذا مخالفًا للقانون؟»

«سأعود لآخذه. الآن، خذ نفسًا!»

«كنتُ أظنّ أنّ مكتب البريد كان يقودني إلى الجنون. وأنت الآن ظهرت».

«هدوء! خذ نفسًا!»

«أحتاج إلى امرأة شابة، أيها الطبيب. تلك هي مشكلتي».

«يوجد انزياح في عمودك الفقري عن مكانه في ١٤ منطقة، يا تشيناسكي، وهذا سبب التوتر، والذهول، وأحيانا الجنون».

قلت: «هراء...»

لا أذكر متى غادر الرجل. نهضتُ عن الأريكة في الساعة ١٠:١ ظهرًا، موت في الظهيرة، كان الجو حارًا، واخترقت الشمس ستائري الممزقة ووصلت إلى الجرة التي كانت وسط الطاولة. بقي «فرانسيس» معي طوال الليل، متروكًا في مياه كحولية، ويسبح في محيطه الميت والمخاطيّ. يجلس هناك في الجرة.

بدا مثل الدّجاج المقليّ. أعني، قبل القلي. بالضّبط.

حملتُه ووضعتُه في خزانة ملابسي وغطيته بقميص ممزق. ثم ذهبت إلى الحمام وتقيأت. انتهيت، وثبتُ وجهي أمام المرآة. نبتَ في وجهي شعرٌ أسود طويل. فجأةً، كان علي أن أجلس وأتغوّط. كانت فكرة جيدة ومثيرة.

رنّ جرس الباب. انتهيت من مسح مؤخرتي، ارتديت بعض الملابس القديمة وتوجهت نحو الباب.

«مرحبًا؟»

كان هناك شاب بشعرٍ أشقر طويل يتدلى على وجهه وفتاة سوداء ابتسمت طول الوقت كما لو كانت مجنونة.

«هانك؟»

«نعم. من تكونان؟»

«إنها امرأة. ألا تذكرنا؟ من الحفلة؟ أحضرنا لك زهرة».

«حسنا، ادخلا».

جلبا لي زهرة، برتقالية ـ حمراء بساق خضراء. كانت معقولة أكثر بكثير من أشياء أخرى، عدا كونها قد قُتلت. وجدتُ وعاء، وضعتُ فيه الزهرة، جلبتُ زجاجة نبيذ ووضعتها على الطاولة.

«ألا تذكرها؟» سأل الشاب. «قلتَ إنك ترغب في مضاجعتها».

ضحكَت.

«لطيف جدًا، ولكن ليس الآن».

«تشيناسكي، كيف ستتدبّر أمر نفسك بدون مكتب البريد؟»

«لا أعرف، لعلّي أصبعك. أو أدعك تصبعني. اللعنة، لا أعرف».

«يمكنك أن تبيت عندنا على الأرض في أي وقت».

«هل يمكنني أن أشاهدكما وأنتما تتناكحان؟»

«بالتأكيد».

شربنا. كنت قد نسيتُ اسميهما. أريتهما القلب. طلبتُ منهما أن يأخذا هذا الشّيء الفظيع معهما. لم أجرؤ على رميه فقد يحتاجه طالبُ الطّبّ قبل الامتحان أو عند انتهاء فترة استعارته من المكتبة أو أيًا كان.

ثم نزلنا وشاهدنا عرضَ عُريّ، وشربنا وهجنا وضحكنا. لا أعرف من كان يملك المال لكنني أعتقد أنه الشّاب، الذي كان لطيفًا على غير العادة، ولم أكف عن الضحك وعن الضغط على مؤخرة الفتاة وفخذيها وتقبيلها، ولكن أحدًا لم يكترث. طالما المال موجود، أنت موجود أيضًا.

أوصلاني إلى البيت وغادر هو معها. وصلت إلى الباب، ودعتهما، قمتُ بتشغيل الراديو، عثرتُ على زجاجة ويسكي، شربتها وضحكت، كان شعوري لطيفًا، وأخيرًا استرخيت، تحرّرت، أحرقتُ أصابعي بأعقاب السجائر القصيرة، ثم توجهتُ إلى السرير، نجحتُ في الوصول إلى الحافّة، تعثرت، استلقيتُ في الفراش، ورحتُ في النوم.

* * *

كان الصّباح على نحو العادة وكنتُ لا أزال على قيد الحياة.

لعلّي أكتُب رواية، قلتُ في نفسي.

وهذا ما فعلت.

من أهمّ أعمال المؤلّف

مَكتب البريد (١٩٧١)

الحِرَفيّ (١٩٧٥)

نساء (١٩٧٨)

شوفان بلحم الخنزير (١٩٨٢)

هوليوود (١٩٨٩)

أدب رخيص (١٩٩٤)

زهرة، قبضة، وعويل وحشيّ (١٩٦٠)

قصائد ورسومات (١٩٦٢)

قصائد رهان للاعبين منكسرين (١٩٦٢)

الركض مع المطارد (١٩٦٢)

تمسك قلبي في يديها (١٩٦٣)

صليب في يد الموت (١٩٦٥)

كلاب باردة في الفناء (١٩٦٥)

اعترافات رجل مجنون بما يكفي ليعيش مع الوحوش (١٩٦٥)

عبقري الحشود (١٩٦٦)

٢ لبوكوفسكي (١٩٦٧)

رفرفة الستائر (١٩٦٧)

في شارع الإرهاب وطريق العذاب (١٩٦٨)

قصائد كتبت قبل القفز من نافذة الطابق الثامن (١٩٦٨)

عيّنة بوكوفسكي (١٩٦٩)

تركض الأيام بعيدًا مثل الخيول البرية نحو التلال (١٩٦٩)

يوميات عجوز قذر (١٩٦٩)

محطّة النار (١٩٧٠)

الطائر المحاكي يتمنى لي حظًا سعيدًا (١٩٧٢)

أنا وقصائد الحب التي لك أحيانًا (١٩٧٢)

جنوب بلا شمال (١٩٧٣)

فيما عزفت الموسيقى (١٩٧٣)

الاحتراق في الماء، الغرق في النار (١٩٧٤)

أفريقيا، باريس، اليونان (١٩٧٥)

القرمزيّ (١٩٧٦)

ربما غدًا (١٩٧٧)

الحب كلب من الجحيم (١٩٧٧)

الساقان والوركان والخلف (١٩٧٨)

العزف على البيانو مخمورًا مثل آلة قرع حتى تبدأ الأصابع بالنزف قليلاً (١٩٧٩)

موسيقى مياه ساخنة (١٩٨٣)

حكايات الجنون العادي (١٩٨٣)

أجمل امرأة في المدينة (١٩٨٣)

التدلّي من السّرخس (١٩٨٢)

الحرب طوال الوقت (١٩٨٤)

الخيول لا تراهن على الناس ولا أنا (١٩٨٤)

تصير وحيدًا في أوقات معقولة (١٩٨٦)

الجميلة وقصائد مطوّلة وأخرى (١٩٨٨)

هياج السبعينيّ: قصص وقصائد (١٩٩٠)

قصائد الشّعب (١٩٩١)

قصائد الليلة الأخيرة على الأرض (١٩٩٢)

الرهان على ربّة الشعر: قصائد وقصص (١٩٩٦)

باليه قصر العظم (١٩٩٨)

أكثر ما يهم هو مهارتك في عبور النار (١٩٩٩)

مفتوح طوال الليل (٢٠٠٠)

الليلة يمزّقها الجنون مع الخطى (٢٠٠١)

عبور الجنون من أجل الكلمة، الخط، الطريق (٢٠٠٣)

فيما يبتسم بوذا (٢٠٠٣)

ومضة من البرق خلف الجبل (٢٠٠٤)

التراخي باتجاه نيرفانا (٢٠٠٥)

الشعب يبدو مثل الزهور أخيرًا (٢٠٠٧)

ملذات الملاعين (٢٠٠٧)

الشرط المستمر (٢٠٠٩)

مقاطع من دفتر ملطخ بالنبيذ: قصص قصيرة ومقالات (٢٠٠٨)

غياب البطل (٢٠١٠)

المزيد من يوميات عجوز قذر (٢٠١١)

الفهرس

شكر ٥

هنري تشارلز بوكوفسكي: أنا عبقريّ ولا أحد يعرف ذلك سِواي .. ٧

بوكوفسكي: أبو اللعنات ٨

هبوني أموالكم.. أهبكم روحي ١٠

«الكتابة الحذرة هي كتابة ميّتة» ١٢

بوكوفسكي: عنفٌ ودمامةٌ وعزلة ١٥

جميعنا سنموت، جميعنا، يا له من سيرك! ١٧

إما كل العالم أو لا شيء ١٩

رواية مَكتب البريد ٢١

ميثاق أخلاقيات المهنة ٢٧

I ٢٩

II ٧٧

III ١٢٣

IV ١٧٣

V ٢٠٧

VI ٢١٧

هذا الكتاب

... لكن ما يمكن أن نؤكّده في هذا السّياق، هو ضرورة تعريف القارئ العربيّ بنتاج بوكوفسكي شعرًا وروايةً وقصّةً وسيرةً، وفتح المجال لاكتشاف أديب له بصمته ولعنته وتميّزه وجرأته وإن عاش لفترة طويلة بمعزل عنّا كقرّاء. كان تشارلز بوكوفسكي صوتًا عبقريًا نافذًا أكسبَ الشّعر الأمريكيّ والرّواية الأمريكيّة مذاقًا خاصًا صادمًا لم تشهد له الساحة الأمريكيّة مثيلاً من قبل. وقد ظلّ بوكوفسكي راعي البقر الّذي لم يحرس قطيعًا، والعامِل الّذي لم يغادر مسلخ البهائم، والأديب الأمريكيّ الّذي شتم جمهوره فضحكوا له.

رسمة الغلاف: كريم رسن


ISBN 9933350161
9 789933 350161

